

«ولكن ما الفائدة؟» (الشخصيات التي لا تنسى)	لشانينج بولوك	٥
افعل ما تؤمر به	مجلة «كوليرز»	٩
الضحك خير علاج		١٤
سجين ينطق بلسان سجين (من صميم الحياة)	مت . ا . ميرك	١٦
لم يصدق الناس أنهما طارا (على هامش التاريخ)	مجلة «هاربرز»	٢٤
لماذا يستعصي عليك النوم؟	مجلة «ذس ويك»	٢٦
فرنسا في أزمة	مجلة «لايف»	٢٩
اختبار إجباري للزهري قبل الزواج		٣٦
أرض العجائب في المنطقة المتجمدة الجنوبية	«سترداي إيفننج بوست»	٤١
أوربة في براثن الجوع	مجلة «نيويورك تايمز»	٤٦
ما قيمة الدرجات المدرسية؟	مجلة «الآباء»	٤٨
عيد سعيد	مجلة «ذي روتيريان»	٥٣
طبيب الأدغال	مجلة «باجنت»	٥٦
ابتكر لنفسك عملا	جون إرسكين	٦٣
الذهب في مناجمه	ركس بيتش	٦٨
وجهي في المرآة	كنيث كرنس	٧٢
من قال إنهم صغار ضعاف العقول؟!	بليك كلارك	٧٣
سر مع العالم	مجلة «كوليرز»	٧٩
في وسعك أن تتذكر	برونو فيرست	٨٠
المصرف الذي أنشأه الشباب	مجلة «بيك»	٨٤
نهر اللمف ـــ نهر الحياة	مجلة «هايجيا»	٨٩
ما نفع هذه المدارس؟	مجلة «ذس ويك»	٩٣
باب الكتب: مغامرات امرأة	كتاب مسز مايك	٩٧
هذه طبائع البشر		١٢٩

بيان

« ينبوع الشباب الدائم » : لعل هذا المقال نال من رضى قراء المختار واستحسانهم مالم ينل مثله مقال آخر ، ولا غرو فهو يلخص فى أبلغ عبارة فلسفة المختار فى الحياة . وقد أعدنا نشره على غلاف هـذا العدد حتى يستطيع من يريد أن يضعهُ فى إطار على مكتبه فيكون له كالدستور فى هـذه « الحياة الزاخرة بالمرح والنضال » .

كتاب « هل أنت حى ؟ » . منذ خمسة عشر شهراً أصدرت المختار كتاب « هل أنت حى ؟ » وخصت به المشتركين والمشترين الذين يطلبونه فى حدود معروفة ، وأعلنت أنه لن يعرض للبيع . وقد وزعت منه ٣٣ ألف نسخة فى أرجاء العالم العربى فحيته الصحافة أبلغ تحية ووجد فيه القراء فصولا ممتعة حافزة إلى الخير والقوة . أما وقد استنفد القراء ما طلبوه منه ، فقد قررنا أن نعرض ألفى نسخة — هى كل ماتبقى من طبعته الثانية — للبيع ابتداء من يوم ٧ نوفمبر ١٩٤٧ ، وثمن النسخة ٥ قروش .

مجموعات كاملة من المختار : فى إدارة مجلة المختار ١٠٠ مجموعة كاملة من أعداده جميعاً . من العدد (١) سبتمبر ١٩٤٣ ، إلى العدد (٥١) نوفمبر ١٩٤٧ . وقد جعل ثمن هذه المجموعة (٥١ عدداً) فى المملكة المصرية ١٠٠ قرش (بدلا من ١٥٣ قرشاً) لمن يطلبها قبل يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٧ ، و ترسل خالصة أجرة البريد .

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST-Vol. 9, No. 51, Nov. 1947.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلى أتشيسون — المدير المساعد : مارڤن لوز .

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

هوبارت لويس ، إدواردو كارديناس ، دجلاس لندن ، ج . ج زبيت (نيويورك ، الولايات المتحدة) .

مطبعة مصر ش . م . م

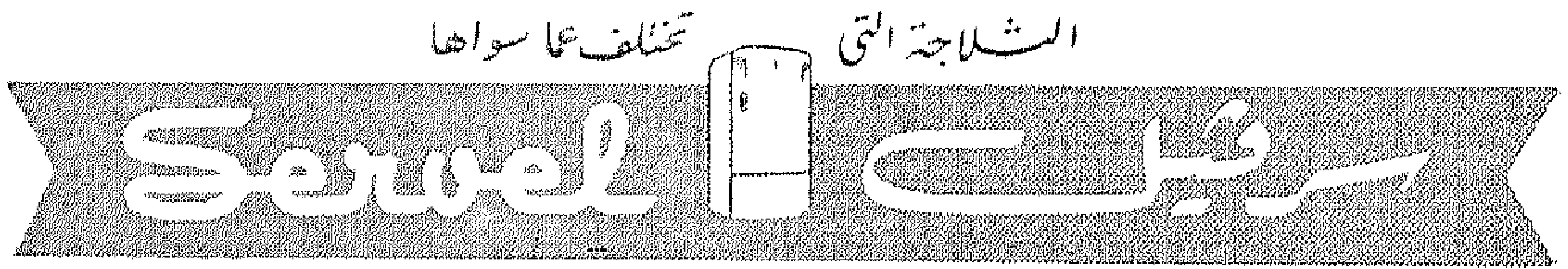
تعمل فى كل مكان ... وفى كل وقت ...

نسوق نبأ عظيماً لكل من يسكن فى المدن أو فى القرى — لأصحاب البيوت والفنادق والمقاهى والمزارع ! إن ثلاجة « سرفيل » — أينما ركبتها — تشرع حالاً فى العمل ، فى توليد البرد الذى يحفظ الطعام ، وذلك لأن نظام التبريد فى ثلاجة « سرفيل » يعمل بلهب صغير من الكيروسين أو الغاز . وليس فيها محرك . . . بل ولا تجد فى نظام التبريد جزءاً متحركاً خليقاً أن يتعطل أو أن يحدث صوتاً أو ضجة . فلذلك تبقى ثلاجة « سرفيل » بسنين كثيرة صالحة للانتفاع بها .

والبرد الدائم الذى تولده ثلاجة « سرفيل » يحفظ غضارة اللحوم والثمار والخضر وروائحها الطيبة أياماً متوالية . . . حتى فى أشد الأقاليم حرارة . وفى وسعك أن تخزن مقادير كبيرة من الأطعمة التى تشغل مكاناً واسعاً فى جوفها الرحيب . وفى حجرة التبريد تستطيع أن تضع مقداراً كبيراً من مكعبات الثلج لتبريد الشراب على أنواعه ، بل تستطيع أن تصنع مكعبات ثلج ذات طعم أو نكهة توافق أذواق أصحابك أو زبائنك .

فلذلك يسهل عليك أن تدرك لماذا نجد أكثر من مليونى ثلاجة « سرفيل » تستعمل فى جميع أرجاء العالم ، فى البيوت والمتاجر ودور الأعمال . وإنك لتتعجب يوم تقتنى واحدة : كيف استطعت من قبل أن تعيش بدونها .

الثلاجة التى تختلف عما سواها



Servel, Inc. International Division, 20 Pine Street, New York 5, N. Y., U. S. A.



الأتقان في الصناعة والمتانة في الاستعمال

أحدث الرسومات بألوان ثابتة وأسعار معتدلة

تنفرد بها

المنسوجات القطنية الممتازة

المصنوعة من القطن المصري الخالص وبأيد مصرية

شركة مصر للغزل والنسيج

مركزها الرئيسي بعمارة بنك مصر بالقاهرة — مصانعها بالمحلة الكبرى

السنة الخامسة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٩
العدد ٥١

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

نوفمبر ١٩٤٧

الشخصيات التي لا تنسى :

" ولكن ما الفائدة ؟ "

تشانينج پولوك : مؤلف "الأحمق" و"البيت الجميل"

أنا شديد الإيمان بصدق ما كان يؤمن به بعض القدماء من أن حظ المرء فى الحياة من صنع يديه ، وخير مثل لهذا رجل أعرفه، وقد لقيته فى شبه جزيرة الملايا.

دخلت غرفة الطعام فى قطار سنغافورة، فإذا أكيلى على المائدة رجل من أنحل من رأيت من الرجال وأطولهم قامة ، يكلل هامته شعر أبيض أربد من لفح الشمس ، وله وجنتان ناتئتان فى وجه شاحب اللون حليق اللحية فى جلده نمش . ففاجأنى من هذا الرجل الإنجليزى الحائل اللون شىء تشمئز له النفس ، مبعثه هذه العيون الخابية وخضرتها المشربة باللون الرمادى ، وهذا الفم الدقيق المستقيم الضنين بالابتسام . وكان مما يشق على نفسى أن أجالس أحداً وقتاً ، فأمسك لسانى عن الحديث معه . فلما جاء الغلام بالقاوون الذى يختم به الرجل طعامه ، لم أملك نفسى عن سؤاله عن مذاق هذا القاوون . فقلت له :

« لقد قدمت لتوى من بلاد سيام حيث ذقت ألذ قاوون أكلته، وكل قاوون أكلته منذ فارقت سيام كان فى فمى مسيخاً كريهاً لا طعم ولا خير فيه » .

فقال جليسى الغريب

> **نهج للحياة**
>
> اعلم أنك لن تعدم فى الناس من هو أغنى منك وأجمل وأعقل، ولكن لا تنس أن الفضائل النادرة ، كالإحسان والتضحية والشرف ونبل النفس تتيح لك أن تكون من أحب الناس إلى الناس ومن أشرفهم فيهم منزلة .
>
> [أرشيبولد رتلدج]

المنظر : « رباه ! إنى لأجد كل شىء فى هذه الحياة ثقيلا مسيخاً كريهاً لا طعم له ولاخير فيه » ثم انطلق يقول غير مبتسم : « إنه قاوون لذيذ . ولـكن حدثنى كيف رأيت بلاد سيام ؟ »

فأخبرته ، ثم شرع هو يتكلم ، فأى سيل متدفق فتحت على نفسى ! وإذا هذا الرجل الذى ظننته إنساناً صموتاً مؤثراً للعزلة ، يزيح طبقه ثم يسح الـكلام سحًّا ،ويسألنى: أقرأت كتاب راشيل هامت « الرجـل النحيل » ؟ أقرأت كتاب كرافن « رجال الفن »؟كان ظامئاً إلى أخبار لندن ـــ أخبار مسارحها ومطاعمها وأنديتها .

ومضت ساعة فإذا هو يقـول لى : « أسألك العفو عما لقيت من ثرثرتى ، ولـكنك كنت أول رجل أبيض حادثته منذ سبعة أشهر » .

ولعل الدهشة كانت بادية جداً على وجهى، فانطلق يفسر لى حقيقة الأمر فقال :

« بعد ٣٥ دقيـــقة سوف يقف هذا القطار ـــ لا لأنها محطة لا بد من وقوفه عندها، بل لأنى أريد أن أنزل حيث يقف. وسأجد هناك سيارة تنتظرنى ، فأقطع بها عشرين ميلا فيما يسمى طريقاً على سبيل المجاز ، حتى أبلغ مستنقعاً فى جوف الغابات، ولى هناك منجم قصدير ومزرعة مطاط ، ولى هناك أيضاً دار فيها ست عشرة حجرة، وقد عشت فيها أربعين سنة ـــ وحيداً إلا بعض الخدم ، وهم جميعاً من أهل الصين ، وكذلك سائر العمال » .

فقلت : « هذا فظيع فيما أظن » .

فقال : « لم يكن فظيعاً فى أول الأمر أيام كنت فى ميعة الشباب ، وكان كل شىء تقع عليه العين غريباً . وكنت أفرّ إلى سنغافورة كل شهر أو نحو من شهر . وعزمت مرة على العودة إلى الوطن ، ولـكن لم أكد أصل جبل طارق حتى انقض علىّ التهاب الرئة ، فأشار على طبيبان بأن لا أحاول ذلك مرة أخرى ، فإن دمى قد أصبح رقيقاً ، والملاريا قد أنشبت فىّ أظفارها .

« وأمرنى طبيب إنجليزى أن لا أتجاوز فى الرحلة شمالا مدينة هنج كنج ، فرحلت إليها مرتين ، ولـكنى لم أجد فيها من أهل لندن إلا سواحاً وشباناً كانوا يعـدوننى رجلا به لوثة أو مس من جنون . وربما كان بى مايظنون، فأنا أعلم أنى أكلم نفسى ، ولـكن أى عجب فى هذا ؟ فأنا رجل أقضى الليلة بعد الليلة وحيداً فى تلك الدار الرحيبة حتى أخاف على نفسى أن أجن ، فأقوم إلى كتاب أقرؤه ، أو إلى شىء من سخافات الإذاعة أسمعه . فإذا ضقت ذرعاً دعوت رئيس خدمى ، وهو إنسان جاهل ، وأظل

أكلمه حتى يوشك أيضاً أن يجن » .

« ماذا أريد أن أقول ؟ » هكذا قاطع نفسه ، ثم عاد يقول : « كانت آخر رحلة رحلتها إلى بلدة كوالالمبر . ولكن ما جدوى الرحلة ؟ إنى إذا أقمت حيث أنا ، فأنا واجدٌ على كل حال غلامى أحادثه ، وهو منى بمنزلة الصديق . وهناك مناجمى أتعهدها ، ومزارعى أيضاً ، وحساب أموالى فى لندن ونيويورك . وربما جاء يوم فأستطيع أن أغرى أحد زبائنى حتى يأتى فيقضى معى أسبوعاً . وقد بدا لى ذات يوم منذ عهد بعيد أن أجعل أحدهم شريكا لى إذا هو جاء فأقام معى ، ولكنه رفض شاكراً . وإنى لمحدثك بحديث ، فإذا شئت فاضحك منه ، فقد بدا لى مرة أن أستدعى فرقة من الفتيات الراقصات الإنجليزيات ، لا لشىء إلا ليقضين الأيام فى محبتى ، ولكنى كنت أعلم أنهن سوف يرفضن ما أطلبه . وأيضاً فأنا أكره أن أدفع مالا لناس أشترى به حديثهم معى . وإنه لتخطر لى خاطرة أخرى سخيفة : ذلك إنى أكره أن أموت وحيداً لا أجد من يشيعنى إلى القبر سوى عصبة من العمال يشيعوننى على مضض . وأنا أكره أن أموت وحيداً مثل كراهتى أن أعيش وحيداً » .

وانقضت فترة قصيرة فى صمت وأنا أجتهد أن أجد شيئاً أقوله له ، ثم سمعت جلجلة القطار ونفخه للوقوف ، وكانت الشمس تتوهج على زجاج النوافذ حتى ما تستطيع أن تلمسه . وإذا رفيقى الإنجليزى ينحنى فجأة ويبتسم ابتسامة بشعة كشفت عن أسنانه الصفر وهو يقول : « إنى لرجل محظوظ — محظوظ كل الحظ . وإذا سرك أن تعلم ، فاعلم أنه قد مضت عشر سنوات لم أبال قط كم زادت ثروتى على مليون جنيه ، فأنا أملك أربع مزارع للمطاط ، ومنجمين للقصدير ، ويبلغ دخلى فى اليوم أكثر من ألف ريال — ولكن ما الفائدة ! »

وبعد سكتة عاد رفيقى يقول : « أنا آسف » فقلت : « وفيم الأسف ! لقد نفعك هذا الحديث . ولكن هل تأذن لى أن أسألك سؤالا واحداً ؟ »

فأومأ برأسه أنْ نعم .

قلت : « تستطيع أن تصنع خيراً كثيراً بهذا المال ، وعسى أن تنال ببذله سعادة وأصدقاء » .

فأجابنى بصوت مثقل بالملل : « لا أحب أن أشترى الأصدقاء . وربما سوّلت لى نفسى أحياناً أنى سوف أجد سعادة فى مدّ يد المعونة إلى الفقراء من ذوى الحاجات . وقد خطر ببالى مرة أن أبنى مستشفى حيث أقيم لدراسة أمراض المناطق الحارة ، ولكنى أرجأت ذلك حتى أزداد سعة من المال

وسعة من الوقت . ولما عزمت على هذا الأمر قدرت فى نفسى أن أبر بوعدى يوم تجتمع لى عشرة آلاف جنيه . فلما وقع هذا المبلغ فى حوزتى ، عقـدت العزم على أن أجعله عشرين ألفاً ، ثم انطلقت أخزن هذا المال وأراكمه حتى فات الأوان ، وأصبحت دفيناً تحت أوزار هذا البلاء اللعين » .

قلت : « ما زلت فى سعة من الوقت حتى تستنقذ نفسك من تحت أطباقه . وما أكثر الأساليب التى تستطيع أن تبذر بها هذا المـال فى الأرض الصالحة ، وتجنى من ثمراته سعادة وسكينة » .

وقد كنت أعلم أن الأوان قد فات ، حتى قبل أن يومىء برأسه فى بطء وملالة ، فإن هذا الصديق لم يفقد قدرته على معاشرة الناس وحسب ، بل فقد أيضاً قدرته على التلذذ والاستمتاع . كان وحيداً ، وكتب عليه أن يظل وحيداً ما بقى .

ولما قمت من مكانى لأخرج ، برقت عيناه وقال : « لو رأيت المـكان الذى أقيم فيه لسرك ما ترى . لم لا تأتى فتقضى معى يوماً أو بعض يوم ؟ »

قلت : « إنى راحـل إلى سنغافورة غداً » ، فأومأ الشيخ برأسه إيماءة من كان ينتظر هذا الجواب .

وبعد دقائق عدت إلى غرفتى ، ثم وقف القطار ، ونظرت من خلل النافذة فرأيت سيارة فخمة يبرق لونها ، وفى المقعد الأول رجلان صينيان فى ثياب موشـّاة . وقد وقف الشيخ عند رفرف السيارة كأنه ينتظر منى تحية الوداع . فأطللت من النافذة ولوحت له بيدى ، فرفع قبعته ورد على التحية ملوحاً بقبعته ، وظل يلوح بها حتى غاب القطار عن البصر .

وكانت إقامتى فى سنغافورة أقصر من أن تتيح لى أن أعرف شيئاً كثيراً من أنبائه ، بيد أنى عرفت أن صديق هذا أوشك أن يكون خبره أسطورة تروى . فلم تقع عليه عين أحد منذ سنوات طوال ، وليس عندهم من خبره إلا طرف غامض عن شيخ واسع الثراء مخبول العقل ، يعيش فى مكان بعيد فى أعماق الغابة . ولما عدت إلى الوطن جعلت أسأل عنـه المسافرين وأصحاب المصارف عسى أن أجد عندهم شيئاً من خبر هذا الصديق العجيب ، ولـكن ذهب كل ذلك سدى . وعسى أن يكون الساعة ثاوياً فى لحده تحت ظلال شجرة مورقة ، أو لعله الآن جالس وحده فى داره الرحيبة يقرأ إحدى قصصنا السخيفة ، أو يراجع حساب أمواله فى لندن ونيويورك وهى بلا ريب لا تزال تزداد ازدياداً حثيثاً ، « أكثر من ألف ريال فى اليوم — ولـكن ما الفائدة ؟ » .

لقد تعددت منافع التنويم المغنطيسى تعدداً يبعث على الدهشة :

[illegible]

دانيل ب. مانيكس

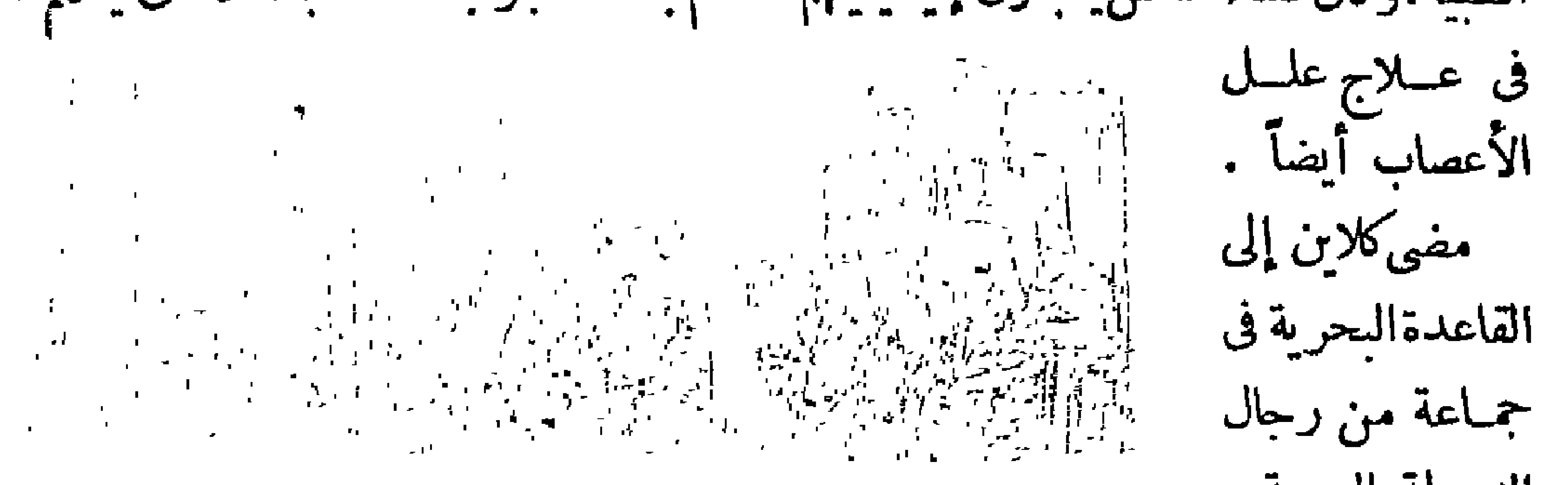
مختصرة من مجلة «كوليير»

فى ربيع سنة ١٩٤٣ أغرقت مدمرة أمريكية غواصة ألمانية بقرب الساحل الأمريكى الشرقى ، واستطاع رجالها أن ينقذوا ربان الغواصة بشق النفس ، فكبار البحرية الأمريكيــة فى أمسّ الحاجة إلى معرفة أمور لا يستطيعون أن يظفروا بها إلا من قائد غوّاصة ، وثمة شعاع ضئيل من الأمل فى حمل هــذا القائد على أن يبوح بما عنده تحت تأثير التنويم المغنطيسى .

وقد كان هوارد كلاين هو المنوّم الذى وقع عليه الاختيار للقيام بهذه المهمة ، وكان قبل انتظامه فى القسم الطبى للجيش الأمريكى ، من محترفى التنويم الموفقين ، وقد عاون أطباء الأسنان والعيون والولادة فى أعمالهم الطبية ، وكان علماء النفس يلجأون إليه ليعينهم فى عــلاج علــل الأعصاب أيضاً .

مضى كلاين إلى القاعدة البحرية فى جمــاعة من رجال الشرطة السرية ، فوجد طائفة من كبار ضباط الأسـطول ينتظرونه ، ولا يكتمون شكهم فى قدرته على تنويم القائد الألمانى برغم أنفه ، وساروا به إلى غرفة ألفى فيها القائد الألمانى يفيق رويداً رويداً من أثر العقاقير التى أُعطيها . فجلس كلاين بقربه ، والقــائد بين اليقظة والغيبوبة ، وجعل يحـدّثه حديثاً رفيقاً هادئاً .

وقد قال كلاين بعد ذلك : « أردت أن لا يدرك الرجل أنى أنوّمه ، فقلت له مترفقاً إنك متعب ولا ريب ، فحاول أن تنام . تنفس نفساً عميقاً وسرعان ما يأخذك النعاس » . وما هى إلا ثلاث دقائق أو أقل حتى كان الألمانى مستغرقاً فى سـنة النوم ، ثم بدأ استجوابه . فلما بدأ الألمانى يتكلم ،



أسرع الضباط فى الخروج بكلاين من الغرفة ، ولكن سرعان ما أخذ الألمانى يفيق من سباته ، فأعيد كلاين إلى الغرفة على جناح السرعة . فلما انفض الاجتماع صاح أحد الضباط : «صار كتم الأسرار مستحيلاً بعد الاستعانة بهذا الضرب من التنويم ».

وفى السنوات الأخيرة تجددت العناية بالتنويم تجدداً عظيما . نعم إن الاستعانة بالتنويم فى الطب لا تزال شيئاً لايقبله كبار الأطباء اليوم ، ولكنّ الطبيب الذى يعالج أسنانك خليق أن يقترح عليك فى المستقبل القريب ، بأن التنويم يجنّبك الألم وهو يعالج فجوة فى إحدى الأسنان . وإذا كنت رجلا تريد أن تترك الدخان أو الخمر ، فقد يعينك على ذلك الإيحاءُ بتركها وأنت منوّم ، فيلازمك بعد اليقظة. وإذا أرادت زوجتك أن تخفف من بدانتها ، فقد يكون فى وسع المنوّم أن يسلبها شهوتها للمواد النشوية . وقد عولج بالتنويم صغار كثيرون يعانون عللا مختلفة، مثل حول العينين ولجلجة اللسان . ويرى فريق كبير من الأطباء المولدين أن التنويم قد يعين على دفع آلام المخاض . أما المعرضون للأرق فقد أجدى عليهم التنويم حيث لم تجْدِ العقاقير .

بيد أن كل طبيب نفسانى سألته عن التنويم بدأ جوابه محذراً فقال : « حذارِ من أن تصف التنويم بأنه علاج ناجع لجميع الأمراض . ويندر أن يستعمل وحده فى العلاج النفسانى . وقد ينجح غاية النجاح فى الحين بعد الحين، ولكن إخفاقه أغلب».

والتنويم لم يزل بعد قوة خفية مخوفة . والذين يمارسون التنويم على المسارح لم يتحرجوا عن دفع الذين ينومونهم إلى القيام بأعمال تجعلهم سخرية فى أعين الناس. فلا يدهشك أن تجد الناس يستريبون بالمنوّمين ولكن المنومين الذين من طراز هوارد كلاين ضرب جديد من محترفى التنويم. فقد توفر كلاين على دراسة موضوعه دراسة علمية ، وهو يرى صادقاً مخلصاً أن علماء النفس إذا ما أحسنوا الانتفاع بالتنويم ظفروا بوسيلة جديدة قوية تعينهم فى عملهم.

وقد عرض كلاين من أعماله ما يبهر الناس ، ففى ٤ أكتوبر ١٩٤١ تناقلت الناس بالدهشة والإعجاب خبر الدليل الذى أقامه على أنه فى الوسع تنويم الذين يستمعون إلى الراديو . وقد كان رأيه الذى لم يفتأ يردده أن الإعلانات التجارية التى تذاع فى أمريكا ، شىء ضعيف متهافت إذا أريد بها حمل الناس على شراء البضاعة المعلن عنها . وهو يرى أن المنوّم البارع يستطيع أن يدفع المستمعين دفعاً إلى الانطلاق فى الشوارع طالبين هذه البضاعة أو تلك . وقد اتفق

مع إلمن أحد المخرجين ، على أن يسمح له أن يمتحن طريقته فى جماعة تجمع عفواً من المتفرجين ، ووضعت هذه الطائفة فى غرفة من زجاج ، وأخذ كلاين يذيع عليهم من غرفة أخرى ، وكان المذيع يرقبهم ، ثم يذيع على الناس من المحطة الرئيسية ما يراه من أثر إذاعة كلاين فيهم .

وقد قال إلمن بعد ذلك : « كان منظر تلك الجماعة من الرجال والنساء ، وقد أخذوا يستسلمون لسنة التنويم من أثر صوت كلاين شيئاً ، لم أرَ أغرب منه فى حياتى ولا أعجب . فقد كان فى وسعه أن يضحكهم أو يبكيهم ، وأن يخيل لهم ما يريدهم أن يتخيلوه ، وكانوا يصدقون كل شىء يقوله . ولو سمحنا لهذا الرجل أن يذيع على الأمة ما أذاعه على هذه الجماعة ، لكان قادراً أن ينوم فريقاً كبيراً من الأمة . وقد حدث بعد ذلك أن عرضت شركة الإذاعة البريطانية منوما إنجليزياً بأجهزة التلفزة ، فأسفرت التجربة عن نتائج عجيبة حملت الحكومة البريطانية على سن قانون يحرم الإذاعة على المنومين » .

يرى كلاين أن هناك ضربين من التنويم : التنويم «المألوف» ، والتنويم «الخاص» . أما الأول فالناس عرضة له كل يوم من أيامهم : الإعلانات التى تذاع بالراديو ، تردد على أسماعهم فكرة بعينها ترديداً رتيباً مملا ، والأم التى تعيد على طفلها أغنية واحدة ، تظل تعيدها حتى يدركه النعاس .

أما التنويم الخاص فسر تأثيره هو الهبوط بالمرء إلى سبات بين الوعى والغيبوبة يطلقون عليها وصف « النوم المغنطيسى » الذى يحدثه المنوم بالجمع بين كلال البصر والإيحاء . وقد كان المنومون فى الأزمنة القديمة يحدثون كلال البصر فى الرجل المنوم بأن يأمروه أن يحدق فى عينى المنوم . والحقيقة أن العينين ليست فيهما قوة منوِّمة . أما المنومون فى العصر الحديث ، فيغلب أن يأمروا المنوم أن يحدق فى قطعة لامعة من النقد ، أو إلى نقطة بعينها فى السقف . ثم يأمره أن يتنفس نفساً عميقاً منتظماً ، حتى ييسر على بدنه أن يسترخى .

ويظن بعض الأطباء أن التنويم المغنطيسى يبلد العقل الواعى ، فيتاح للعقل الباطن أن يتسلم الزمام . وقد ألف العقل الباطن أن يتلقى الأوامر من العقل الواعى ، حتى لتراه منقاداً من تلقاء نفسه لكل أمر يلقى عليه . ويبدو أن هذا التعليل لسر التنويم هو خير تعليل عرف .

والرجل الذى استغرق فى سبات التنويم يستطيع أن يفتح عينيه ، وأن يتكلم

ويضحك ويمشى . أما المنوِّم فلا يسيطر على أفكار المنوَّم وحسب، بل يهيمن على جهازه العصبي كله أيضاً . وقد يبلغ سمع الرجل المنوَّم من الحدة والإرهاف مبلغاً يمكنه أن يسمع وقع دبوس على الأرض على مسافة مئة قدم .

وإذا قال المنوِّم للمنوَّم إنه لا يحس ألماً ، كان فى وسعه أن يحتمل جراحة كبيرة دون أن يشعر بها . والرجل المنوَّم يستطيع أن يقبض أوردته وشرايينه . بحيث ، يحبس سيلان الدم من جرح فى بدنه . وترى كلاين أحياناً يعرض هذه القدرة الغريبة ، فيجرح يد المنوَّم جرحين صغيرين ، فيسيل الدم منهما ، ثم يأمره أن يمنع دم أحد الجرحين أن يسيل فيكفُّ الدم السائل من أحد الجرحين لساعته ، ثم يأمره أن يدع الدم يسيل من هذا الجرح ، وأن يحبسه من الجرح الآخر ، فيفعل .

وقد أخذ الأطباء يستعينون بالتنويم المغنطيسى ليعينوا المرضى على أن يخضعوا لإرادتهم تلك العضلات التى لا سلطان للإرادة عليها . وثمة طبيب عيون مشهور طلب أن يكتم اسمه ، لأن الجمهور لا يزال يستريب فى التنويم — استعان بكلاين فى علاج الأطفال. قال : « وقد استطعنا منذ عهد قريب أن نعالج فتى فى السابعة عشرة كان يعانى حَوَلاً شديداً . فلا يستطيع أن يقرأ إلا أكبر الحروف فى لوحة امتحان البصر ، فنوَّمه كلاين ، ثم ألقى فى روعه أن اللوحة تدنو منه ، فاستطاع الفتى متأثراً بوهم دنوِّها ، أن يقرأ سطورها سطراً فسطراً حتى بلغ السطر الخامس . وأعجب ما فى الأمر ، أنه احتفظ بهذه القدرة بعد أن أفاق من سبات التنويم » .

ويظن الطبيب أن التنويم أعان الفتى فى أن يرخى عضلات مقلتيه ، وأن احتفاظه بمنافع التنويم يرجع إلى ظاهرة «الإيحاء اللازم» ، أى الذى يلازم المنوَّم بعد أن يفيق من سباته.

وكثيراً ما يعمد كلاين إلى استعمال ضرب غير مؤذ من « الإيحاء اللازم » فى الحفلات العامة ، فيقول للمنوَّم : « ستلحُّ عليك إذا ما أفقت ، رغبة لا تقهر فى أن تبيع الصحف ، فعليك أن تتأبط رزمة منها وأن تفرض على كل من الحاضرين أن يشترى صحيفة منها . وستخمد هذه الرغبة عندما أصيح بكلمة : صفرْ » .

فإذا أفاق الرجل المنوَّم ألفى نفسه لا يتذكر شيئاً من هذا الإيحاء ، ولكن ما هى إلا دقائق حتى ينتابه قلق ، ثم يقول لأحد أصدقائه : « إن فى الصحف أخباراً خطيرة ، وينبغى لكل إنسان أن يطلع عليها» ، وإذا به يختطف رزمة صحف تركها

كلاين على المسرح ، ويعدو بين المتفرجين وهو ينادى : « ملحق ، ملحق » فإذا صدر الأمر من كلاين كفّ الرجل ، وبدا عليه الخضوع ، ثم يجلس .

وكل امرىء عرضة للتنويم ، ولكن بعض الناس يأبون دون وعى أن يسمحوا لأنفسهم أن ينساقوا فى تياره ، والتعرُّض له يختلف بين ساعة وأخرى . وفى قدرة كلاين أن ينوّم ٧٠ فى المئة من الناس الذين يتقدمون إليه . وأكثر الناس استعداداً للتنويم هم أكثرهم همّاً . وهذا سرُّ نجاح الزعماء الشعبيين الذين يفتنون الجماهير فى أيام الأزمات القومية .

والقاعدة أنه يستحيل تنويم المرء برغم أنفه ، ولكن لهذه القاعدة شذوذ . فالرجل النوّم يعصى أمر منوّمه إذا أراده أن يفعل شيئاً ينافى أخلاقه أو يعرّضه للخطر . فلا يمكن مثلا أن يعتدى على عرض فتاة منوّمة ، أو أن يرغم رجلا على الوثب من نافذة . وقد رأيت الدليل على صحة هذا ، فقد أمرت فتاة منومة أن ترتكب فاحشة ، فإذا بها تفيق من سباتها وهى تحسُّ فى نفسها غضباً غامضاً . وأمر تاجر أن يوقع شيكا على بياض ، فكافح هذا الإيحاء ما استطاع ، ثم خط فى آخر الأمر حروفاً لا تقرأ .

أما ما يقال عن عجز المنوّم فى بعض الأحيان عن أن يردّ المنوّم إلى اليقظة فلا صحة له . فالمنوّم يفيق من تلقاء نفسه بعد غفوة قصيرة ، ولو خرّ النوّم صريعاً .

ويستعين الدكتور لوفين، طبيب الأسنان، بكلاين على تنويم المصابين الذين يكرهون الغاز المخدر أو يخافون الحقن . ويقول الدكتور لوفين: « ومن الناس من لا يتخثر دمهم تخثراً طبيعياً بعد حقنة مخدرة ، فيبطىء شفاؤهم ، فإذا كان المصاب عرضة للتنويم ، كان التنويم خير مخدر » .

وقد قال لى أحد الأطباء النفسانيين إنه يستعين بالتنويم ولكنه يأبى أن يذيع ذلك قال : « فلو فعلت لتوافد الناس علىّ يطلبون أن أوحى إليهم بالنوم بعد أن يفيقوا من التنويم ، كأن التنويم والإيحاء اللازم حبة أسبرين يأخذونها من أقرب صيدلية . وأنا أستطيع أن أوحى إليهم بالنوم ، ولكننى أفضل أن أعرف لمَ يعانون الأرق . فإن لم أفعل ، كان ذلك كمثل من يعالج ساقا مصدوعة بحقنة من الكلوروفورم » .



فى السنوات الأولى من القرن العشرين بدأت السيّارات تخترق الشوارع ، وبلغ من حوادث اصطدامها بجماهير المشاة وإزعاجها الجياد ، أن عمدت إحـدى الولايات الأمريكية إلى سنّ قانون يقضى على كل سائق ينوى الخروج بسيّارته أن يحذر الناس قبل موعد خروجه بأسبوع على الأقل ، وذلك بنشر إعلان فى الصحف.

كشفت فى مدينة بارى الإيطالية طائفة من الوثائق السرية لجماعة « أوفرا » وهى الشرطة السرية التى أنشأها موسولينى فى أثناء حكمه الذى دام إحدى وعشرين سنة ، شملت أربعاً وسبعين سـيدة أنفق عليهنّ خمسة ملايين ريال أو أكثر .

تدلّ الإحصاءات الأمريكية على أن معدل الانتحار بين الزنوج الأمريكيين لم يزل منذ عشرات السنين ثلث معدله بين جماعات البيض أو أقل .

يدل لون النجوم على درجة حرارتها ، فالنجوم الحمر ، مثلاً ، أقل حرارة من النجوم الزرق والبيض التى تبلغ حرارتها مبلغاً عالياً جداً .

كاد الانتفاع بالقوة النفّاثة فى الصواريخ يقتصر على دفع الطائرات وغيرها إلى أمام ، ولكن ينتظر الانتفاع بها فى الحدّ من سرعة الطائرات والقطرات — أى أن تكون بمنزلة الفرامل . ويقدّر الخبراء أن القطار الذى يظلّ سـائراً مسافة ١٥٠٠ قدم بعد استخدام الفرامل الهوائية، يمكن وقفه عن الحركة تماماً فى مسافة لا تتجاوز ٣٧٥ قدماً — أى ربع المسافة الأولى — إذا أضافوا إلى الفرامل الهوائية صواريخ مركبة فى القاطرة، فتنطلق إلى أمام، فتحدّ بانطلاقها من اندفاعه .

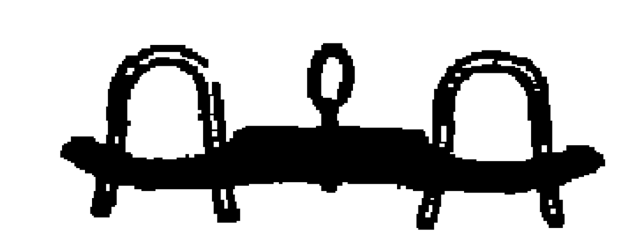
تمنح روسـيا « وسام الأمومة » إلى النساء اللاتى ينجبن خمسة أطفال أو ستة ، وتمنح « وسام مجد الأمومة » إلى اللواتى ينجبن سبعة أطفال إلى تسعة ، « ووسـام بطـولة الأم » إلى اللواتى ينجبن عشرة أطفال أو أكثر .

تدلُّ دراسة مئات من الحوامل والوالدات على أن النساء الأمريكيات يزداد وزنهنّ على المعدّل ٢٢ رطلا فى أثناء الحمل ، وينقص وزنهنّ ١٣٫٥ رطل فى بحر ساعة بعـد وضـع طفل يبلغ ٧٫٥ رطل ، ثم ينقص وزنهنّ ٤٫٢٥ رطل فى الاثنى عشر يوماً التالية ، ثم تلى ذلك فترة لا يكاد ينقص فيها وزنهنّ شيئاً يذكر . فإذا انتهين إلى ستة أسابيع بعد الوضع كان وزنهنّ لا يزال أثقل مما كان يوم بدء الحمل بنحو أربعة أرطال .

أجريت تجربة على جماعة كبيرة من الناس كان غرضها أن يتبيّن الباحث دقتهم فى تقدير مسـافة دقيقة من الزمن ، فظهر أن معدّل تقديرهم جعل الدقيقة ٣٥ ثانية وحسب .

منذ زمن قريب أثبت حادث شروع فى قتل ، أن التحليل المعملىّ يستطيع أن يهدى الشرطة إلى حقائق كثيرة عن طريق دليل تافه . فقد وجدوا قطعة خيط صغيرة فى مكان الحادث ، فوضعت فى جهاز من أجهزة القوة المركزية الطاردة ، فلما أنشأ يدور بسرعة ، تطاير من ألياف الخيط غبارٌ دقيق ، فثبت من فحصه أن الخيط جىءَ به من مزرعة فيهـــا أشجار صنوبر وبعض النباتات النادرة ، وبقرة جرسى ، وجواد كنيْت ، وأرانب بيض وسود ، ودجاج أحمر الريش . فلما ظفر رجال الشرطة السريّة بهذه الحقائق ، تيسّرت لهم معرفة مكان المزرعة ، فقبضوا على المجرم .

يؤثر دوار البحر فى الجياد أيّما تأثير ، حتى تجد كثيراً من أعرق الجياد السابقات أصلا قد ظلّت بعد رحلة صاخبة فى البحر ، لا تصلح لدخول مضمار السباق مدة سـتة أشهر . فلكى يتجنبوا هذا الخطر ، استعملوا منذ عهد قريب طائرة لنقل سـتة جياد من إرلندة إلى لوس أنجليس فى كاليفورنيا ، فكانت هذه الشحنة الجويّة أول شحنة من نوعها عَبَرت المحيط الأطلسى .



سجين ينطق بلسان سجين

ت . ا . مرفى *

كان علم الولاية يخفق على رأس السارية القائمة فوق برج السجن الأغبر المشيد بالصخر ، فدل على أن حاكم الولاية قد حضر. وقد جروا على رفع العلم على السجن مرة كل شهر حين يقبل أعضاء مجلس العفو لسماع أقوال المساجين الذين يلتمسون إطلاق سراحهم .



فنى مثل هذه الأيام يخيم على السجن جو من الترقب يكاد المرء يلمسه بيديه ، ويشيع الابتسام على وجوه الحراس ، فيفسر سائر المساجين ذلك بأن بعضهم على الأقل سوف ينال نعمة الحرية .

ولكن المساجين الذين جلسوا فى القفص الحديدى خارج حجرة المجلس ، كانوا متجهمين لا يبتسمون . فقد ظل بعضهم ينتظر خمس سنين أو عشر سنين أو أكثر ، حتى تتاح لهم الفرصة ليقصوا قصتهم .

وما كان يدور بينهم سوى النزر من الحديث ، فكل رجل منهم أشبه ما يكون بجزيرة منعزلة، وهو يراجع فى ذهنه ماينوى أن يقوله بين يدى الحاكم .

وفتح أحد الحراس باب القفص ونادى: « شارلى جريجورى » .

فحدثت حركة خفيفة فى إحدى زوايا

* ت . ا . مرفى ، كاتب تنشر مقالاته فى أكبر المجلات ، وقد ظل خمس سنوات موظفا فى مجلس العفو فى ولاية رود أيلند ، وشهد الحادث الذى يصفه فى هذا المقال . أما اسم السجين فهو مختلق .

القفص ، وتقدَّم رجل ضئيل الجسم ، أشيب الشعر . كان أغبر الوجه ، وكان شاخص البصر كأنه رجل منوَّم . وهمس أحدهم فى أذنه : « وفَّقك الله ياشارلى » ولكن الشيخ الضئيل الجسم لم يسمع الهمس.

وتعثر شارلى بقرب الباب ، فأمسك الحارس بذراعه مترفقاً به ، وقال : « هوِّن عليك ياشارلى ، ولا تنس أنك قد انتظرت زمناً طويلا حتى تسنح لك هذه الفرصة ».

وقد كان زمناً طويلا حقًّا : ٢٠ سنة، عشرون سنة لم ينقطع خلالها ، لا ليلا ولا نهاراً ، عن ترديد ما اعتزم أن يقوله ، وقد سخر منه سائر المساجين فى أول الأمر، فكانوا يقولون هازئين : « وفيم العجلة ياشارلى ؟ » أو يقولون : « لا يزال أمامك خمس عشرة سنة تتمرن فيها على ماتقول».

إلا أنهم أمسكوا عن السخر به منذ سنين ، فقد غلب عليهم الرثاء لحاله ، وكان الطارئون على السجن من المساجين يحملقون فى هذا الرجل الضئيل وقد انتحى جانباً ، ووقف كأنه يلقى خطبة ، فيسألون: « أخالطت عقله لوثة من جنون ؟ » وإذا واحد من صحبه القدماء يقول : « لا، وإنما هذا هو شأن شارلى ، فهو يتدرَّب على ما ينوى أن يقوله حين يمثل أمام مجلس العفو » .

حفظ زملاؤه القدماء خطبته عن ظهر قلب ، وأما شارلى فصار يعدِّل فى الخطبة على مرِّ الزمن — يسهب هنا فى أحد معانيها، ويقتضب هناك ، ولكنَّ ، جوهر الخطبة ظلَّ هو هو لم يتغيَّر .

— « ياصاحب السعادة ، سادتى : أنا أعلم أنكم قد ألفتم هذا المشهد ، مشهد سجين يمثل بين أيديكم ، ليقيم الدليل على براءته. ولو كنت أنشد أن يطلق سراحى أنا، لما أشرت أية إشارة إلى براءتى من الجريمة التى أدنت بها منذ عشرين سنة خلت، ولكننى أيها السادة ، لا أنشد حريتى وحسب ، بل أريد أيضاً أن أثبت أننى كنت ضحية ظروف اصطلحت علىَّ » .

كان ذلك مستهلَّ الخطبة ، وقد حاول بعض أصدقائه أن يقنعه بأن يستعمل كلمات هينة بدلا من الكلمات الصعبة التى جهد فى تصيُّدها من قاموس الجيب ، وكانوا يقولون له ، إن هذه الألفاظ لاتقع فى آذان أعضاء المجلس موقع الكلام المألوف .

ولكن شارلى كان عنيداً يحرص على استعمالها كحرصه على أن يستردَّ حريته.

دخل شارلى غرفة المجلس وهو يتعثر ، وكان الحاكم جالساً وراء منضدة كبيرة ، وعن يمينه وشماله أعضاء المجلس الأربعة ، وكلُّهم كهلٌ وقور .

وقف شارلى وقفة الحائر ، والحارس يشير إلى كرسىّ يجلس عليه . وقرأ الحاكم من أوراق القضـية المسجلة : « شـارلز جريجورى ؛ حكم عليـه بالسجن المـؤبد لاقترافه جريمة القتل » ثم ابتسم للسجين وقال . « ولك الآن أن تعرض على المجلس لمَ تعتقد أنه ينبغى أن يعفو عنك » .

فبلل شارلى شفتيه الجافتين بلسانه وبدأ الكلام بصـوت خافت مجهد : « ياصاحب السعادة ، سادتى : أنا أعلم أنكم ألفتم — » وأخذت الألفاظ تتهافت بين شفتيه وتزداد خفوتاً ، حتى انحبس صوته فصارت شفتاه تتحركان ولا كلام .

فانبرى الحارس يلاطفـه ويخفف عنه وقال : « مهلا ياشارلى ، فهؤلاء السادة يريدون أن يبذلوا لك المعونة ، فابدأحديثك مرة أخرى » .

فتحركت الشفتان ثانية ، ولـكنهما لم تنطقا بأية كلمة .

فتطلع عضوان من أعضاء المجلس من خـلال النافذة ليخفيا حيرتهما ورثاءهما لحاله . وتكلم الحاكم فقال : « حسبك ياشارلى أن تروى قصتك » .

فعاد شارلى يتكلم كالآلة ، وكان كلامه ضعيفاً خافتاً : « ياصاحب السعادة ، سادتى: أنا أعلم أنكم — » ثم جعـل يتلعثم مرة أخرى ، وجلس كالأبكم لا يحيركلاما . فقد انتظر عشرين سنة طويلة حتى تتاح له فرصة ليلقى هذه الخطبة ، وها هو ذا الآن عاجز عن إلقائها .

فقلب الحاكم بعض الأوراق عسى أن يسـتردّ السجين رباطة جأشـه ، ثم قال للحارس : « خيرٌ لك أن تأتينا بمن يليه ، فسنحاكمه فيما بعد » .

فجلس شارلى كأنه قدنُـوّم تنويماً ، ودخل الحارس يصحبه السجين التالى ، وهو شاب طويل أشقر .

وقال الحاكم لجريجورى : « سـوف أتيح لك فرصة واحدة أخرى للكلام ، فبين أيدينا رجال آخرون ينبغى أن نستمع إليهم » .

ونظر الشاب الأشقر إلى شارلى نظرة الدهش ، فتحركت شفتا شارلى ثانية ، ولـكنه لم يُحرْ قولاً .

فقال السجين الشـاب : « أستأذنـكم ياسيدى » .

فنظر إليه الحـاكم نظرة جافية وقال : « مهلا يافتى ، فسوف نستمع إليك » .

فقال الشاب : « ليس هـذا ما أريد ياسيدى ، ولـكننى أكاد أعرف قصة شارلى ، كما يعرفها هو نفسه . وفى وسعى أن أنطق بلسانه » .

فأثار قوله فضول الحاكم فسأله: «وكيف عرفتها ؟ »

فقال : « لم يزل يتدرّب على إلقائهامنذ عشرين سنة ، ويرددها على أسماعنا » .

فأومأ الحاكم برأسه وقال : « هاتها » ثم التفت إلى أعضاء المجلس وقال : « لعلّ هـذا يخالف السنّة المرعية ، فإذا وافقتم سمعناها» ، فوافقوا جميعاً ، وشرع السجين الشاب يتحدّث بطلاقة :

« ياصاحب السعادة ، سادتى : أنا أعلم أنكم قد ألفتم هذا المشهد ، مشهد سجين يمثل بين أيديكم ليقيم الدليل على براءته..» ومضى فى رواية القصة لم يتلعثم فى كلمة واحدة منها إلا عنـدما قال كلمة « اصطلحت » ، فابتسم أعضاء المجلس وقال الحاكم : « لست ألومك إن تلعثمت» فمضى الشاب فى حديثه.

فلما أوفى على النهاية ، أخـذت الحياة تدبّ فى أوصال شارلى، فجعل يومىء برأسه إيماء قويّا بين العبارة والعبارة ، كأنه يؤكد ما يقوله صاحبه السجين الشاب . وما إن أوشك الشاب أن ينتهى من حديثه حتى قال شارلى: « هى مايقول،هى مايقول، هذه قصتى » ، ثم طفق يبكى .

وساروا بشارلى إلى قفص الساجين ، وسرى الخبر مسرى الكهرباء ، وما هى إلا دقائق حتى عرف كلٌّ من فى السجن أن شارلى قدضيّع الفرصة العظيمة التى أتيحت له. ثم طرأ طارىء عجيب على جميع الرجال الذين ينتظرون فرصتهم ليرووا ما عندهم ، ذلك بأن هـذه النفوس الجافية الضالة المنحرفة عن جادّة الخير ، قد هبط عليها فجأة وميض من نور الصلاح . فإذا هؤلاء الرجال الذين سرقوا وقتلوا ونالتهم يد القضاء ، يشعرون بطائف الخير يطوف بنفوسهم وهم ينظرون إلى شارلى الشيخ .

وقد مثلوا واحداً بعد واحد أمام مجلس العفو ، فقال أحدهم : « أستأذنك ياسيدى فى أن أقول لكم شيئاً عن شارلى جريجورى قبل أن أروى قصتى . فقد جاءنى يوم بلغنى خبر وفاة والدتى وترفق فى تعزيتى ، فأعاننى فى تلك المحنة على أن أحتمل المصاب » ... وقال آخر : « لقد كان خير صديق لى فى السجن ، لا تفتر له رغبة فى أن يبـذل معونته لى » ... وقال ثالث : « أعطانى باقه زهر من حديقة السجن حتى أرسلها هـديه إلى زوجتى » ... وقال رابع : «كنت فتى يوم دخلت هذا السجن فأظلّنى شارلى برعايته » .

وقد تردّدت هذه الأقوال وأمثالها على ألسنة الساجين ، وقد عانى بعضهم جهداً عظيماً فى التماس الكلمات للتعبير عما فى أنفسهم، ولكنهم جميعاً حرصوا أشدّ الحرص

على أن يستهلوا مرافعتهم فى سبيل الحرية بكلمة خير عن شارلى . « أحبُّ ياسيدى أن يطلق سراحى، ولكن شارلى أحقُّ منى بذلك » .

كان هؤلاء الرجال مجرمين تجرَّح شهادتهم فى أية محكمة ولو حلفوا بأغلظ الإيمان ، ولكنهم نطقوا اليوم عن إخلاص فكان قولهم مقنعاً ، وقد دفعهم إلى ذلك دافع من الإيثار وإنكار الذات فأسعدهم ما صنعوا . كان هؤلاء الرجال الشهود العدول على حسن أخلاق شارلى جريجورى، يتقدمون بشهادة لم تطلب منهم ، فيثنون على هـذا الرجل الشيخ الضئيل الذى جاهد مرَّ الجهاد لينال حريته .

فلما فرغ آخرهم مما عنده ، أقفل الحاكم حقيبته بسرعة والتفت إلى أعضاء المجلس وقال: « أما فى شأن هذا الرجل جريجورى فإننا أمام مشكلة غير مألوفة . وأما أنا — » ثم توقف قليلا وتنحنح وقال : « وأما أنا فـأرضى أن أجازف بإطلاق سراحه » . فأومأ الأعضاء بالموافقة .

وما هى إلا دقائق حتى ذاع هذا الخبر فى حجر السجن الحديدية — لقد أدرك شارلى الشيخ منية حياته . وإذا هذا العالم المنعزل، عالم السدود والقيود، عالم العرق والمطهرات، عالم الحديد والأبرق والقنوط — يشهد لحظة عابرة من السعادة .

حيرة متسوِّل

لعلك سمعت قصة ذلك الشحاذ الذى استجدى مئتى ريال ليشرب فنجاناً من القهوة ، فلما سئل عن المبلغ الذى طلبه قال إنه يخجل أن يدخل المطعم فى بزته الرثة ، فلابد له من بزة كاملة أنيقة جديدة قبل أن يدخله . وإليك قصة أخرى.

دنا شحاذ من رجل عليه أمارات اليسر وطلب منه قرشين ليشترى بهما فنجان قهوة ، فرد عليه الرجل بلهجة العنف : « أهذا هو كل ما تصنع ؟ انظر إلى نفسك — تنام على المقاعد فى الحدائق ، وتلبس الرث المهلهل من الثياب ، وينال منك الجوع ، فلم لا تأخذ نفسك بالحزم وتعمل عملا يجدى عليك ؟ »

فرد الشحاذ مسخفاً قول صاحبه : « أعمل ؟ ولم العمل ؟ أأعمل لأعول إنساناً مثلى لا خير فيه ؟

[إرفنج هوفان]

« على هامش التاريخ »

لم يصدق الناس أنهما طارا

فريد س. كلى مختصرة من مجلة "هاربرز"

في الأيام التي كان الأخوان أورفيل وويلبور رايت يطيران بطائرتهما فوق مروج ولاية أوهيو كان في بلدة على مسيرة عشرة أميال مراسل صحفي شاب، سمع بأنهما طارا حقاً ولكنه لم يعبأ هو ولا سواه بما سمع ولا عني باستطلاع حقيقته. وكان اسم ذلك المراسل: فريد س. كلى، كاتب هذا المقال.

في اليوم السابع عشر من شهر ديسمبر ١٩٠٣ حدث حدث تاريخي في بلدة كيتي هوك بولاية نورث كارولينا الأمريكية، ذلك بأن الأخوين ويلبور وأورفيل رايت طارا بطائرة أثقل من الهواء، فكانا أول من فعل ذلك في تاريخ البشر. ويوم عادا من نورث كارولينا إلى مسقط رأسهما في مدينة ديتون بولاية أوهيو لم يحتف بهما الناس، بل إن جيرانهما ظنوا أنه إذا كان الشابان قد طارا حقاً، فما هي إلا مصادفة اصطلحت عليها الرياح القوية، وأن ما تم لهما لن يتم مرة أخرى، وكان أصدقاؤهما إذا التقوا بهما في شارع المدينة يتجنبان الإشارة إلى ماروى عن طيرانهما، فلن تجد رجلا به مسكة من العقل يرضى أن يتحدث في رواية سخيفة كهذه الرواية.

وصدرت صحيفة « ديتون جورنال » في صباح اليوم التالي، وليس فيها كلمة ما عن الحادث الذي تم في ١٧ ديسمبر. ونشرت ست صحف أو سبع صحف أمريكية رواية غريبة عما تم، ولكن جميع القراء تقريباً أنكروا ماقرأوا عن الطيران بآلة أثقل من الهواء. ألم يقل كبار العلماء، وفي طليعتهم سيمون نيوكم العالم الفلكي الرياضي، إن ذلك مستحيل؟ ثم ألا تراهم قد أيدوا رأيهم بمنطق لا ينقض! فلم يكن غريباً أن تجد رؤساء تحرير الصحف يأبون، بعد أن قرأوا رأي العلماء، أن ينشروا أن الطيران قد تم، وأنه تم على يد رجلين مجهولين، كان شغلهما أن يصلحا الدراجات، وليس لهما من العلم ما يصيبه طالب في جامعة، لأنهما لم يطلبا العلم في جامعة!

وفي شهر إبريل من سنة ١٩٠٤ جعل

الأخوان يتدرّبان على الطيران فى مرعى للبقر قريب من بيتهما فى مدينة ديتون. وعلى أن خبر هذه التجارب كان أعظم أخبار العلم وأخطرها فى مستهلّ هـذا القرن، فإنك لن تجد ذكراً له فى الصحف، ولا فى صحف المدينة التى أنجبت هذين الشابين. وما كان ذلك لأن الأخوين كانا يكتمان ما يصنعان. فكيف يستطيعان، لو أرادا، أن يكتما شيئاً يصنعانه فى مرج على مرأى من عيون النـاس، فعلى أحد جانبى المرج طريق عام وخط الترام الذى يصل المدينة بالضواحى، وعلى الجانب الآخر سكة حديدية.

وقد تحدّثت منذ عهد قريب مع دان كلر الصحفى البشوش الودود الذى كان محرّراً لقسم أخبار المدينة فى صحيفة « ديتون ديلى نيوز » فى تلك الأيام، فتذكر كلر ما كان وقال: « كان الناس الذين يمرّون بذلك الحقـل فى مركبات الترام يجيئون إلى مكتب الصحيفة ويسألون: أفى الصحيفة ذكر لطيران الأخوين، وقد تكاثر عدد الزوّار حتى صرنا نعدّهم بليةً علينا ».

فسألته: « ولِمَ لم تنشروا شـيئاً فى الصحيفة؟ »

فقال: « لم نصدّق ما قيل، ليس إلا ».

ومن الأشياء التى جعلت طيران الأخوين شيئاً لا يسترعى الأنظار، أنهما كان يطيران المرّة بعـد المرّة على ارتفاع ١٠ أقدام أو ١٥ قدماً فوق سطح الأرض. وكانا يطيران فى أول الأمر مسـافات قصيرة فى خطّ مستقيم، كما فعلا فى كيتى هوك سنة ١٩٠٣، وأنفقا معظم أيام سنتى ١٩٠٤ و ١٩٠٥ يتدرّبان على إتقان توجيه الطائرة، والطيران فى دائرة، وزيادة المسـافة التى يقطعانها. فلما كان شهر أكتوبر من سـنة ١٩٠٥ طار أورڤيل ٢٠ ميلا، وبعد يومين طار أخوه ويلبور ٢٤ ميلا ونصف ميل.

ومع ذلك لم تظفر معجزة الطيران باهتمام يذكر. وذات يوم ذكر تلاميـذ مدرسـة ريفية لمحرّر صحيفة « ديتون جورنال » الشيخ أنهم رأوا بعيونهم الأخوين يطيران حول المرعى مدة خمس دقائق. واتفق للمحرّر أن لقى أورڤيل رايت فى مركبة الترام فى أصيل ذلك اليوم فسأله: أحقٌ ما قاله التلاميذ، فقال أورڤيل إنهما كثيراً ما يطيران.

فوقع فى روع المحرّر أن الرواية ليست بذات شـأن مادام أورڤيل نفسه لا يعدّ ما يفعله هو وأخوه شيئاً غير مألوف أو شيئاً ذا خطر. فطيرانهما حول المرج شىء يسلّى تلاميذ المدرسة، ولكنه لا يكاد يكون شيئاً يستحقّ بضعة أسطر فى صحيفة. فختم المحرّر حديثه مع أورڤيل فقال: « إذا صنعتما شيئاً

خارقاً فلا تتوان فى نقل خبره إلينا » .

وعلى أن مئات من الناس شاهدوا الأخوين يطيران ، فإن أكثر الناس فى طول البلاد وعرضها ، ومنهم العلماء والمحررون ، أبوا أن يصدقوا أن طائرة أثقل من الهواء استطاعت حقاً أن ترتفع بقوتها عن سطح الأرض .

وكانت هناك جماعة أخرى من الناس ، خليقة أن تعنى بالموضوع ، ولكنَّ ماروى عنه أزعجها أكثر مما أثار فضولها ، وكانت تلك الجماعة جماعة وزارة الحربية .

فقد غلب الشعور الوطنىُّ على الأخوين ، فأرادا أن يعرضا على حكومة أمتهما احتكاراً لمخترعهما ، وكانا يظنان أن الطائرة تصلح للاستكشاف زمن الحرب ، وقد تعزَّز ظنهما هذا يوم أخذت حكومات الدول الأجنبية تخطب ودَّهما ، ولاسيما الحكومة الفرنسية . فكتبا إلى وزير الحربية الأمريكية وعرضا عليه أن يكون للحكومة الحقُّ الأول فى الهيمنة على مخترعهما .

وأغلب الرأى أن رجال وزارة الحربية عَدُّوا هذه الرسالة شيئاً ينبغى أن يحفظ فى « درج المخبولين » . وتلقى الأخوان رسالة عليها توقيع جنرال فى هيئة أركان الحرب ورد فيها : « إن مجلس المهمات يرى أن يرفض تخصيص مالٍ لتجربة أجهزة الطيران الميكانيكى » . والحق يقال إن الأخوين لم يطلبا ولا لمحَّا إلى ضرورة تخصيص مال لتجاربهما . ثم تلقيا رسالة ثانية فى أواخر سنة ١٩٠٥ من مجلس المهمات جاء فيها : إن المجلس يأبى أن يصنع شيئاً « حتى تصنع آلة يثبت فعلاً أنها قادرة أن تطير طيراناً أفقيًّا وهى تحمل رجلا » . (كان الأخوان لا يزالان يطيران فى طائرة هذه صفتها منذ شهر ديسمبر ١٩٠٣) .

وقرأ رجل من أسرة كابوت كلمة مؤداها أن الأخوين يفاوضان فرنسا فى استعمال « السفينة الهوائية » الغريبة التى صنعاها ، فكتب إليهما يسألهما لِمَ لا يعرضان مخترعهما على حكومة أمتهم ، فردَّا بأنهما فعلا ذلك غير مرة . واطلع السناتور هنرى كابوت لودج على هذه الرسائل ، فأرسلها إلى وزير الحربيـة ، فأحالها على مجلس المهمات — فلم يفعل شيئاً .

وفى سنة ١٩٠٧ أرسل أحدهم إلى الرئيس ثيودور روزفلت مقالة عن الأخوين ، فكتب عليها الرئيس بخطه « يبحث » ، وأحالها على وزير الحربيـة المستر تافت ، فكتب تافت عليها « يبحث » وأحالها على مجلس المهمات . وكان بعض أعضاء المجلس قد تغيروا منذ سنة ١٩٠٥ ، ولكن المجلس ظلَّ يساوره الريب فى هذا الأمر . وبعد بحث فاتر كتب المجلس إلى الأخوين يقول إن

الحكومة يقظة ولا تؤخذ بهذه الألاعيب .

وبعد أن انقضت أربع سنوات أو نحوها على الطيران الأول فى كيتى هوك ، أخذت وزارة الحربية تغير موقفها ، ولا سيما بعد أن توالت الأنباء من ملحقيها العسكريين بأن الحكومات الأوربية مهتمة بالطائرة ، فعقد اتفاق على أن تشترى الحكومة طائرة من طـائرات رايت بمبلغ ٢٥ ألف ريال إذا ثبت أنها تستطيع أن تحمل رجلاً عدا قائدها وأن تطير بهما مدة ساعة ، وأن تكون سرعتها ٤٠ ميلا فى الساعة ، وأن تحمل من الوقود ما يكفى للطيران مسافة ١٢٥ ميلاً . وتم الاتفاق على إجراء التجربة فى سبتمبر سنة ١٩٠٨

كان الأخوان فى تجاربهما الأولى يركبان طائراتهما منبطحين على بطنهما . وكان الانبطاح على هـذا النحو ، ورفع الرأس حتى يستطيع المنبطح أن يرى ما أمامه ، والميـل بالجسم من جانب إلى جانب حتى تظل الطائرة محتفظة بتوازنها ، كفيلاً بأن يؤود أقوى الناس .

فأراد الأخوان أن يجربا جهازاً جديداً لتوجيه الطائرة ، فعادا إلى مسرح تجربتهما الأولى فى كيتى هوك . وذات يوم فى مايو ١٩٠٨ رؤيت طائرة رايت ماضية فى الجوّ ، وقد رآها مراسـل صحفىٌّ اتفق وجوده هناك ، وكان اسمه سالى . فأبرق إلى طائفة من كبريات الصحف يسأل من منها يريد قصـة ما رأى ، فأرسل إليه محرّر الأنباء فى صحيفة « كليفلاند ليدر » برقية غريبة ، فإنه لم يكتف بقـوله إن الموضوع لا يهمه بل أضاف كلـة أعرب فيها عن غضبه أن يعرض عليه أحد من الناس عرضاً سخيفاً كهذا . وعدّ محرّر صحيفـة « نيويورك هيرالد» برقية المراسل شيئاً أدنى إلى الجنون، ولـكن صاحب الصحيفة ، جيمس جوردن بنيت ، كان مهتماً بشئون الطيران ، فأمر باستقصاء هذه الرواية الغريبة . فبعثوا بأبرع مراسـلى الصحيفة ، بيرون نيوتن ، إلى كيتى هوك . فإذا كان الأخوان من المخادعين ، فليس ثمة قلمٌ ألذع من قلم نيوتن فى فضح خداعهما، وغامرت الهيرالد فنشرت رسالة سالى الأولى، فلم يكد محرّرو الصحف الأخرى يرون ما فعلته الهيرالد ، حتى قضوا بأن الأوان قد آن للوقوف على حقيقـة قصة الأخوين . وسرعان ما انضمّ إلى بيرون نيوتن فى كيتى هوك ، جماعة من المراسلين والمصوّرين .

فلما رأى الصحفيون صحراء كيتى هوك القفرة ، ظنوا أن الأخوين يؤثران البعد عن عيون الناس . فعزموا أن يلوذوا هم أيضاً بالكتمان ، فـكانوا يمضون بطعامهم

وشرابهم كلّ يوم، ويختبئون فى غابات الصنوبر على مقربة من قاعدة الأخوين، ثم يستطلعون بالمناظر المقرّبة ما يصنعان . فذهلوا عن أنفسهم ساعة رأوا رجلين من البشر يطيران، بل رأوا فى يوم ١٤ مايو ما لم تقع عليه عين بشر : طيران طائرة فيها رجلان .

وينبغى لنا أن نتذكر أن جمهور الناس كان لا يزال منكراً أن الطيران مستطاع ، مع أن الأخوين أقاما الدليل على إمكانه منذ أربع سنوات فى هذه البقعة نفسها — كيتى هوك . وأخيراً ظفر خبر الطيران بالعناوين الضخمة فى صدور الصحف معلنة ما صنعه الأخوان . وكتب بيرون نيوتن فى صحيفة الهيرالد : « ليس ثمة أدنى ريب فى ما صنعه هذان الرجلان فى آلتهما العجيبة ». ومع ذلك فلم تكن هذه المقالات كافية لإقناع كل إنسان ، وظلّت صحف كثيرة ممتنعة عن نشر الخبر . فلما أرسل نيوتن مقالا إلى إحدى المجلات يصف فيه ما رآه بعينيه فى كيتى هوك ، أعيد إليه المقال وقد كتب المحرّر عليه : « قرأنا مقالكم باهتمام ولكننا لا نستطيع أن نسلكه فى صف القصص المتخيّل ولا الحقيقة الواقعة » .

ولم يكفّ الناس عن الاسترابة فيما صنعه الأخوان حتى كانت التجربة العامة التى تمت فى سبتمبر ١٩٠٨ ، فيومئذ اتفق محرّرو الصحف ورجال العلم ، على أن الطيران بآلة أصبح حقيقة واقعة . ولكن الريب ظلّ يساور النفوس إلى اللحظة التى بدأ فيها الطيران . وقد قال أورفيل إنه أحسّ كأن الناس المحتشدين هناك ، وفيهم ضباط الجيش الذين تولوا الإشراف على التجربة ، لم يتوقعوا أن يروا الطائرة تطير .

وإذا ذكرت أن هذه التجربة كانت التجربة العامة الأولى لإحدى معجزات القرن العشرين، كان الذين احتشدوا ليروها جمهوراً صغيراً . ويقول ابن الرئيس ثيودور روزفلت إن أباه طلب منه أن يقدر عدد الناس فكان تقديره أنهم ألفٌ أو أقلّ .

ويقول الفتى روزفلت : « لما ارتفعت الطائرة عن الأرض ندّت عن القوم زفرة استغراب ، لم يكن مردّها إلى أن الطيران كان عجباً من العجب وحسب ، بل لأن الناس رأوا شيئاً لم يتوقعوه أيضاً . ولن أنسى ما كان لزفرة الجمهور من أثر فى نفسى ، فقد كانت زفرة دهشةٍ تامة » .

فلما حط أورفيل على الأرض بعد طيرانه، دُهش هو أيضاً . فقد عدا إليه ثلاثة من الصحفيين أو أربعة ، والدمع يترقرق فى عيونهم وينسكب على خدودهم ، فقد غلبتهم روعة رؤية شىء كان يعَدُّ مستحيلا .

حذار! فقد تجد فى هـــذا المقال ما ينقض آراءك العزيزة عليك .

لماذا يستعصى عليك النوم؟

لورنـــس لادر

مختصرة من "زس ويك مجازين"

لعل الأستاذ ناثانيل أعرف بشئون النوم من كلّ إنسان سواه . وهو يرى أن أكثر الآراء الشائعة عن النوم ، باطل لاحقّ فيه . وقد دأب على دراسة أسرار النوم منذ خمسة وعشرين عاماً فى « معمل أبحاث النوم » بجامعـة شيكاغو ، فقاس التغير الذى يطرأ على النبض والتنفّس ، والخفقات الكهربائية فى المخ ، وحركات البدن ، فى ألوف من طلاب الجامعة قاموا مقام الأرانب الهندية فى هذه التجارب على النوّام . وإليك طائفة من أكثر هــذه الأوهام شيوعاً :

١ — ينبغى أن تنام ثمانى ساعات كل ليلة . باطل . فقد دلت التجارب المستفيضة على أنه لا يتساوى رجلان فى ما يحتاجان إليه من النوم ، فقــد يحتاج أحدهما إلى النوم تسع ساعات ، وقد يكون حسْبَ الآخر أن ينام خمس ساعات .

٢ — التقلب الكثير فى الفراش يعوق النوم العميق . وهمٌ . فقد دلت التجارب على أن الحركة تعين على النوم أكثر مما تعوقه . ويقول كلايتمان : « إذا أنت لم تتقلب بضع مرات فى أثناء الليـل ، فإنك تستيقظ فى الصباح متصلباً كأنك لوح من الخشب » .

٣ — إنك خليق أن تنام نوماً أحسن وأن يزداد مقدار ماتعمل ، إذا قسمت نوم ليلك قسمين . وثمة كثير من النـــاس ، ولا سيما طلاب الجامعات ، ينامون من العاشرة مساء إلى الثانية صباحاً ، ثم يذاكرون ثلاث ساعات ، ويعودون إلى النـوم من الخامسة إلى الثامنة . بيد أن كلايتمان تبين أن الذين تعودوا النـوم فى الليل ، تهبط قدرتهم على العمل إلى أدنى حدٍّ بين منتصف الليل والفجر ، فإذا جعلوا نومهم على فترتين كان ما يعملونه أقل منه لو ناموا الليل كله واستيقظوا فى الصباح الباكر .

٤ — ينبغى أن تعوّض نفسك ماتضيعه

من ساعات النـوم . تلك خرافة أخرى . فقد دلت تجارب كلايتمان على أن المرء إذا ظلّ مستيقظاً أربعة أيام أو خمسة أيام ثم نام ، فإنه لاينام قط أكثر من عشر ساعات إلى إحدى عشرة ساعة ، فتكون حسبه لكى يستعيض بها عن ساعات النوم الثلاثين أو الأربعين التى فاتته .

٥ — لا تنم وأنت راقـد على جنبك الأيسر . فهذه نصيحة تسديها الأمهات إلى أبنائهنّ ، وفى ظنهنّ أن النوم على الجنب الأيسر يضرُّ بالقلب . هذا لغوٌ . وما دمت تغير وضعك فى الفراش عشر مرات على الأقل فى أثناء الليل ، فسواء نومك على هذا الجنب أو ذاك ساعة يغلبك النعاس .

٦ — لا تأكل ولا تشرب قبل أن تأوى إلى فراشك . هـذا الوهم أعمق الأوهام رسوخاً ، ولكن التجارب التى أجريت فى « معمل أبحاث النوم » على ناسٍ أكلوا ألواناً من الطعام كالشطائر أو اللبن البارد أو الساخن ، أثبتت أنها لا تؤثر أثراً ما فى النوم . أما القهوة فكثيرون من الناس يشربونها وينامون بسلام ، ولكنها تنبـه غيرهم فتؤرّقهم . وثمة طائفة ثالثة يظنون القهوة منبهة لطول ما تردد هـذا القول على أسماعهم ، فيتأثر نومهم بهذا الظن .

وأكثر الناس يروض نفسه على دورة رتيبة منتظمة من النوم واليقظة ، وخـير مـيزان لها هو حرارة الجسم التى تكون منخفضة فى الصباح ساعة نستيقظ ، ثم ترتفع إذا مابدأنا نفكر ونسعى . فإذا بدأ التعب يدب فى عضلاتنا ، تأخذ الحرارة فى الانخفاض ، فإذا دنا موعد النـوم عادت إلى الدرجة المنخفضة التى بدأنا بها يومنا .

فكيف تؤثر هذه الدورة فى نومنا كل ليلة ؟ تأمل فى هاتين الحالتين المألوفتين :

تعتزم فى أيام إجازتك أن تنـام إلى العاشرة من صـباح كل يوم ، ومع ذلك تظل تفيق من نومك فى السابعة كل صباح كما كنت تفعل أيام العمل ، فقد رسخت جذور هذه الدورة فى حياتك حتى تستيقظ وأنت فى غير حاجة إلى اليقظة .

أو قد تشاهد فلماً يمثل جريمة قتل ، فتعود إلى بيتك مهتاجاً متوتر الأعصاب ، فـترتفع حرارتك بدلا من أن تنخفض كعادتها فى هذه الساعة من الليل ، فإذا بك تقضى ساعات وأنت تتقلب مؤرّقاً فى فراشك

وقد تؤثر هذه الدورة فى الصلة بين الزوج وزوجته . وإليك قصة زوجين درس كلايتمان حالتهما . فقد كان حتما على الزوج أن ينهض من فراشه مبكراً كل صباح ، أما زوجته فكانت تؤثر أن تبقى فى فراشها ساعة أخرى أو ساعتين . فأفضى ذلك إلى

اختلاف دورة أحدهما عن دورة صاحبه، حتى إذا عاد الزوج متعباً فى المساء، ألفى زوجته زاخرة النشاط تريد أن تتنزه أو تسهر، فإذا أصبح الصبح وأفاق الزوج مبكراً وجدها متعبة يعييها أن تبادله الحديث. فمتى اختلفت الدورتان هذا الاختلاف، كانت العاقبة شجاراً ونقاراً ربما قوضا أركان الزواج. وقد قال أحد الباحثين فى «معمل أبحاث النوم»: «قد يكون مرد الطلاق إلى اختلاف الحرارة أكثر منه إلى اختلاف المزاج».

والرسائل تنهال على كلايتمان من ضحايا الأرق يسألونه فيها عن علاج شافٍ مضمون لهم جميعاً، فيرد: «هذا محال، فلكل امرىء علاج قد يفيده ولا يفيد سواه.

«فإذا كانت الرياضة تعينك على دفع الأرق، فاعمد إلى الرياضة. وإذا كانت الموسيقى تعينك على ذلك، فاستعن بها. وإذا كان الحمام الفاتر يساعدك على أن تسترخى، فاستحم. وإذا كان ترديد شىء واحد على لسانك أيًّا كان ذلك الشىء ينيلك ما تريد، فافعل، سواء كان ذلك الشىء أسماء العواصم الكبرى، أو تلاوة شىء من الشعر أو من الكتب المقدسة.

« ولكن، حذار من العقاقير المنومة، فإنها خطرها داهم، ولا تزيل أسباب الأرق» هكذا يقول كلايتمان.

وهو يقترح على ضوء ما انتهى إليه من تجاربه خلال ربع قرن ما يأتى:

١ — لا تغير ساعة نومك، فإن أكثر الناس ينالون نوماً أطيب إذا أووا إلى الفراش فى ساعة معيَّنة كل ليلة.

٢ — حاول أن تسترخى قبل موعد الرقاد، فإن أكثر النوم المضطرب يعود إلى إجهاد العقل أو العاطفة.

٣ — نم وحدك. إن كلايتمان يدرك أن كبار الذين يستشارون فى شئون الزواج يشيرون بأن السرير الواحد الذى يضم الزوجين هو عماد الزواج الموفق، ولكن التجارب المستفيضة تدل على أن نومك وحدك خيرٌ وأولى.

٤ — إذا كنت تنام نوماً مضطرباً فحاول أن تأوى إلى فراشك قبل الموعد الذى ألفته بساعة، فقد دلت تجارب كلايتمان على أن التبكير إلى الفراش يطيل النوم ويجعله أنفع، وأن الذين يتأخرون عن موعد نومهم المألوف يسوء نومهم بوجه عام.

٥ — اختبر نفسك لترى أتحظى بقسط وافٍ من النوم؟ فإذا كنت تستيقظ قبل أن يدق منبِّهك، فقد أصبت حصتك الوافية من النوم، ولكن إذا أحسست بتعب يلازمك ساعة يدق المنبِّه، فقدم ميعاد نومك فى الليلة التالية.

فرنسا فى أزمة

وليم سى . بوليت
سفير الولايات المتحدة فى فرنسا ١٩٣٦ - ١٩٤١

مختصرة من مجلة "لايف"

فرنسا التى شهدت انتصارات رائعة كثيرة ، ومُنيت بهزائم فادحة ، قد باتت اليوم مرة أخرى ميداناً لصراع مرير يرتبط بمصيره استقلالها وحرياتها وإيمانها القديم . نعم إن المدافع لم تشرع فى قذف نيرانها بعد ، ولكنّ قوة ستالين الدولية ، قد أخذت تحتشد كلها ، خفية وبلا هوادة ، لتسحق الديمقراطية فى فرنسا ، ولتقيم حكومة تكون صنيعة من صنائع الدكتاتور السوفيتى وتخضع لأمره .

وتدور معركة فرنسا هذه فى أرض نهكتها الحرب . فالفرنسيون قد أدركهم ضنىً فظيع بعد سبع سنوات عانوا فيها الحرب والنهب والفاقة يوماً بعد يوم . ودم الحياة الذى كان يجرى غزيراً فى جسم باريس ، أصبح بطىء الدوران . أما النساء فيقفن ساعات ينتظرن دورهن للظفر برغيف ، واللحم لم يزل عزيز المنال منذ أشهر ، إلا فى السوق السوداء حيث يباع بأسعار لا يطيقها إلا أغنى الأغنياء ، بيد أنك لا تجد شغباً فى باريس ، ويقول الناس : « إن دوام هذه الحال من المحال » ولكنها تدوم .

فكيف صارت فرنسا إلى هذا ؟ أين الهمة التى شيدت المعابد وقصور اللوفر وفرساى ، بل باريس نفسها ؟ لقد استنفدت الحرب العالمية الأولى كثيراً منها ، فقد خسرت فرنسا لكى تنال الظفر فى تلك الحرب ٦٫١٦١٫٠٠٠ من شعب تعداده أربعون مليوناً ، أما خسارة الإمبراطورية البريطانية كلها فقد بلغت ٣٫١٩٠٫٠٠٠ ، وأما خسارة أمريكا ، فكانت ٣٥٠٫٠٠٠ .

أما الحرب العالمية الثانية فقد استنفدت همم الفرنسيين استنفاداً أفظع . فقد عمد هتلر فى سنة ١٩٤٠ ، بعد أن اكتسح الجيش الفرنسى ، إلى خطة منظمة للهبوط بفرنسا إلى مستوى دولة فقيرة ضعيفة لا يرجى لها أبداً أن تقاوم إرادة ألمانيا . فقوض الألمان بقلة التغذية المنظمة صحة الفرنسيين وقوتهم ، رجالا ونساء وأطفالا ، وقد دام ذلك أربع سنوات . وأخذ الألمان كل شىء يريدونه مما يملكه الفرنسيون أو يستطيعون أن ينتجوه — الأثاث ، والثياب ، وأدوات المطابخ ومعدات الزراعة ، والماشية ، بل المواد

الطبية ولوازم طب الأسنان والصابون .

فلما نزلت جيوش الحلفاء فى فرنسا نزلت أرضاً أطفالها هزال ضعاف ، ورجالها ونساؤها مصابون بالسل ، وكلهم جائع رث الثياب يعسر عليه أن يستحم. وكان الجندى من جيوش الحلفاء لا يدرى حين يلقى فتاة فرنسية لم تستحم ، أن الصابون الذى تحتاج إليه قد نقل إلى ألمانيا، ولا كان يدرى حين يرى فتاة تستجدى الحلوى أنها إنما تفعل لأنها لم تزل جائعة منذ أربع سنوات . فيوم فرغ الألمان من فرنسا كانت بلداً لا يملأ العين .

دخل الجنرال ديجول فرنسا التى نهكتها الحرب ، فحياه الشعب تحية المنقذ — منقذ الماضى من الهلاك ، ومنقذ رجاء المستقبل . وأولاه الفرنسيون ثقتهم فى توحيد الأمة حتى تنهض بمهمة التعمير الجسيمة ، وكان هو أيضاً رجلا ملؤه الثقة واليقين . وكان يعلم أن الشيوعيين يشعرون بأنهم يستطيعون أن يقضوا عليه ، ولكنه كان يظن أنه أقوى منهم . وقد كان أقوى منهم فى مبدأ الأمر .

وقد فعل الحزب الشيوعى الفرنسى ، ما ألفت أن تفعله الأحزاب الشيوعية فى سائر الأمم . فتلقى الأوامر من موسكو ، وعدل خطته حتى تلائم مقتضيات السياسة السوفيتية الخارجية . فيوم سلمت الحكومة الفرنسية لهتلر، وكان يومئذ حليف ستالين، أهان الشيوعيون ديجول ونددوا ببريطانيا وأمريكا وكل من قاوم النازيين من رجال وأمم . ولكن هتلر هاجم روسيا فى يونيو ١٩٤١ ، فيومئذ جعل الشيوعيون يثنون على ديجول ، ويحيون « الديمقراطيات العظيمة النبيلة » ، أى بريطانيا وأمريكا اللتين وسموهما من قبل بوصف « الدول الاستعمارية التى تسيطر عليها شركات لا ترحم » .

بدأت حركة المقاومة الفرنسية فى ١٨ يونيو ١٩٤٠ يوم أذاع ديجول من لندن أن فرنسا قد خسرت معركة ولكنها لم تخسر الحرب ، وأهاب بجميع الوطنيين الفرنسيين أن يقاوموا النازيين . فبعد أن هجم هتلر على روسيا ، ضمت قوة الحزب الشيوعى الخفية بأسرها إلى حركة المقاومة الفرنسية ، فكان الشيوعيون يضحون بحياتهم شجعاناً ، ورضى ديجول بأن ينضم ممثلو الشيوعيين إلى جماعته فى لندن، ثم عينهم فى حكومته المؤقتة التى ألفت فى الجزائر .

وقد فتك النازيون فى فرنسا بجميع الذين وقعوا فى أيديهم من رجال المقاومة الفرنسية، ولكنهم خصوا الشيوعيين بمطاردة لا تفتر، وسرعان ما صار الشيوعيون من أبطال الوطنية فى فرنسا .

فلما بدأ الجيش الألمانى يتقهقر ، وجه الشيوعيون الفرنسيون عناية خاصة إلى

« تحرير » المصارف ، فاستطاعوا أن يستولوا على ملايين كثيرة من الفرنكات، فصار الحزب الشيوعى بعد ذلك الحزب الوحيد فى فرنسا الذى يملك مبالغ طائلة من المال . وفضلا عن ذلك فقد قبضوا على أعيان الصناعة الأغنياء الذين كانت مصانعهم تعمل فى ظل الاحتلال الألمانى ، وهددوهم بالموت إن لم يسخوا فى تبرعهم للحرب . وأقصوا غير الشيوعيين عن المجالس البلدية، وأحلوا الشيوعيين محلهم حيث استطاعوا أن يفعلوا. بل تمكنوا من أن يعينوا أحد مجاهديهم القادرين، مارسيل بول ، وزيراً للإنتاج الصناعى . وكانت وزارته هى التى تصدر التراخيص لشراء خامات الصناعة ، فسرعان ما تبين رجال الصناعة أنهم لا يستطيعون أن ينالوا الخامات اللازمة لمصانعهم إن لم يتبرعوا بالمال للحزب الشيوعى.

وأخطر من ذلك تسرب الشيوعيين إلى اتحاد العمل العام، وهو الاتحاد الكبير الذى يضم نقابات العمال الفرنسيين فى البلاد، وقد أحسن الشيوعيون مناورتهم فى داخل الاتحاد فانتزعوا من غير الشيوعيين أكثر مناصب القيادة . وترى اليوم بنوا فراشون، السكرتير العام الثانى للاتحاد هو الحاكم المطلق فى الاتحاد الكبير . فلذلك تجد الحزب الشيوعى قادراً متى شاء أن يدعو إلى الإضراب، فيشل حياة فرنسا الاقتصادية، ويستنفد آخر ما ادخرته البلاد من احتياطى مالى واقتصادى ، ويعجز كل حكومة غير شيوعية أن تتولى مهمتها .

وقد يكون فى الوسع أن تستأصل جذور السلطان الشيوعى من اتحاد العمل العام على كر الأيام . فخمس الأعضاء على الأقل من الاشتراكيين وهم متنكرون لسلطان الشيوعيين . وهناك خمس آخر أو نحو الخمس ، مؤلف من أعضاء النقابات القديمة، وهؤلاء يرون أن مهمة زعمائهم هى أن يحسنوا أحوال العمال ، لا أن يخدموا أغراض السياسة السوفيتية الخارجية .

وفى فرنسا اتحاد آخر للعمال منتشر فى أرجاء البلاد يسمونه الاتحاد الفرنسى للعمال المسيحيين، وهو مناهض للشيوعية ولاريب. وتدل الانتخابات التى تمت منذ عهد قريب لمجالس الأمن الاجتماعى على أن عطف العمال أخذ يتحول عن اتحاد العمل العام إلى الاتحاد الفرنسى للعمال المسيحيين. وإذن فثمة وسائل لإرخاء قبضة الشيوعيين على العمال إرخاء متدرجاً . وليس ثمة مهمة أعظم من هذه ولا أجل شأناً لمستقبل فرنسا .

فلما تغلغل السلطان الشيوعى تغلغلا كافياً فى جسم فرنسا المنهوك، بدأ الزعماء الشيوعيون يعرقلون أعمال ديجول ويناهضونه حتى

نفد صبره فاستقال فى يناير ١٩٤٦ ، فربح الشيوعيون الجولة الأولى فى هذا الصراع . وقد خرجوا من انتخابات نوفمبر ١٩٤٦ وهم أقوى حزب فى فرنسا، فلهم ١٦٩ عضواً فى مجلس عدد أعضائه ٦١٨ ، وقد زاد عـدد نوابهم حتى صار ١٩٧ بتأييد ثلاثة من الأحزاب المنتمية إليهم . وترى فى صف المعارضة لهم حزب الحركة الجمهورية الشعبية، وعدد نوابه ١٦٧ . ويؤيد هـذا الحزب تأييداً قوياً جماعات النقابات المسيحية وغلاة المحافظين من الكاثوليك ، وأقدر زعمائه هو جورج بيدو وزير الخارجية ، وبيير هنرى تيتجن نائب رئيس الوزارة . أما الاشتراكيون فهم ثالث الأحزاب وعدد نوابهم ١٠٥ ، ويؤيدون رئيس الوزارة بول راماديه الذى يؤيده أيضاً زعيم الحزب ليون بلوم تأييداً قوياً .

وأنت تجد اليوم أن ديجول وليون بلوم هما الفرنسيان الوحيدان اللذان يستمتعان باحترام جميع الفرنسيين تقريباً ، وقد تجد من يكرههما ، ولكنك لا تكاد تجد من لا يحترمهما. وقد بلغ بلوم الخامسة والسبعين، ولا يزال ذهنه متوقداً كما كان ، ولكنه صار بعد سنوات الأسر فى عهد الاحتلال الألمانى، أضعف من أن يقوم بأعباء رئاسة الوزارة مدة أطول من بضعة أسابيع متوالية .

أما راما دييه فذهنه من الطبقة الأولى صفاء ودربة ، ولكنه دون ذهن بلوم توقداً، وهو رجل كريم الخلق نقى الصفحة متين الأسر، يستطيع أن يعمل ١٦ ساعة كل يوم دون أن ينهكه العمل . وقد ظفر بقدر عظيم من التقدير ، ولعله الرجل الذى أعدته العناية ليعيد الاستقرار إلى مالية فرنسا وحياتها الاقتصادية — وهى المهمة التى اضطلع بها بوانكاريه فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وللشيوعيين ممثل دائم واحد على الأقل فى كل مدينة وقرية كبيرة فى أرجاء فرنسا ، وكلٌ ممثل مزود بمبالغ طائلة من المال ، ولا يكف عن السعى ليل نهار لمصلحة حزبه . ويدأب الشيوعيون على أن يطابقوا بين نهج دعايتهم وطبيعة الجماعة التى تذاع فيها . ففى « الضواحى الحمراء » حول باريس تراهم يدعون إلى العداء بين الطبقات، وفى الريف الكاثوليكى النزعة تراهم يحضّون الناس على التصويت للشيوعيين بقولهم : « إذا كنت تؤمن بالدين والأسرة والملكية الخاصة ، وتقسيم الأملاك الكبيرة فصوّت للشيوعيين»

ويصيب الشيوعيين نجاحاً فى هذا النفاق، لأنك لا تجد فى فرنسا اليوم صحافة تعرض على الفرنسيين الحقيقة عن بلادهم وعن سائر العالم . ومعظم الصحف صحف رأى فلا تنشر سوى الأنباء التى تؤيد آراءها السياسية .

وليس ثمة سوى طريق واحد يهدى الفرنسى إلى حقيقة مايتم ، وهو أن يقرأ طبعة باريس من صحيفة نيويورك هيرالد تريبون ، فلو أصدرت هـذه الصحيفة طبعة فرنسية ، لصارت أوسع الصحف انتشاراً فى زمن قصير ، ذلك بأن الفرنسيين يتلهفون على معرفة الحقائق تلهفهم على اللحم والخبز ، أما الرواج العجيب الذى ظفرت به الصحيفة الشيوعية الأسبوعية التى تنشر للفلاحـين بعنوان « الأرض » فمردُّه إلى أنها تنشر حقائق دقيقة نافعة للفلاح ، لا إلى ما ينشر فى ثناياها من الدعاية . وقد كسبت صحيفة « الأرض » أصواتاً كثيرة للشيوعيين ، بلغت فى بعض الدوائر ٢٥ فى المئة .

وإذا استثنيت طبقة الفلاحين التى ارتفع مستوى معيشتها بعد تحرير فرنسا بفضل ماتبيعه فى السوق السوداء ، فإنك تجد أن سائر الجماعات قد غدت أسوأ حالا مما كانت قبل الحرب . فالعمال قلقون سراعٌ إلى الغضب ويميلون إلى الإضراب ليظفروا برفع أجورهم . فلما رفعت الأجور ٢٥ فى المئة فى يوليو ١٩٤٦ ، أفضى ذلك إلى ارتفاع مستوى الأسعار خمسين فى المئة ، فكانوا بعد رفع أجورهم أسوأ حالا .

والشيوعيون دون غيرهم ينافقون حين يعدون الفلاحين برفع الأسعار ، والعمال برفع الأجور وخفض نفقات المعيشة بوجه عام . أما رامادييه رئيس الوزارة ، وهو اشتراكى معتدل، فقد وقف موقف الشجاع فصرح أن الأجور لا يمكن أن ترتفع ، وأن مستوى الأسعار ينبغى أن يخفض . فإذا وفق فى خفض الأسعار والاحتفاظ بسعر الفرنك فى مستواه الراهن ، فلفرنسا أن تأمل الظفر بانتعاش صحيح بعد سنتين أو ثلاث تعانى فيها محناً أليمة . أما إذا أطلق الشيوعيون سلسلة من أعمال الإضراب لإبطاء العمل، أو إذا دعوا إلى إضراب عام، فانتعاش فرنسا سوف يتأخر زمناً طويلا . وقد تكون نتيجة ذلك مأساة محزنة .

فإذا وقع النزاع وصار الاعتماد فى حسمه على القوة ، فالشيوعيون يستطيعون أن يعتمدوا على مالهم من هيمنة على اتحاد العمل العـام ، ثم على جيشهم السرى الذى يكاد يبلغ ١٥٠٫٠٠٠ رجل أحسن تنظيمهم وتسليحهم . وهم متأهبون للاستيلاء على دور الصنعة ومخازن الذخيرة والمطارات . وربما كان ٤٠ ألفاً من الجيش الشيوعى السرى مرابطـين فى منطقة باريس . فإذا ساروا على طليعة قوة تزحف من الضواحى على باريس ، فمنذا الذى يستطيع أن يقف فى وجههم؟ فقد كانت قوة الشرطة فى باريس قبل الحرب هيئة ذات كفاية

وقدرة ،وكانت أيضاً بمنجاة من السياسة ، أما اليوم فيكاد يكون ربعهامن الشيوعيين، وربما كان ربع آخر من الذين يعطفون على الشيوعيين . ويبلغ عدد أعداء الشيوعيين فيها ١٥ فى المئة ، وأما البقية فليس لرجالها عقيدة سياسة خاصة . وإذن فليس فى الوسع أن تعتمد على شرطة باريس فى حفظ النظام.

وقد حاول الشيوعيون أن يتسربوا إلى الجيش فلم يوفقوا ، بيد أن الجيش لا يزيد الآن على ٣٥٠ ألفاً منهم نحو ١١٥ ألفاً يقاتلون فى الهند الصينية ، وبعضه مرابط فى مدغشقر وتونس والجزائر ومراكش ومنطقة الاحتلال الفرنسية فى ألمانيا ، فلا تجد من الجيش فى فرنسا نفسها سوى ٧٠ ألفاً .

وقد لا ينشب نزاع صريح بين الحكومة والشيوعيين، فإذا نشب، فإن قرار نشوبه يوضع فى موسكو لا فى باريس ، ذلك بأن الفرنسيين لا يحبون أن يعودو إلى القتال ، بل ينشدون السكينة والسلام ليعمروا بلادهم ويبنوا حياتهم بناء جديداً . وكل فريق يبادر إلى بدء النزاع ، يلقى نفسه عرضة لسخط الأمة ، فيكون ذلك حاسماً . والشيوعيون يدركون هذه الحقيقة ، فهم لا يجرؤون اليوم على بدء النزاع ، ولكنهم يخضعون لأوامر موسكو إذا جاءتهم .

وقد تأتيهم هذه الأوامر إذا تفاقم نقص الخبز فى فرنسا واستفحل ، فإذا أعوز فرنسا الخبز ، جاشت نفسها بالثورة ، ويومئذ قد يضرب الشيوعيون ضربتهم حتى يقبضوا على زمام السلطان . وعلى كل حال سوف يحاولون أن يحولوا دون توفيق حكومة رامادييه فى تنفيذ خطة المحافظة على الأجور وخفض الأسعار وموازنة الميزانية وتثبيت الفرنك. فإذا أصاب الصقيع محصول القمح الشتوى وقضى على فرنسا أن تنفق ٢٠٠ مليون ريال لتشترى قمحاً من أمريكا، وإذا استمر نقص الفحم الذى يمنع المصانع من العمل كل الوقت ، ويستلزم مبالغ طائلة من المال لشراء الفحم من أمريكا إلى أن تزداد حصة فرنسا من فحم الرور ، أو تعطى كل إنتاج الفحم فى منطقة السار، إذا حدث ذلك كانت موازنة الميزانية وتثبيت الفرنك مستحيلة على أية حكومة فرنسية إن لم تنل عوناً من الخارج . ولا يمكن أن يجيئها هذا العون إلا من أمريكا .

فما مبلغ ما تحتاج إليه فرنسا من الريالات؟ يقول المتفائلون إنه ٥٠٠ مليون ريال كل سنة مدة ثلاث سنوات . ويقول المتشائمون ألفى مليون ريال كل سنة مدة ثلاث سنوات، فإذا لم تنل هذا العون ساءت الأحوال الاقتصادية والمالية فى فرنسا سوءاً مطرداً .

وفى فوضى التضخم النقدى والانهيار الاقتصادى يصير الشيوعيون أدنى إلى الظفر بالسلطان على البلاد وتحويلها إلى مثل مقام بولندة فى دول الأتباع التى أقامها ستالين من حوله . وقيام حكومة شيوعية فى فرنسا مؤداه سيطرة ستالين على الإمبراطورية الفرنسية كلها : شمال إفريقيه بأسره ، والسنغال بمينائه العظيم ، دكار القائمة قبالة البرازيل ؛ ومدغشقر ، والهند الصينية ، وجزائر مارتينيك وجوادالوب ومستعمرة غينية الفرنسية بقرب قناة بنما . ويضاف إلى ذلك أنه لاتكاد تنقضى بضعة أسابيع على قيام حكومة شيوعية فى باريس حتى تقع بلجيكا وإيطاليا فى أيدى الشيوعيين ، ويتبعها سائر أوربة الغربية على الأثر ، حتى تصير منطقة الاحتلال الأمريكية فى ألمانيا كالجزيرة الصغيرة فى إمبراطورية شيوعية تمتدُّ من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهادى .

فوزارة رامادييه ، أو أى تعديل لها يجعل على رأسها رجلا آخر إلى حين — مثل بلوم — هى خط الدفاع الأول ضد السيطرة الشيوعية على فرنسا . أما خط الدفاع الثانى والأخير ، فهو ديجول .

القوت ، والفحم والآلات ، والصداقة ، والمناورة السياسية — جميعها ليست كافية فى معركة فرنسا الدائرة الآن . فالإنسان يعيش فى أعمق أعماق كيانه على الأمل والرجاء ، والإيمان والرجاء ضعيفان فى فرنسا اليوم . فثمة عشرات الألوف من الشباب الفرنسى الديمقراطى يرغبون فى الهجرة إلى أمريكا الشمالية والجنوبية . فلِمَ يرغبون فى ذلك ؟ لأنهم فقدوا إيمانهم فى إمكان قيام الحضارة الأوربية من عثرتها ، ولأنهم يرون فى الأفق البعيد ، المارد السوفيتى بعجلاته الساحقة .

فأوربة بين اثنتين : فإذا عجزت شعوبها الحرة عن الانضواء فى اتحاد ديمقراطى ، فأوربة كلها سوف تتحد على الزمن تحت الطغيان السوفيتى. فينبغى لجميع الحكومات الديمقراطية فى هذه اللحظة أن تسعى مع الحكومة الفرنسية لتدبير الوسائل لإنشاء الولايات المتحدة الأوربية ، وأن يكون باب الاتحاد مفتوحاً لتنضم إليه جميع الدول التى لها دساتير ديمقراطية ، وتراعى فى أممها حقوق الإنسان ، ولاتستثنى الولايات الألمانية من ذلك . فتحت هذه الراية يستطيع الفرنسى الديمقراطى أن يعاود السير يحدوه الإيمان والأمل ، وأن يكسب المعركة المريرة الدائرة فى فرنسا اليوم .

اختبار إجبارى للزهرى قبل الزواج

هذه صفوة ما كتبه باحث مدقق فى موضوع اجتماعى خطير ، بعد أن استعان بآراء السلطات الصحية فى ولايات مختلفة .

يقول أنصار الفحص الإجبارىّ للزهرىّ قبل الزواج :

« ليس بين مآسى البشرية مأساة أشدُّ ظلماً أو تدميراً للعواطف من مأساة زوجين يتبينان بعد فوات الأوان ، أن الزهرىَّ قد بسط على حياتهما ظلَّهُ البشع .

« وقد يكون « الأوان قد فات » يوم يتبيَّن الزوج الشاب أنه قد نقل عدوى المرض إلى زوجته وهو يجهل علته ، فيسلبها ذلك نعمة الحياة الزوجية الطيبة مدة سنة أو أكثر يستغرقها العلاج . أو لعلّ الزهرىّ ، وهو داء لئيم ختّال ، يكمن فى الجسم فلا يعلن عن نفسه إلا بعد أعوام . وقد لا يدرك الزوجان شيئاً عن مرضهما حتى يرزقا بطفل فيولد ميتاً أو مشوّهاً ، بل ربما امتدّ جهلهما بالمرض زمناً أطول حتى يجىء يوم يفجأ فيه هذا الولد بالعمى أو بالجنون .

« ولن تجد ما يسوّغ هذه الفظائع بمجرّد إلقاء التبعة على آثام الآباء ، فمثل هذا الاتهام تجنٍّ آثم ظالم ، لأن الزهرىّ لا يصيب المرء عن طريق الإثم وحده ، ولكنه قد يصيبه ولم يرتكب إثماً ولا موبقة .

« فلذلك تهدف قوانين فحص الأزواج قبل الزواج ، إلى محو كلمة « بعد فوات الأوان » من قاموس الحياة الزوجية . فإذا ماحتم على طلاب الزواج أن يثبتوا أنهم خلوٌ من الزهرى ، فقد خطا المجتمع البشرىُّ خطوة كبيرة نحو حمايتهم وحماية نفسه من هذه الكوارث .

« وقد زرت الولايات التى سُنَّ فيها هذا القانون ونفّذ ، فتبينت أن أكثر المقبلين على الزواج من الجنسين يرضون عن هذا الإجراء ، متى أدركوا الغرض منه . أما القلة الضئيلة التى لا ترضى عنه ، فهى فى الأغلب من طائفة الجهلة أو طائفة المجرمين ، وكلتا الطائفتين أعسر الطوائف مقادةً ، ولن تجد غير القانون رادعاً لها عن غيِّها .

« وولاية وسكنسن راضية أعظم الرضى عن تجربة هذه القوانين ، فلذلك سنّت قانوناً يفسخ بمقتضاه الزواج الذى عقد خارج الولاية ، مالم يقم الزوجان بجميع الشروط التى ينصّ عليها قانون مكافحة الأمراض السرّية فيها .

« ولما نفذ قانون ولاية إلينوى فى شهر يوليه سنة ١٩٣٧ حذّرت صحف شيكاغو جميع القبلين على الزواج من تخطى حدود الولاية لعقد زواجهم فى إحدى الولايات المتاخمة لها . ومن الجلى أن هذه الصحف كانت تعبّر فى هذا التحذير عن ارتياح سواد أهل الولاية إلى هذا القانون .

« يعقد فى الولايات المتحدة نحو مليون زواج كل عام ، فلو حتمت كلُّ ولاية منها الفحص الإجبارى للزهرى قبل الزواج ، لأفضى ذلك إلى فحص مليونى رجل وامرأة كل سنة ، وأكثر هؤلاء ممن لم يتح لهم هذا الفحص من قبل ، وهم يفحصون فى وقت أشد ما يكونون فيه رغبة فى مداومة العلاج حتى يبرأوا .

« ثم إن معظم هؤلاء ذكور وإناث فى سن الشباب ، وهم آباء الجيل المقبل . ولا مراء فى أن فحص مليونين كل عام ، وعلاج من يحتاج منهم إلى علاج ، يؤديان إلى خفض معدل الزهرى خفضاً بيِّنا . ويوم يقرر الرجل أن يربط مصيره بغيره من الناس — زوجته وأولاده من بعد — يحسن بالقانون أن يقول له : « مكانك أيها الرجل فلست وحدك فى زواجك ، فهلم نرى إن كنت رجلا يصلح للزواج » .

« ولا يعقل أن يقاوم هذا الإجراء رجل من أهل الرأى السليم . بل هيهات أن يعارضه سوى المتزمِّت أو المريض .

« ولو لم يكن لهذا التشريع من أثر سوى إطلاع الناس على الحقيقة، لكان ذلك حسبه. ومصالح الصحة لا تفتأ تكافح فى سبيل الجهر بحقيقة الزهرى ، وتجريدها من أستار الحياء التى تختفى وراءها . فهنا مليونان من الناس ، كل اثنين منهم خليقان أن يكونا أبا وأما ، ولعل معظمهم لا يعرف عن الزهرى شيئا صحيحا وافيا ، فتراهم يتلقون الحقائق التالية إذا نفذ القانون :

« أن الإصابة بالزهرى ليست بالضرورة جريمة خلقية ، وأن كل امرىء كائنا من كان يمكن أن يُشتبه فى إصابته بالزهرى ، حتى يثبت أنه خلو منه .

« وأن الاختبارات التى أتاحها العلم لاستكشاف هذا المرض سهلة وفاصلة .

« وأن الزهرى مرض قابل للعلاج ويمكن البرء منه ، بل إن استئصاله ممكن

إلى حد كبير ، إذا أتيح لمليونين من الناس كلَّ سنة أن يتلقوا المعارف الطبية الصحيحة فى مثل هذه الأحوال الملائمة .

« نعم إن الفحص الإجبارى قبل الزواج قد يفضى إلى فسخ الخطبة أحيانا ، لأنه يحتم تأجيل الزواج ، ولكن أيعد هـذا الاعتراض اعتراضاً وجيهاً ؟

« وقد وجدت ولاية إلينوى أن عدد الذين يعترضون على الفحص قبل الزواج هم قلة نادرة ، فأكثر الناس هم إلى العقل والحكمة أدنى ، وفى وسعك أن تقنع من تشاء فى دقيقتين، أن مثل هذه القوانين لا تحُد من حرية الفرد ، أكثر مما يفعل عزل مصاب بالجدرى » .

ويقول خصوم هذا القانون :

« نحن أعداء للزهرى كل الأعداء . ومن ذا الذى ليس عدواً له ؟ ونحن جميعاً نوافق كل الموافقــة على الدعوة إلى تعليم الناس كيف يحاربُ الزهرىُّ علناً ، ولكن إعلان هذه الحرب يفضى دائماً إلى الخطأ فى القيام بعمل يستوقف الأنظار ، مهما كان ذلك العمل بعيداً عن الصواب والنفع . ومهما يكن من حسن نية الذين يدعون إلى سن هذه القوانين ، فإنها ولا محالة من القوانين التى يصدق عليها هذا الحكم العام .

« والإجبار ضرر لاريب فيه إذا أريد به أن يكون بديلا من التعليم الواقى ، وهو فى كفاح الزهرى شىء لاجدوى منه .

« إن السل وهو مرض أعصى من الزهرى ، من الناحية الطبية المحض ، صائر إلى الزوال ، بالتعليم والعلاج الاختيارى ، دون اللجوء إلى العسف والإجبار .

« والسويد التى كادت تقضى على الزهرى وسبقت فى ذلك كل بلد آخر ، لم يعن أهلها أقل عناية بسن قوانين للفحص قبل الزواج، فمن الواضح أن مثل هـذا القانون ليس بالوسيلة التى لا غنى عنها للنجاح فى الجهاد الموفق لاستئصال الزهرى .

« إن الســـويد تعمل ما ينبغى عمله وما يمكن عمله فى كل بلد ، فقـد وضعت نظاماً يتسع شيئاً فشيئاً حتى يبسط ظله على السكان جميعاً — أزواجاً وخطاباً وعزاباً . وركناه هما التعليم الشامل وتيسير العلاج لكل إنسان .

« إن فحص الدم لا يكشف الزهرىَّ فى بواكيره ؛ حين تكون عدوى المرض أشد ما يكون .

« وقوانين الفحص الإجبـارى قبل الزواج ، هى كجميع القوانين ، خليقة أن تكون قائمة على شىء كثير من التعسُّف والجمـود . فهى تفرض ، وتلقى فى روع

الناس ، أن اختبارات الزهرى (فاسرمان وكان وكلاين) تخرج من الفحص بحكم يصحُ الاعتماد عليه فى أمر الرجل (أو المرأة) وهل هو صالح أو غير صالح للزواج . ولما كانت هذه الاختبارات لا تصنع شيئاً من هذا ، فإن القانون القائم عليها ينجلى عن ظلم شديد . فكثير من الناس يدلُّ اختبارهم على أنهم مصابون حقًّا بالزهرى ، ومع ذلك فنحن نجد إذا قصرنا النظر على قدرتهم على نقل عدوى المرض إلى زوجاتهم، أن لهم الحق كل الحق أن يتزوجوا . فقد يعالج المصاب وتزول قدرته على أن يعدى غيره ، ومع ذلك يظل الاختبار يدل على أنه مريض . ولذلك يقول الخبراء إن نصف الذين يدل الاختبار على أنهم مصابون ، ليس بهم ما يحول دون زواجهم ، لأنهم لا يعدون غيرهم .

« وأيًّا كان الأمر ، فإن الحكم فى هذه المسألة لا ينبغى أن يصدره إلا طبيب واسع التجربة متخصص فى الزهرى . والقانون الذى يتخذ من هذه الاختبارات العملية دليلا حاسماً فى حالة المرض ، ليس فيه متسع لرأى الخبراء .

« وقد تركت ولاية كونتيكت للطبيب الخاص أن يحكم هل يستطيع المريض أن يتزوج أو لا ، بعد أن يدرس نتيجة الفحص ويحقق دلالتها . ولكن متى منح القانون مثل هذه السلطة الواسعة للأطباء تحاشياً للظلم الذى قد يقع على الناس ، كثرت المغريات التى تغرى الأطباء بإصدار ما يشهد لزبائنهم بالسلامة من المرض .

« وبعض أطباء الصحة من أهل التجربة يعد هذه القوانين إتلافاً للمال ، ويقولون إن الجمهور خليق أن ينال بالمال نفسه نفعاً أكبر فى توقى الزهرى ، لو أنفق المال بأسلوب أجدى وأنفع .

« وعماد الحجة التى يسوقها الدعاة إلى سن هذا القانون ، هو أنه يحول دون تكرُّر تلك المآسى الفظيعة — مآسى ولادة أطفال وهم مصابون بالزهرى . فإذا كانت حماية الأطفال قبل ولادتهم هى هدف القانون ، فما أبعده عن إصابة المرمى . إن الزوجة التى تكون خلواً من الزهرى قبل زواجها . قد تصاب به من زوجها بعد الزواج ، أو من تقبيل قريب لها مصاب بالزهرى فى دور من أدواره المعدية . فالفحص قبل الزواج لا يضمن لها أن تبقى خلواً من المرض ، ولكنه يلقى فى روعها أنها خلو منه . وهذا ضرر لا ريب فيه .

« فلكى نحمى الواليد من الزهرى يقتضينا المنطق أن نجعل الفحص بعد بدء الحمل ، لأنه إذا عولجت المصابة علاجاً وافياً

قبل الشهر الخامس من الحمل استطاعت أن تلد وليداً غير مصاب بالزهرى فى تسع حالات من عشر حالات .

« ومراكز رعاية الأمومة التى تساير تقدم علوم الطب تفحص دم جميع الحوامل، فلو فعل الأطباء والقوابل ما تفعل ، ولو فرض على المكاتب التى تصدر رخص الزواج أن تبين لكل عروس بكلام بسيط واضح أنه ينبغى لها أن تعرض نفسها على الطبيب للفحص قبل الشهر الخامس من حملها ، لما تبقى من مشكلة الوليد المصاب بالزهرى سوى شىء لا يذكر .

« فإذا قدّرنا أن المرأة المصابة بالزهرى فى دوره الذى لا يعدى ، تستطيع أن تنجب مولوداً سليماً فى أكثر الأحوال ، فهل ثمة مسوّغ يسوّغ للمجتمع أن يحرم عليها الأمومة لأن الفحص العملىّ يدلُّ على وجود المرض فى بدنها ؟



موعد مع القدر

ظل الزوجان عشرين سنة بغير عقب ، فلما علم الزوج أن زوجته حامل ، كادا يطيران فرحاً . فلما تمت الولادة حزن الطبيب حزناً شديداً ساعة تبين أن ذراع الطفلة الوليد ليست ذراعاً سوية بل هى ذاوية لا يرجى منها خير . فتشدّد وأنبأ الأب بالحقيقة ، وعرض أن يترفق فى إبلاغه للأم ، فقال الزوج : « لا ، دعنى أخبرها بنفسى » .

ودخل الزوج والطبيب على الأم ووضعا الطفلة إلى جانبها، فجعلت تعجب بلين بشرتها الناعمة البضة كورق الورد ، ومرت بأصابعها على شعرها الناعم كزغب الطير ، والتفتت إلى زوجها وقالت : « إنها طفلة تامة التكوين ، أليست كذلك ؟ »

ورأت فى نظرة زوجها شيئاً يريبها ، فرفعت القُمُط ورأت الذراع الذاوية ، وساد الغرفة سكون عجيب وإذا المرأة تلتفت إلى زوجها مرة أخرى وتقول كأنها تهمس همساً : « لقد تدارك الله برحمته هذه الطفلة فأرسلها إلينا لعله بمبلغ حاجتنا إليها ، ومبلغ حاجتها إلينا » .

[إيفا فورنيه]

هذه أرض ترى ظلامها أبيض، وعواصفها ساكنة، ويرى فيها المرء دليلا بعد دليل على ضعفه وضآلته .

أرض العجائب

فى المنطقة المتجمّدة الجنوبيّة

توماس ر . هنري

مختصرة من مجلة "ستردای ایفننج بوست"

إذا بلغ الرّحالة بحر روس ، ذلك البحر الوحش فى أدنى كرة الأرض ، وجد العواصف ساكنة كأنها مواتٌ ، والثلج متحركاً كأنه حيٌّ ، ووجد الجبال تسير، ورأى ألواناً غريبة موشّاة تتدلّى من السماء كأنها ستائر من وَشْى مرقوم ، ويخامر قلبه أنه قد نزل فى مدينة مهجورة فى كوكب غير هذا الكوكب . وحيثما سار لم يجد سوى الصمت المطبق ، صمتِ ملايين من السنين قد تجمّع فى مكانٍ واحدٍ .

وتبلغ مساحة بحر روس ربع مليون ميل مربع من جمد يمتدّ موغلا فى المنطقة التجمدة الجنوبية حتى يصير على بعد نحو من ٨٠٠ ميل من القطب الجنوبى . وقد قامت سفن الأسطول الأمريكى برحلة إلى المنطقة المتجمدة الجنوبية ، فلما بلغنا بحر روس وأخذت السفن تمايل وتضرب بحيازيمها فى أمواجه المتجمدة، كان ذلك أول دخولنا إلى بيداء موحشة مترامية كأنها من مساكن الجن.

وإذا رميت ببصرك إلى الأفق البعيد رأيت طرقاً مظلمة محفوفةً بجبال من الثلج ، هى أكثر مما تستطيع أن ترى فى أىّ مكان آخر من الأرض ، وأصغر هذه الجبال يبلغ ارتفاعه ٢٠٠ قدم، ومساحة قاعدته ميل مربع.



وقد مررنا بجبل منها تقدر مساحة قاعدته على أقل تقـدير بنحو ٢٠٠ ميل مربع . وقد تولت يد الرياح والشمس والماء هذه الكتل من الجمد فصورتها على هيئة قصور وكنائس ومساجد ومعابد وسفن وحيوان وإنسان . وقد يكون شيء من هذا الشبه راجعاً إلى خيال المتخيل ، ولكن حدث ذات يوم أن ذهب عشرة من ضباط الأسطول فرأوا جبلي ثلج يسيران وبينهما نحو خمسة أميـــال ، فجاء كل منهم يصف ما رأى ، فكاد وصفهم يتقـارب كل التقارب : كان أحدها كأنه صورة طبق الأصل من بناء مجلس النواب في وشنطن ، مشيداً بأشد أنواع المرمر بياضاً مرصعاً بالزمرد البراق، وعليه قبة يتلألأ نورها. أما الآخر، وهو ضعف الأول حجماً ، فكان كالبيت الأبيض في هيئته وتقاسيمه .

أما كنائس الجمد وقصوره فهي مزيج عجيب من الأبيض والأخضر والازرق . وترى اللون الأزرق غالباً ، وهو أشـد زرقة من أديم السماء الصافية — حيثما وجد في منطقة الجليد شق أو صدع ، وفي قبة السقوف المعقودة في الكهوف التي نحتتها الأمواج في قلب جبال الثلج ، وتبلغ سعة هذه الكهوف مبلغاً هائلاً حتى إنه ليتيسر للبارجة أن تسير في جوف كثير منها .

ولما سارت بنا سفننا تتقدمها السـفينة محطمة الجمد ، وشقت طريقها جنوباً تحت شمس دافئة مشرقة، تراءى لنا فجأة عند الأفق شاطيء مخضر كخضرة المروج في تباشير الربيع . وكانت حشائش هذه المروج كأنها حشت حتى تساوت بالأرض ، وبدت جدران الحجر والأسوار كأنها مربعات على رقعة شطرنج ، والبقعة كلها ترتفع ارتفاعاً هيناً حتى يختلط أعلاها بأهداب غيوم كأنما نسجت من زغب الطير ، وبدت لأعيننا مزارع تحيط بها الأســوار ودور مبنية بالحجر الأغبر ، فكأنما هي لوحة رسمتها يد فنان ، طولها خمسون ميلا وارتفاعها عشرة أميال ، وقد علقت في الفضاء عند حواشي الأفق .

وهذه السماء المزركشة ، كما علمنا، ليست سراباً خداعاً كالذي يصفه من ركب البادية، بل هو مثل عجيب لانعكاس أضواء الثلج. وهذه ظاهرة خاصة لا ترى إلا في المنطقة المتجمدة الجنوبية. وكانت الجدران والأسوار والبيوت كأنها ، في بعض ما ترى العين ، من صنع السحب الدانية من الأرض ، ومن ورائها سماء مختلطة الألوان ، وكانت أيضاً كأنها صور من فانوس سحري صنعها انعكاس أضواء الثلج على حاشية الأفق . ويقول بعض الذين كانوا مع الأميرال بيرد

فى رحلته الأخيرة ، إنهم اهتدوا إلى طريق عودتهم بهذه الخرائط التى كانوا يرونها مصورة على صفحة الأفق .

ولما أصبح اليوم الثانى انتهت بنا سفننا إلى بياض مُصْمَت شامل . فعلى مدّ البصر لا ترى سوى بياض أديم الجمد ، وكانت السماء فى مثل بياض الثلج ، وكان الهواء فى مثل بياض اللبن ، فكنا من ذلك كله فى ظُلْمة بيضاء . وكنا نرى أشياء بيضاً كالثلج ترفرف غادية رائحة على السفينة ، هى طيور الجمد التى تكثر فى تلك المنطقة، وهى لا تزيد عن الحمام فى حجمها .

وبحر روس مغطى بالجمد الذى يبلغ سمكه ما بين ثلاث أقدام إلى خمس ، ويتصدّع هذا الغشاء المتجمد بعض التصدع فى أوان كل صيف . فإذا كان شهر يناير صار هذا الجمد هشًّا متهافتاً كالجمد فى شهر مارس فى بحيرة من بحيرات المنطقة المعتدلة ، غير أنك ترى قطعاً من الجمد الصُّلب تتخلّل قلبه ، ويبلغ سمكها ما بين ١٥ قدماً إلى عشرين قدماً — هى كتل غليظة قد انفصلت من غشاء الجمد الدائم الذى يحيط بالقارة المتجمدة فى القطب الجنوبى .

والسفن المألوفة عاجزة ولا قبل لها بالتغلب على مثل هذه العقبة، فكانت سفينتنا الضخمة محطمة الثلوج تتحرّى أضعف نواحى هذا الجمد وتشق لنا فيه طريقاً ، وعلى أثرها تسير السفن المشحونة التى تحمل المؤن سَيْراً وئيداً محاذراً . وقد قضينا أربعة أيام كاملة قطع فيها أسطولنا الصغير خمسة أميال وحسب ، على حين قطعت محطمة الثلوج وهى تستكشف لنا الطرق نحو ٥٠٠ ميل .

وفى أول يوم قضيناه فى الأصقاع المتجمدة، فوجىء أسطولنا بظاهرة أخرى من ظواهر الملاحة فى المنطقة المتجمدة الجنوبية — هى العاصفة الساكنة — فقد أحاط الجمد بسفن المؤونة ، فأخذت محطمة الثلوج تعمل حتى كشفت لها بحيرة ماء مساحتها نحو نصف ميل مربع ، تستطيع هذه السفن الضعيفة البناء أن تجد فيها مرفأ آمناً تأوى إليه . ثم خرجت المحطمة تبحث جنوباً عن طريق فى تجمّد ألين من هذا وأخف . وكانت هذه البحيرة التى لا تكاد ترى فيها موجاً يضطرب ، كأنها صفحة مرآة خضراء عليها شقوق بيض ترى حيث تطفو قطع من الجمد . والمحيط المتجمد الجنوبى هو أهدأ المحيطات فى البقعة التى تجتاحها أشد عواصف الدنيا وأعتاها .

ولم تمض ثلاث ساعات حتى عادت محطمة الثلج، فإذا بها ترى أن بحيرة الماء التى شقتها قد اختفت . وأن سفن المؤونة قد أشرفت على

الهلاك ، فقد أحاطت بها من جانبيها جدران من الجمد ومن جبال الثلج المخيفة يبلغ ارتفاعها ١٥٠ قدماً . فكان على محطمة الثلوج أن تشقّ الجمد حتى تهيء منطقة أخرى من الماء الخالص ، وأن تجرّ سفن المؤونة التى أحاط بها الجمد إلى مكان آمن ، ولكنها لاتكاد تخلّص سفينة حتى ترى الجمد العالى قد أحاط بأختها التى أطلقت من أسره منذ هنيهة.

فقضى البحارة ٢٤ ساعة يجذبون بأكف دامية تلك الأسلاك الحديدية المغطاة بالثلج، وكانوا قد استعملوها بدلاً من حبال الجرّ، وكانت هذه الأسلاك تتقصف فى الحين بعد الحين . وكثيراً ما كانت تدنو منهم جبال الثلج دنواً شديداً مهدّدة بالتصادم ، وكانت هذه الثلوج شديدة الشبه بالبوارج الحربية، وقد قدّر وزن أحدها بنحو مئة ألف طن.

والعاصفة الساكنة فى هــــذا المحيط الفسيح من الثلج تضارع فى عتوّها عواصف الشتاء فى المنطقة المتجمدة الشمالية ، وقد ساقت هــذه العاصفة منطقة الثلج فى تيار الرياح الشمالية الغربية ، وكانت من القوة بحيث لم يكن من الممكن أن يقف فى طريقها شىء قط . وقد سدّت كلّ الطرق التى كان المــاء يجرى فيها ، وأطبقت على كل عقبة وغطّتها . وإذا جبال الثلج المخوفة التى كانت تبدو طافية منذ ساعات فى ناحية من الأفق ، قد انطلقت تجتاح كل شىء فى كل ناحية ، فهى أحياناً تسير مع منطقة الجمد ، وأحياناً تسير فى ضد اتجاهها ، وذلك لأن التيارات الخفية القوية التى تجرى فى أعماق المحيط هى التى تحرك هذه الجبال الضخمة التى اختفى أكثرها فى الماء وطفا أقلها .

وفى هذه العاصفة الساكنة لم نكد نحسّ بنسمة ريح ونحن على السفينة ، وإذا شققنا طريقاً فى الماء رأينا وجه الماء ساكناً لاموج فيه ، فكان هذا الصراع الهائل الجبار يتمّ فى صمْت تامّ . ومضت أربعــة أيام حتى استطعنا أن نجد لأنفسنا منفذاً إلى الجنوب.

وربما وصفت المنطقة المتجمدة الجنوبية أحياناً بأنها أشبه شىء بما سيصير إليه كوكب الأرض يوم تنعــدم الحياة ، أى يوم تبرد الشمس ، ويطغى الثلج فيهلك كل حىّ ، وتصبح كرة الأرض قبراً مجلّلاً بالبياض يتقاذف سابحاً فى الفضاء السرمدىّ . بيد أن هــذه الثلوج لا تخلو من حياة لا شك فيها . فبعد أن يجتاح الهلاك كلّ حيوان ونبات بزمن طويل ، فربما بقيت بعدئذ ذُبالة خابية من الحياة — هى ضرب من النبات لايكاد يرى بالعين المجرّدة ولايضرّه الثلج ضرراً يذكر (وهذا النبات له نسب بعيد إلى الطحالب الخضر التى تغشى وجه الماء الراكد). ويطلقون عليه اسم « كوريترون».

وقد ذكر بعض علماء الأحياء أن هذا النبات ربما قدّر له أن يكون نواة لخلق جديد يظهر بعد ملايين من السنين من حدوث هــذا التغير ، ويحلُّ فيه الرمل التباور محل الكربون ، ويومئذ تنشأ على الأرض فيلة من الزجاج وناس من الزجاج.

أما أغرب الظـواهر التى وقع بصرنا عليها فكانت عندما ألقت سفننا مراسيها على شاطىء بحيرة خضراء رحيبة مترامية الأطراف ، وكان يحف بالبحيرة صخور من الجمد ارتفاعها ٥٠ قدماً ، وقد دل الاستكشاف الجوّى على أنها البحيرة الوحيدة فى منطقة نصف قطرها ١٠٠ ميل . وقد لبثنا ثلاثة أيام ثم رأينا هذه البحيرة قد بدأت تصغر وتتقلص ، إذ أخذت الجدران القائمة من الثلوج تضيق وتتقارب دقيقة بعد دقيقة . ولم نلبث أن سمعنا محركات محطمة الثلوج وهى تزمجر محاولة أن تشقّ لنا مخرجاً ننفذ منه ، وتمّ لها أن تشـق هذا المخرج إلى ناحية الجنوب ولما تكَدْ .

ولم نعرف إلا عندئذ حقيقة المأزق الذى صرنا إليه . فقد اتضح لنا أن البحيرة والسفن جميعاً قد قطعت فى هــذه الأيام الثلاثة نحو ١٨ ميلا إلى جهة الشمال دون أن تكون هناك حركة محسوسة على الإطلاق. وقد شقت محطمة الثلوج والسـفن التابعة لها ، طريقها جنوباً ، فقطعت خمسة أميال فى ثلج هش كأنه وَحَـل مركوم ، ثم نفذت إلى ماء مكشـوف عظيم لم يكن له وجود قطُّ منذ ساعتين وحسب . وكانت سعتها كسعة البحيرة التى غادرناها منذ قليل ، فلما وقع علينا نظرنا خيّـل إلينا أنها مكان مألوف، فكان ذلك غريباً كل الغرابة ، فهى هى البحيرة التى فارقناها بشواطئها وجزر الجمد الطافية عليها ، وهى قائمة فى نفس المواقع التى عهــدناها من قبل . أفترى البحيرة قد طارت فسبحت فى الجو ، أو غطست فسبحت فى جوف البحر حتى قطعت مسافة خمسة أميال ونحن لا ندرى ؟

ويفسر علماء الطبيعة هــذه الظاهرة تفسيراً معقّداً يعجزنى تصوّره ، حتى إنى لأوثر أن أعزو هــذه الظاهرة الخارقة إلى عمل الجن والشياطين التى تعمر أرجاء ذلك البحر المخوف الموحش .



يكون التفاؤل أشيع ما يكون فى مستشفى المجانين . [هفكلوك إلبس]

أوربة فى براثن الجوع

الدكتورة ادلهيد واوليسركا

مختصرة من مجلة "نيويورك تايمز"

عمرت سنوات والجانب الأكبر من أوربة يتضور جوعا ، وملايين الأوربيين يعانون ما يعرف « بالجوع العلمى » إذ يعيش الفرد منهم فى يومه على غذاء يحتوى على ١٥٠٠ سُعرْ (وحدة الحرارة) أو أقل ، وهو وإن كان لا يكفى للحياة فى صحة وعافية ، إلا أنه كاف لإمساك الرمق ودفع الموت .

إن المرء لا يشعر بالجوع المزمن فى معدته وحدها ، فهو إذا قضى بضعة أشهر على غذاء لا تزيد أسعاره على ١٥٠٠ سُعرْ استولى عليه صداعٌ وضعفٌ وَوَهنٌ يتخلل الجسم كله . ومن شأن الجوع أن يزيل من عقله كل فكرة إلا فكرة البحث عن الوجبة التالية ، فإذا هو لا يهجس فى صدره إلا هاجس واحد ـ الطعام .

وما أقوى سلطان هذا الهاجس ! كنت مرة فى فينا فانقطع التيار الكهربائى فأخذت أبحث عن الشموع ، فلم أجد لها أثراً ، وعلمت أن عاملا كبير السن كان يتردد على منزلى قطعها إرباً إرباً وازدردها ليرد بها شدّة الجوع .

والمرء إذا اقتصر غذاؤه على ١٥٠٠ سعر لا يشعر بسوء حالته وحسب ، بل إن مرآه أيضاً يدل على ذلك ، فيأخذ جسمه فى النحول ويتجعد جلده ويربدُّ لونه ، ويبدو أكبر مما هو بعشر سنوات . وفوق ذلك تبدو الكآبة على وجهه ، وتفارقه ابتسامته ، ويضمر خدّاه ، وتغور عيناه .

أما خصائص أخلاقه فتتغير أيضاً ، فأهالى فينا مثلا قد فارقهم المرح وأصبحوا حديدى الطباع سريعى الغضب ، والحوادث التى كانت تمر فى أيام الرخاء بابتسامة ، تؤدّى اليوم إلى انفجار سورة الغضب .

ويدعونا أصحابنا الغربيون أحياناً إلى تناول « وجبة جيدة » ، فإذا جلسنا معهم دهشوا لقلة ما نتناوله من الطعام ، ولكن أجسامنا لا تحتمل أكثر من ذلك من جراء نقص العصير الذى يساعد على الهضم .

والمرء إذا تعلم كيف يتضور من الجوع ، فيجب أيضاً أن يتعلم كيف يستأنف الأكل .

وقلة التغذية تورثه المرض الذى يجعله يغشى وهو نائم ، فترى الأوربيين أحياناً

يسيرون فى الطريق حتى يصبحوا بجانب إحدى السيارات ولاينتبهون من غفلتهم إلا فى اللحظة الأخيرة ، فيتراجعون فى وجل . وقد يقع العمال فى سُبات وهم فى مركبات الترام أو يغمى عليهم فى أماكن عملهم . وقد زادت حوادث إصابات العمال زيادة تدعو إلى القلق .

وسيموت مئات الألوف فى أوربة بداء السل لأن أجسامهم التى لا تصيب غذاء كافياً لا تملك قوة المقاومة . وقد ازداد عدد الإصابات بالزهرى وعلل المعدة والمصارين ، وباضطراب تمثيل الطعام، وبأمراض العيون والتهابات الأغشية المخاطية، زيادة ملحوظة .

والأطفال الصغار فرائس سهلة لمرض السل ، وقد مات كثير منهم ، وسيصبح الباقون مرضى مدى العمر . على أن الذين يعانون شرور نقص التغذية هم الفتيان الذين تختلف أعمارهم من ١٤ سنة إلى ٢٠ سنة ، فهؤلاء تضعف قوى أجسادهم وعقولهم ونفوسهم . والشاب الذى يشعر بالجوع وبالحاجة إلى كسرة من الخبز وقليل من المرح ، ينتهز أول فرصة تسنح له للحصول عليهما معاً . وليست ثمة أعمال يربح منها الشبان أكثر مما يربح الذين يجوبون الحقول ويبيعون محصولاتهم فى السوق السوداء . وكثيراً ما ترى الفتيات يبعن أنفسهن . وأمثال هؤلاء الشبان والفتيات يقبلون صروف الحياة كما هى . وقد جاء فى الترجمة الألمانية لرواية « أوبرا التسول » : « يجب أن تأكل أولا، وبعد ذلك تستطيع أن تكون رجلا صالحاً للحياة » . وتدل إحصاءات جنايات القتل والسرقة على ازدياد هائل فى أوربة الجائعة .

ومن نتائج الجوع الاقتصادية . نقص مقدار العمل وانحطاط نوعه . وقد ترددت الشكوى فى جميع أنحاء أوربة من رداءة نوع البضائع المتبادلة ، وقد ازدادت نسبة السلع الرديئة الصنع . فإنه لما فتر اهتمام المرء بعمله ، فتر أيضاً اهتمامه بالشئون العامة ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ، ذلك لأن الجوع يحوّل الإنسان مخلوقاً لا يعنى إلا بأمر نفسه ولا يهمه شىء سوى السعى لحفظ حياته .

والجائع تموت فيه قوة التمييز ، ويبيع نفسه بالوعود . ويقول الاشتراكيون اليوم فى فينا : « إن الخبز هو الحرية والحرية هى الخبز » . وأوربة إذا جاعت ، فقد أصبحت خطراً مستطيراً .

ما قيمة الدرجات المدرسية؟

برتون فاولر
رئيس جمعية التربية

مختصرة من مجلة «الآباء»

ذكر أحد مراقبي التعليم فى تقريره السنوىّ العبارة التالية : « إن الدرجة التى ينالها الولد فى المدرسة هى أجرهُ على عمله » . وهذا وصف جامع مانع ، فالدرجة المدرسية هى ما يقول — باعث الكسب فى التربية . وما أسوأه من وصف! أنستطيع أن تتصوّر شيئاً أسوأ من أن تأجر الولد على شىء ينبغى أن يكون فى نظره أعظم فرصة تتاح له وأسمى مزية ينالها — أن يطلب العلم عن هذا العالم الذى نعيش فيه . والولد مفطور على حبّ الاستطلاع ، ويحبُّ أن يعرف سبب كل شىء والباعث عليه . وهذا الفضول الذى فطر عليه هو القاعدة فى تربيته ، ومع ذلك ترى مدارسنا تدأب على قتل هذا الحافز إلى المعرفة بما توزّعه على الطلاب من درجات ومكافآت وجوائز وعقوبات ، وبكل حافز غير طبيعى ينتهى إليه الابتكار .

وقد عبّر برنارد شو عن ذلك فى قوله : « ليس ثمة حاجة إلى حافز طارىء يحفز العمال الممتازين إلى تأدية عملهم على أفضل وجه مستطاع » . فلنرفع عن التربية وصمة هذه الحوافز الطارئة ، أو هذه الرشى التى نرشى بها الطلاب ليحسنوا طلب المعرفة ، ولنلق على عواتق المعلمين مهمة خطيرة — أن يجعلوا ما يلقونه من دروس حافلا بالمتعة والفائدة ، حتى يصير الالتجاء إلى حفز الطلبة بالحوافز الطارئة أمراً لا ضرورة له ولا حاجة إليه .

والدرجة المدرسية تنطوى على أذى للطالب لأنها تبدو شيئاً يقتضيه المنطق ، ثم هى شىء يسهل الظفر به ، فدرجة ٧٥ على ١٠٠ فى المطالعة شىء يتيسّر تقريره على المعلم ويسهل فهمه على الأبوين . فإذا كتبت كتابة أنيقة على بطاقة أحسن طبعها وأرسلت إلى الأب ، كان فى وسعه يومئذ أن يطير فرحاً بها فيبتسم لابنه ، أو أن يغضب غضباً شديداً فيعنفه . ثم هى تتيح للأب أن يظهر أمام ابنه فى مظهر المعنىّ بأمره المسدّد لخطوه ، فينظر فى البطاقة ويقول : « ينبغى لك أن ترفع هذه الدرجة قبل آخر الشهر التالى ، فإن لم تفعل حظرت عليك أن تشهد مباراة الكرة » . أو قد يقول : « إذا ظفرت فى

الشهر القادم بدرجة ٩٠ على ١٠٠ أعطيتك ريالا » . فيتمّ للأب ما يريد .

ولكن ما أثر ذلك فى نفس الفتى ؟ إذا كان الفتى ذكيًّا ابتسم كالساخر وقال فى ذات نفسه : « أهذا ما يطلبون ؟ إذن فسوف ينالونه . سوف أجامل المدرِّس وأتودَّد إليه ، سوف أصنع مايريدونه منى، ولن أزيد . سوف أغشُّ ، سوف أنقل عن جارى ، سوف أظفر بالدرجات العالية، ما دامت الدرجات هى قوام هذا الشىء الذى يسمونه تربية » . ويومئذ يصنع هذا الفتى مايصنعه ألوف من الفتيان والفتيات — يجعل الدرجات العالية قبلته ومنتهى غايته .

ثمَّ ماذا يفهم الأب حين يرى فى البطاقة درجة ٧٥ على ١٠٠ ؟ وهل تدله على شىء عن تقدم ابنه فى دروس القراءة والمطالعة؟ أيستطيع أن يتبين منها شيئاً عن ابنه وهل هو يحبُّ المطالعة ، أو يجيدها سرعة وإدرا كا ؟ أو هل تقدَّم فيها عمَّا كان عليه فى الشهر السابق ؟ هل تدله على أنه يحسن اختيار ما يقرأ أو استيعابه ؟ أو هل يتقن الانتفاع بالمعجم لفهم الكلمات التى تغمض عليه ؟ وهل يحسن التعبير عن المعانى فى نبرات صوته ولهجته إذا قرأ ؟ وهل تفصح هذه الدرجة عن قدرة الفتى على قراءة الشعر أو السير أو التاريخ أو القصص أو المسرحيات؟

كلا ، فهى تبين للأب أن درجة ابنه فى القراءة هى ٧٥ على ١٠٠ ، ولا تزيد على ذلك شيئاً .

وقد يخطر لك أن المدرِّس قادر على أن يدلَّ برقم أو حرف على مبلغ تقدم الفتى أو الفتاة فى الهجاء والحساب وقواعد اللغة ، ولكنَّ هذا رأى خطأ ، فكل موضوع من هذه الموضوعات معقَّد كالقراءة ، وتقدير التقدم فيه ليس شيئاً يسيراً . ولو كانت هذه الموضوعات غير معقَّدة كالقراءة ، لظلَّ كشف الدرجات مع ذلك لايخبر ولايبدى لنا شيئاً عن عادات الطالب فى تفكيره ومعاشرته ،أى عن أخلاقه الخاصة والعامة . وهذه العادات والأخلاق هى فى آخر الأمر أهم غرض تتجه التربية إليه . وليس فى وسع أحد أن يعرف نصيب الطالب من التقدم فى طلب التربية إلا إذا عرف كيف يقبل على عمله، وكيف ينجزه، وهل هو صادق العزم، دقيق متقن ، شديد الرغبة بالغ الحماسة ؟

ثم إنّ الدرجات المدرسية تحثُّ الطلاب على المنافسة وتسوقهم إلى إتقان فنها — أى تعلم الصغار أن الوصول إلى الغاية المرموقة، وهى أعلى الدرجات ، يحلُّ له أن يتوسل بكل وسيلة تتيح له السبق وإن كانت خسيسة. والدرجات أيضاً تميت قلوب الطلبة بأساً وخيبة . فالتنافس فى جوهره عمل قائم على الأثرة وحب الذات ، وأما التعاون فقائم على

إنكار الذات . وطريقة التلاوة فى الفصل ، أو الإجابة عن الأسئلة التى يوجهها المدرس إلى الطالب ، ليست من قبيل التعاون . فالمدرّس يحذّرك من أن تعاون زملاءك ، ويشجعك على أن تتباهى بما تعرف . ومما يغرى بالتخيُّل أن يتصوّر المرء ما يكون مصير العالم لو ربّى جيل واحد من الصغار على التعاون فى طلب المعرفة بدلاً من التنافس . وقد أعرب الفيلسوف والمربّى جون ديوى عن هذا الرأى بقوله: « تعلّم أن تعمل مع الجماعة ومن أجلها ، فى الوقت الذى تتدرب فيه على أن تستقلّ فى الفكر والرأى » .

وقد أذاعت إحـدى الصحف النتيجة النهائية لطلبة السنة الرابعة فى مدرسة ثانوية فقالت : « الأول ، جون براون ، معدل درجاته فى السنوات الأربع، ٨٨٫١٧ من مئة؛ الثـانى ، آرثر سميث ، ٨٨٫١٥ من مئة ؛ الثالث ، روبرت جونز ٨٨٫١٢ من مئة» . ولا أحسب أن أحداً من الناس، سوى ناظر مدرسـة ثانوية كهذا الناظر ، يستطيع أن يعتقد أن لهذه الفروق الضئيلة فى معدّل أربع سنوات قيمة ما . أو ليس للفروق الحقيقية بين الطلبـة الثلاثة فى أخلاقهم ومجهـودهم وحسن معاشرتهم لزملائهم ومدرّسيهم وذكائهم الفطرى، شأن يذكر ؟ وما أثر هذا الرياء فى الاهتمام العظيم بهذه الرموز المصطنعة فى حياة الطلاب والطالبات؟

إن بعض التلاميذ كتبت عليه الخيبة فى المدرسة منذ دخولها ، لأن درجة النجاح تستبدّ بهم وتخيفهم . وما دامت المدارس تحتفظ بدرجة نجاح واحدة لجميع الطلبة ، صارفة النظر عما فطروا عليه من ذكاء ، وما دامت تحول دون ظفر بعضهم بدرجة النجاح ، فإنها بعملها هذا تصمهم بوصمة الضعف والنقص، وتمهّد لهم السير على طريق الإخفاق والاعوجاج — اللهمّ إلا إذا أتيح لهؤلاء الطلبة من يعينهم فى البيت على تقويم الاعوجاج الذى تورثهم إيّاه المدرسة . ولن تجد سوى مقياس واحدٍ سديد لكل طفل فى المدرسة هو : « أيبذل هذا الطالب غاية قدرته» . وليس يسع أحداً به مُسْكة عقل أن يطالب مخلوقاً من البشر بأكثر من هذا.

أما المعلم الحكيم فينبغى أن لا يصرف همه فى المستقبل إلى الدرجة التى ينوى أن يعطيها لطالب من طلابه ، بل ينبغى له أن يسعى جاهداً إلى فهم كل طالب على حدة من جميع نواحى حياته البدنيـة والعقلية والعاطفية ، وأن يسدّد خطاه ويشجعه حتى يصير قادراً على أن يدرك ما يحتاج إليه، وأن يحمل على عاتقه تبعة تقدمه وتحسين حاله . والمعلم الذى يرى أن تقدم الشخصية الإنسانية يمكن أن يقـاس بالأرقام ، ليس بالرجل

الذى يدرك سرّ التربية الصحيحة وغرضها.

ولست أريد أن أنفى أنك لا تجد قدراً محدوداً من الحذق فى بعض الأمور يمكن أن تقيسه قياساً علمياً،ولكن الاختبارات التى من هذا القبيل إنما تطلب لكى يتبين منها المعلمون ما يحتاج إليه الطالب،وينبغى أن تحفظ نتائجها فى أضابير المدرسة للاطلاع عليها ، لا أن تسجَّل فى تقارير الأبناء التى ترسل إلى آبائهم . فالسجلات التى تحتوى على نتائج الاختبارات المنتظمة والامتحانات، ينبغى أن لاتكون كالسوط المصلت على رؤوس الطلاب ، ولا كالجائزة البراقة التى تبعثه على الرضى عن نفسه ، بل ينبغى أن تكون معواناً للمعلِّم يساعده على أن يتبين مافى طريقته من أخطاء وعيوب .

أما التقارير التى ترسل إلى الآباء ، فينبغى أن تشتمل على وصف الطالب بعد أن يعنى المدرّس بدراسة نواحى حياته جميعاً ، دون الاقتصار على إحدى نواحيها وحسب ، كناحية قدرته فى دراسة الحساب . وإليك مثلا يبين ما ينبغى أن يكون التقرير الذى يرسل إلى آباء التلاميذ : « إن جورج فى حاجة دائمة إلى المساعدة ، ولا سيّما فى دراسة جدول الضرب الذى لم يتمكن منه بعد . وهو يقبل على كل درس بشجاعة وشوق ، وينتهى إلى نتائج ترضى » . ومن الأمور التى يجب أن يتضمنها هذا الضرب الجديد من التقارير المدرسية بيان عن حسن عشرة الفتى ، وعاداته ، واهتمامه بما يوكل إليه ، وما يبذله من مجهود فى إنجازه . فإذا دأب المدرّسون على كتابة تقارير عن شخصية الطالب منذ مرحلة الروضة إلى الجامعة ، ظفر الآباء والأساتذة على السواء بترجمة لحياة الطالب أجدى فى توضيح سيره فى المدرسة من الأرقام والحروف وغيرها من الرموز التى تعيّن بها الدرجات المدرسية المألوفة .

فالدرجات المدرسية ينبغى أن تُلغى لأنها تجعل التلاميذ يشعرون بالضعة أو بالتعاظم ، وتشجع على الغش،وتبث فى نفوسهم شعور القلق وعدم الاستقرار ، وتقتل فيهم ملكة حب الاستطلاع ، وتصرف همّتهم إلى الحصول على الدرجات الناجحة لا إلى التحصيل والتعلّم ، وتحفزهم إلى الاجتهاد بحوافز غير مجدية عليهم فى طلب الثقافة الصحيحة .

ولنحلّ محلّ الدرجات المدرسية تقارير تصف الطلاب من حيث هم ناس،وتكشف عن قدرتهم المنطوية فى نفوسهم ، وتشجعهم على التعاون بدلا من التنافس،وتعزّز المودّة بين الطلاب وبين الآباء ، بدلا من أن تحرك الغيرة وتوغر الصدور وتحفز إلى السعى الأنانى العقيم فى سبيل الوصول إلى غايات لا تنال .

أوحت فلسفة هذا الرجل إلى عمال شركته بروح من التعاطف والمودة كانت فريدة فى هذا العالم .





كارل وتسر

مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

فى عصر يوم من الأيام جمع مستر هيوز ، مدير مكتب «أميريكان رولنج ملز» فى كلكتة بالهند ، رجال مكتبه وقال لهم : « إنكم تعلمون أن يوم ٢٢ إبريل القادم يوافق عيد ميلاد الرجل الذى أسس شركتنا ، مستر ڤريتى ، وأحسبكم تنوون أن تحتفلوا به على عادتكم » .

فردَّ أحد الكتبة موافقاً على قول رئيسه وقال : « هو ما تقول ، فقد كنا نتجاذب أطراف الحديث فى هذا الموضوع ، فخطر لنا رأى جديد » ، ثم شرح لرئيسه خطة انتهى إليها رأيهم .

فقال المدير : « يلوح لى أنها خطة طيبة وقد يكون تطبيقها شاقاً ، ولكننى سوف أشترك فيها بنفسى ، وسأصطحب زوجتى أيضاً » ، ثم قال : « وأظنكم تقدرون أنها ستكلفنا مالاً كثيراً » .

فأجابوا جميعاً بصوت واحد : « سنساهم فيه بنصيبنا » .

وكذلك كان ، فبعد أيام قلائل خرج هيوز وزوجته وممرّضة مدربة فى كلكتة على قطار الليل وكان معهم ستة من الحمّالين الهنود يحملون سلالاً مثقلة بما حوت ، وبعد أن قضوا الليل كله فى اجتياز ولاية البنغال ، نقلوا سلالهم من القطار إلى سفينة ثم غادروا السفينة وركبوا سيارة عامة ظلت بضع ساعات تخبُّ بهم على طريق وعر ، ثم ركبوا زورقاً عبروا به نهراً يجرى فى الأدغال ، وأخيراً كدّسوا سلالهم فوق عربة تجرُّها الثيران ، وراحوا يجوبون تلال أسام .

وأخيراً انتهى بهم المطاف إلى قرية فقيرة كانوا قد خرجوا يقصدونها ، فأنزل الحمّالون السلال وأخرجوا ما فيها من أدوية وصابون وضمادات وأطعمة مركّزة ، وظل المدير

وزوجته طوال النهار يساعدان المرضة في تضميد القروح المتقيحة ، وتعليم الأمهات كيف يعالجن عيون أبنائهن الملتهبة ، وتقديم أقراص الفيتامين وزيت الخروع واليود والخمائر ، ثم برحوا القرية بعد أن خلفوا فيها عند شيخها ما يكفي أهلها سنة كاملة من المعدات الطبية .

وفي ذلك اليوم نفسه ،كان رجال الشركة المنتشرون في القارات الست يحتفلون بهذا العيد ، وقد احتفلوا به في ملاجيء الأيتام والمستشفيات والحدائق العامة في باريس ولندن وقرى الجبال في أمريكا الجنوبية ، وجزائر البحر في أقاصي المحيط الهادىء .

ومع ذلك فقد مضت ثلاث سنوات على وفاة الرجل الذي احتفلوا بعيد ميلاده ، ذلك هو جورج. م فريتي الذي أسس في سنة ١٩٠٠ شركة « أميريكان رولنج ملز » في مصنع صغير بمدينة مدلتاون في ولاية أوهيو ، ثم قضى نحبه في سنة ١٩٤٣ . وأنت تجد اليوم رجال شركته الذين يبلغ عددهم ٢٨ ألفاً يحتفلون بما يطلقون عليه وصف « الذكرى الحية » .

وأغلب الظن أن عشر الرجال الذين يشتغلون في هذه الشركة العالمية ، يعرف مؤسسها معرفة شخصية ، بيد أن الذين أتيح لهم أن يروه مرة واحدة لن ينسوه أبداً ، فقد ألف عمال مصانع الصلب في مدلتاون أن يروا هذا الشيخ في الصباح الباكر من أيام الصيف ، يمر بهم زاخر القوة والنشاط، فيصل إلى مكتبه قبل سائر رجاله ، وقد كان مديد القامة معتدل الهامة كأنه قائد حربي،وكان شعر رأسه وشاربيه أبيض كالثلج ، وكان ذا عينين شهلاوين صافيتين تطلان من وراء منظارين لا إطار لهما ، كأنهما تحاولان أن تستشفا الغيب .

وكان يسير في المصانع متلمساً طريقه بين السبائك المتوهجة ، أو يمشي متمهلاً بقرب صفائح الصلب المحمرة وهي تمر سراعاً تباعاً بين الآلات الثقيلة التي تضغطها وتسطحها . وكثيراً ما كان يقف فينادي رجلا باسمه ويسأله عن حال أسرته.ولم يكن فريتي من رجال الأعمال الذين يتوسلون إلى رفع الكلفة بينهم وبين عمالهم بالتربيت على ظهورهم ، ولكن مودته الصادقة لهم كانت تتبدى من خلال وقاره . وقد كان يؤمن بما في المودة من خير ، ويعنى عناية خاصة بكل رجل من رجاله .

حتى الرجال الذين لم تقع عينهم عليه كانوا يحسون أنهم يعرفونه . فكل عامل جديد في الشركة يعطى نسخة من كتيب أضحى منذ سنة ١٩١٩ دستور الشركة، وقد كتبه

ڤريتى بيده ، فأوضح فيه — فى كلام بسيط موجز — فلسفته فى العمل، وأن كل صناعة ينبغى أن تقدم حساباً عن نفسها لأربع فئات من الناس : الزبائن والعمال، وأصحاب الأسهم ، وأفراد المجتمع . وينبغي أن تثبت لهم جميعاً أنها جديرة بأن تمضى فى عملها .

وكان من فلسفة ڤريتى أنه ينبغى للعمال من جميع الطبقات أن لا يقتصر اهتمامهم على الرضى بعملهم وحسب ، بل يجب أن تمتلىء صدورهم حماسة صادقة على شركتهم وحسن سمعتها ، وكان يعتقد أن المحافظة على روح الفخر والاعتزاز فى نفوس الموظفين والعمال، أمر لا غنى عنه فى نجاح كل شركة.

وقد حدثت عشرات من رجال الشركة فرأيتهم جميعاً يؤمنون أصدق الإيمان برسالة هذا الكتيب،فلا عجب فى أن تنبت فكرة الاحتفال بعيد ميلاده بين العمال .

ففى عام ١٩٤٣ شرع أهل مدلتاون عقب وفاته فى إعداد العـدة لإقامة تمثال له . فلما كان يوم ٤ نوفمبر من تلك السـنة ، اجتمع نحو عشرين من العمال حول مائدة الغـداء ، وكتبوا رسالة إلى تشالز هوك صهر ڤريتى ورئيس الشركة .

وقد طووا رسالتهم على سؤال : « لِمَ لا يخصص يوم ميلاد مؤسس الشركة للخدمة والخير ، بدلاً من إقامة تمثال له ؟ » فعلّق هوك الرسالة على لوحة نشرات الشركة ، وإذا خبر الاقتراح يذيع من مدلتاون حتى يبلغ جميع مصانع الشركة فى أمريكا وسائر أرجاء العالم .

وجميع الحفلات التى تقام احتفاء بعيد ميلاد هـذا الرجل مطبوعة بطابع الخير الذى تبيّناه فى رحلة هيوز وزوجتـه والمرضـة إلى أسام . ففى إبريل الماضى خرج عمال الشركة فى مدينة زانزڤيل إلى الحديقة العامة وغرسوا شجرة سنديان ، كما فعلوا فى السنتين الماضيتين . وسمـعوا خبر أسرة فقدت بيتها وكل ماتملكه فى نار شبّت ، فجمع العمال مالاً وندبوا ثلاثة منهم ليحملوه إليها . ثم اكتتبوا بمال اشتروا به سلال الفاكهة وحملوها إلى الزنوج الذين أقعدهم مرضٌ أو عاهة .

وفى ذلك اليوم نفسه بحث عمال الشركة فى مدلتاون فى أقبية بيوتهم ، فوجـدوا ثلاثين سريراً قديماً من الحديد، فأخرجوها وأحسنوا طلاءها ثم قدّموها هدية لمخيم أقيم للأطفال فى الهواء الطلق ، وتبرّعوا له أيضاً بنقد يبلغ ٢٨٥ ريالاً ونصف ريال. وتبرّع عمّال الشركة في مدينة أخرى بقدر من دمهم لينتفع بها ذوو الضعف والسقم .

وانتهى إلى أسماع عمال الشركة فى وشنطن

أن الصغار المصابين بشلل الأطفال فى أحد المستشفيات قد شغفوا بأخبار مباريات الكرة ، فاستأجر العمال جهازاً للتلفزة وأقاموه فى المستشفى ، فأتاحوا للأطفال العجزة رؤية اللعب .

ومنذ سنتين تبنّت العاملات فى مصنع آخر طفلة بلجيكية فى التاسعة من عمرها ، قتل أبواها فى الحرب ، وهنّ يرسلن إليها ملابس من الصوف ، وأقراص الفيتامين والطعام ، وهبة من المال تبلغ ١٨٠ ريالا فى السنة . وقد أبى مديرو الشركة أن يبزّهم العمال فى عمل الخير ، فتراهم يعقدون كل سنة مسابقة بين أبناء العمال والموظفين ، ثم يرسلون الاثنين المتفوقين إلى جامعة يتعلمان فيها الهندسة أربع سنوات .

وفى بلدة برانكلا بجمهورية كولومبيا ، تعاقد موظفو مكتب الشركة مع أستاذ ليتولى تعليم اللغة الإنجليزية لسبعة من المستخدمين الكولومبيين ، وتكفلوا بنفقات دراسة الهندسة بالمراسلة لاثنين من العمال ، ثم أضافوا إلى ذلك الإنفاق على سرير فى المستشفى .

أما فى باريس فقد خرج موظفو الشركة فى يوم الذكرى بعشرة من أيتام الحرب إلى النزهة ، ثم تبنّوا أحدهم . وأما فى جنوب إفريقية فقد قدّم رجال مكتبين من مكاتب الشركة ثياباً جديدة للأطفال فى مستشفى للصمّ ، ثم خرجوا بالأطفال فى نزهة . وعلم موظفو الشركة فى بناما أن ليس فى أحد ملاجىء الأيتام حذاء واحداً ينتعله الصغار ، فاشتروا أحذية جيدة قدموها للأطفال بأنفسهم .

وكذلك تجد رجال شركة « أميريكان رولنج ملز » فى أنحاء الولايات المتحدة ، بل فى أرجاء العالم ، سواء كانوا فى مصانع الصلب أو معامل البحث أو المخازن أو المكاتب ، يؤمنون كما كان ڤريتى يؤمن من قبل ، بأن الخير كلّ الخير فى أن يعيش الناس جيراناً توثق بين قلوبهم أواصر المودّة وحسن الجوار أينما كانوا .

الرد المفحم

جلس شاب خليع فى بهو فندق كبير ، وجعل يصوب نظره ويصعده فى كل سيدة تمرّ ، فلما مرت به غانية حسناء ، ردد على مسمع منها كلمته المأثورة فى هذه الأحوال : « كيف الحال؟ » فلم يظفر برد ، بل حدجته بنظرة باردة قاسية ، فقال ساخراً : « عفواً يا سيدتى فقد ظننتك أمى » .

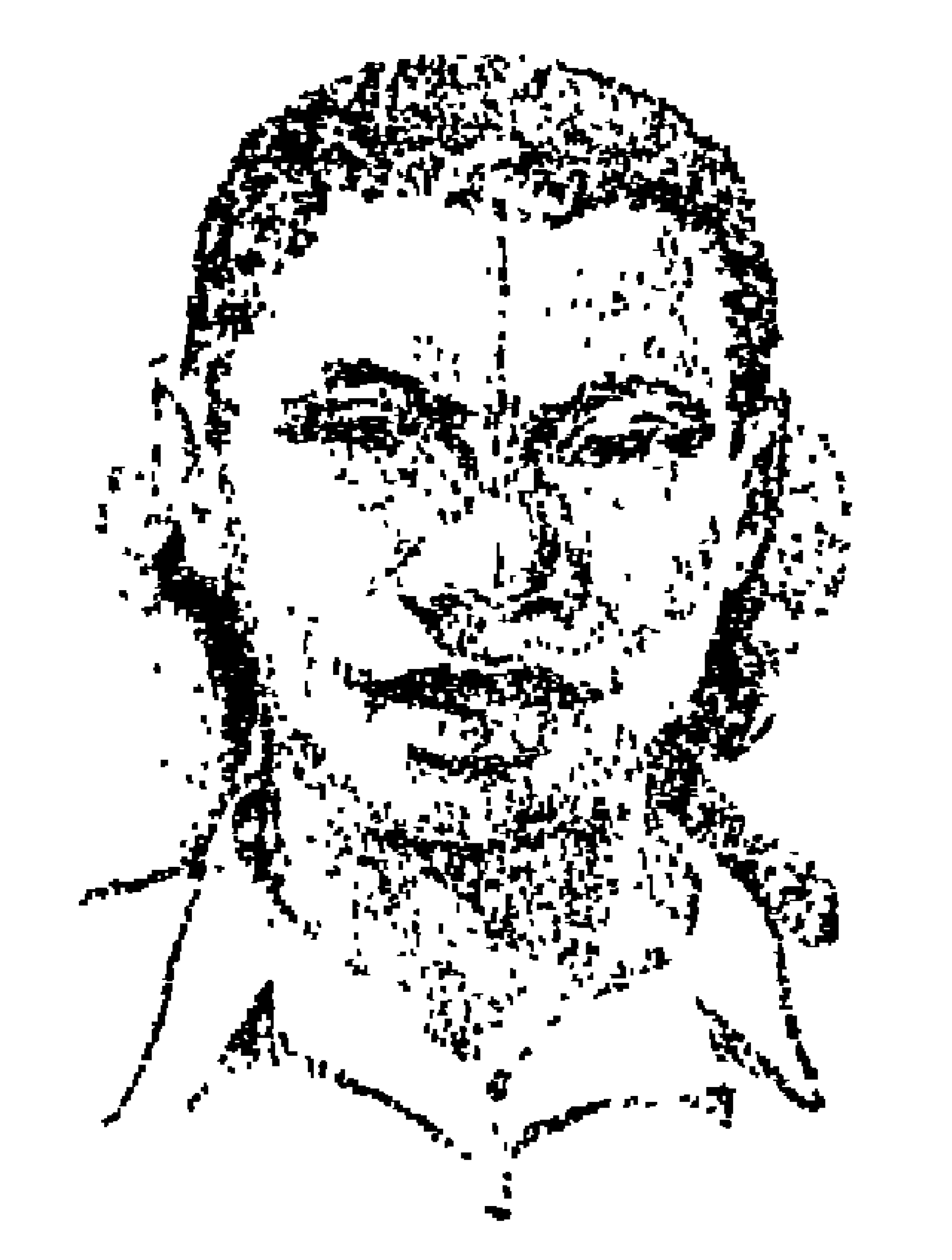
فقالت كالسيف القاطع : « شىء مستحيل ، فأنا متزوجة » .

هذا فتى كان خادماً فى قلب إفريقية فصار غازياً قهر الأمراض التى تنهك قوى قومه .

طبيب الأدغال

الدكتور
كليمنت س . تشسترمان

مختصرة من مجلة "پايجنت"



إذا غرزت إبرة فى قلب خريطة إفريقية، فقد دللت على المكان الذى لقيت فيه الفتى سندى أول مالقيته . وقد كان ذلك فى سنة ١٩٢٠ يوم ذهبت مع زوجتى إلى منطقة أعالى الكونغو للقيام بعمل طبيب لجماعة أوربية تقيم هناك .

كانت المنطقة برية وعرة ، تشقها دروب ضيقة ملتوية تصل بين قرى متباعدة يفصل بعضها عن بعض غابات مترامية ذوات أشجار عاتية باسقة ، ويقطنها ناس لا يزيد عددهم على عشرة فى الميل المربع ، ولا ينفكون يتنافسون فى صيد الحيوان البرى وحرث الأرض من أجل زراعة الموز الإفريقى والكاساڤا . وكان كثيرون من سكان هذه الغابات لم يقع بصرهم على النهر العظيم الذى يجرى فيها ، والطريق العام الوحيد الذى يربط بين أطرافها ، فكانوا منقسمين جماعات صغيرة ، لكل منها لغتها وعاداتها .

قضيت أنا وزوجتى ثلاثة أسابيع على سفينة نهرية مسطحة القعر تجرى بنا فى النهر ، فإذا بنا نسمع ذات يوم أربع نفخات متتابعة قصيرة تخرج من صفارة السفينة ، ثم طلع علينا من شاطىء باكوسو زورق صغير أقبل ليلاقينا ، وخرج بحارته يعنون بأمتعتنا وهم ينشدون نشيد الزورق ، ثم أومأوا إلينا أن نجلس على الحقائب التى كوموها ، وجدفوا بنا حتى بلغنا الشاطىء .

وقد وجدنا على شرفة الدار التى تقيم فيها الجماعة ستة أولاد من أهل البلاد قبلوا أن يدبروا أمور منزلنا لقاء ما تعلموه فى مدرسة الجماعة ، وقد كلف أحدهم

أن يكون طبّاخاً ، وعهد إلى آخر أن يعاونه ، وإلى ثالث بشئون الغسل ، وإلى رابع وخامس بالعناية بالحديقة .

وكان الفتى سندى فى العاشرة من عمره ، وقد عهد إليه أن يكون خادماً لى . وقد نظرت إليه فرأيته يمشى متعثراً فى ثيابه الجديدة التى لم يألفها ، وبدا لى أنه قلقٌ بعض الشىء لما ألقى على كاهله من تبعة خدمة هذا الطبيب الأبيض الطويل كالمارد ، فلما حدقت إلى عينيه السوداوين عرفت أنه شديد الرغبة فى أن ينال رضاى .

وقد دلنى الوشم الممتدُّ فى وسط جبهته من أعلاها إلى أرنبة الأنف ، على أنه من قبيلة « لوكيلى » ، وهى قبيلة من صيادى السمك ، وكان أبواه يعيشان فى قرية مجاورة ، أما أجداده فكانوا من أكلة لحوم البشر ، ثم صارت القبيلة تأكل السمك والموز .

نعم كان سندى شديد الرغبة فى أن ينال رضاى ، ولكن لم يكن له بد من أن يتعلم شيئاً كثيراً . وقد حدث مرة أن قدمت لنا مرقة النعناع الحلوة لتؤكل مع اللحم ، فوجدناها مرة كالصاب ، ففحصنا فتبيّنا أنه قد قدمها لنا فى وعاء كنا نضع فيه محلول السليمانى السام لنمنع النمل من أن يتسلق على قوائم المائدة . فبادرنا إلى أخذ المقيئات حتى ننجو من شر ما أكلنا ، ولست أرتاب فى أن ما شاهده من أثر ما أخذنا ، ملأه احتراماً وإجلالا لطب الرجل الأبيض !

وذات يوم رأى على الموقد إناء فيه يدان سوداوان ، فأعاد غطاء الإناء إلى مكانه ، ودعا الطباخ ليقص عليه ما رأى ، ثم اشتركا فى تحقيق الرواية ، فثبت لهما أن ما تبدى لعيونهما الجاحظة من خلال البخار الكثيف ، إنما هو يدان سوداوان !

وكانا يعرفان أن الطبيب الأبيض قد اشتهر بتقطيع الأحياء ، ولكنهما حزما أمرهما على الرحيل إذا هما رأياه يأكل هاتين اليدين .

فاتخذا مكانا يختبئان فيه حتى رأيانى أحمل الإناء والبخار يتصاعد منه إلى دار المستشفى الصغير ، وراقبانى من النافذة وأنا أسكب محتويات الإناء فى طست أبيض كبير — مباضع لامعة ، ومقصٌ ، وأداة التوليد ، واليدين السوداوين اللتين لم ألبث حتى لبستهما فوق يدىّ .

تلقى الدكتور تشسترمان العلم فى جامعتى بريستول ولندن واشترك فى الحرب العالمية الأولى فى البلقان وفلسطين ومنح وساماً للخدمة الممتازة . ثم درس طب البلاد الحارة فى لندن بعد الحرب وشد رحاله إلى الكونغو . وذاع اسمه فى دوائر الطب العالمية ببحثه فى مرض النوم الإفريقى ، مع الدكتورة لويز بيرس من أطباء معهد ركفلر ، وله كتاب مختصر فى أمراض البلاد الحارة شائع فى أفريقية الاستوائية .

وظلا يراقبانى وأنا أجرى جراحة وفّقت فيها وبرىء المريض ، فتلقى سندى وزميله أول درس فى سحر الرجل الأبيض — سحر الطب الحديث .

وبعد أيام أصيب سندى بالتهاب فظيع ، وامتد الالتهاب إلى رئتيه ، فركبته حمى شديدة وصار يبصق دماً ، فأعطيناه حقناً أفاد منها شيئاً . ولكن شفاءه كان بطيئاً مؤلماً . وألحّ عليه أهلهُ بأن يجيئوه بطبيب من السحرة ، وتوسلوا إليه أن ينفض يده من هذا الساحر الأبيض الذى أتاه بهذه اللعنة — وماذا يستطيع الرجل الأبيض الغريب أن يعرف عن أمراض السود ؟ !

وظلت نفس سندى موزعة بين الولاء لقومه والولاء لصديقه الجديد ، حتى حزم أمره على أن يلوذ بى ويكل إلى تعهد أمره ، وأقنعه برؤه التام بأن خلاص قومه إنما يكون بالأخذ بحكمة الرجل الأبيض .

وقد ازداد اقتناعاً بما رأى فى بحر السنتين التاليتين ، ثم لاحظت ذات يوم أن قلقاً شديداً يستبد به .

فقلت : « ماذا يقلقك يا سندى ؟ »

فهمس : « ألم تسمع قرع الطبول ؟ إنهم يدعوننى لأعود إليهم ، وأنا لا أريد أن أعود » .

كانت الطبول تقرع منادية صبيان القبيلة إلى حفلات الختان ، التى تدل على أن الفتى صار رجلا . وكان أهل القبيلة يعتقدون أن أرواح الأسلاف تدخل أبدان الفتيان فى الغابات المقدّسة حين تتم حفلات الختان .

وقد كان سندى يرغب رغبة صادقة فى أن يكون واحداً من جماعته — ابناً بارًّا بأبيه ، ورجلا نافعاً لأهله ، ولكنه أخذ يدرك أن هذه الحفلة صارت شيئاً من « مخلفات الطقوس » التى عفّى عليها الزمن .

وذات يوم جاء أبوهُ ليعود به إلى القبيلة فقد سبقه جميع الفتيان الذين فى محلتنا ، فعادوا خفية إلى قبيلتهم ، وسندى نفسه ليس واثقاً من أن الخروج على عادات قومه العريقة لن ينجلى ، كما يعتقدون ، عن تشويه وجههِ تشويهاً كريهاً — من جراء إصابته بمرض التوت كما نعلم الآن . ومع ذلك فقد واجه أباهُ بكل توقير وشجاعة ، وقد كان بدنهُ ينتفض من شدة العاطفة التى ألحت عليه ، واغرورقت عيناه بالدموع وقال : « لا يسعنى أن أذهب معك » .

كان الفتى فى حاجة إلى أسمى ضروب الشجاعة ليفعل ما فعل . فلم تخنه شجاعته ، وأقبل على النهج الجديد فى حياته هادئاً مطمئناً ، فوثق ذلك من الآصرة التى بيننا . وأذكر أنه استلّ ذات يوم دودة طفيلية من قدمى بسرعة ودون أن يؤلمنى ، فقلت

له إنه خليق أن يصير طبيباً موفقاً . فحمله قولى على التفكر ، وجعل اهتمامه بالطبّ يتبدّى . يوم بدأنا نكشف رقعة من أرض الغابة لنقيم عليها مستشفى جديدا ، فكان يراقب بعينين ملؤهما العجب قيام البناء الذى أطلق عليه وصف « مدينة الطبيب » .

وكان عملى يشمل أرضاً بريّة واسعة مساحتها كمثل مساحة فلسطين ؛ ولم يكن بين يدىّ وسيلة للانتقال سوى زورق صغير محفور فى جذع شجرة ، ودرّاجة . وكثيراً ما صحبنى سندى فى أسفارى ، ورأى بعينيه ما ينبغى لنا أن نكافحه من المرض والوهم .

كانت النساء تعانى آلاماً مبرحة زمن الوضع ، لأن أهل المنطقة كانوا لا يعرفون شيئاً عن عمل القوابل ، وقلما يعيش من الأطفال الذين يولدون أحياء سوى نصفهم أو نحو ذلك ، ولا يكاد الوليد يبلغ بضعة أشهر من العمر حتى يصاب بالملاريا . فإذا كبر وصار قادراً أن يطوّف فى الغابة على شاطىء النهر أو خلجانه الصغيرة ، نفذت يرقات ديدان الأنكلستوما من الجلد الرقيق بين أصابع قدميه، وسرعان مايصاب بفقر الدم . فإذا أضفت إلى هذه المخاطر الخاتلة أوبئة الالتهاب السحائى ، والجدرى ، والتهاب الرئة ، لم يشقّ عليك أن تدرك لِمَ كان الناس هناك يعتقدون أن الأرواح الشريرة المعادية لهم ، تحدق بهم من كل جهة .

وأما مرض النوم فكان أخطعها جميعاً ، وقد بلغ عدد الذين أعداهم ذباب تسى تسى ثلث السكان فى بعض القرى . وقد يتأخر أجلهم سنة أو سنتين ، يقعون فى بحرها فريسة للحمى والجنون والذهول والهزال .

كنت قد درست طب أمراض المناطق الاستوائية فى لندن ، وتعلمت أن معظم هذه الأمراض مما يمكن توقيه ، وأن المصابين بها يمكن برؤهم . ولكن مرضاى كانوا مئة ألفٍ منتشرين فى بقعة من أرض الغابات مساحتها ١٠ آلاف ميل ، فخيّل إلىّ أن هناك وسيلة واحدة ولا وسيلة غيرها لحل المشكلة ، ألا وهى أن نبنى المستشفى ونمضى قدماً فى تدريب جماعة من شباب القبائل على بذل المعونة لنا .

فصنعنا مئات الألوف من الطوب من تراب مدينة للنمل ، ثم صنعنا قطعاً من البلاط من الصلصال الأزرق ، ثم جففناها فى أفران أشعلنا فيها خشباً تحمله إلينا النساء المتطوعات على ظهورهنّ . وقطعنا كتلا ضخمة من خشب الأشجار البواسق فى الغاب وعوّمناها على ماء النهر ، ثم دحرجها رجال القبائل وهم يصيحون . واستوردنا من بلاد الغرب ما يلزمنا من الإسمنت والزجاج وسائر لوازم البناء وأثاثه ، وصار

البناء يتكون رويداً رويداً بين أيدينا .

كان سـندى فى طليعة الذين دخلوا المدرسة التى فتحت لإعداد الممرضين . وكانت شروط الامتحان تشتمل على اللغة الفرنسية ، لغة التدريس . ولـكن أخلاق الطلاب كانت فى المقام الأول، فبغير الأخلاق الفاضلة يصيرون بعد تعليمهم كالشياطين .

وقد بدأ سندى دراسته بالقيام بأعمال يدوية تافهة . ثم تعلم أن يضمد الجراح ، وأن يعد الأدوية المألوفة ، وأن يتولى أعمال الفحص المعملى البسيط . وبعد قليل صار قادراً على أن يساعدنى فى الجراحة . ولما رأيته أول مرة يحاول جاهداً أن يلبس قفازى المطاط ، تذكرنا ما كان من خوفه يوم رآهما فى الماء المغلى فضحكنا ، وسرعان ما برع فى أعمال الممرض الذى يعاون فى الجراحات على خير ما يتمناه الجراح ويتوقعه.

وكان سندى جم الأدب فى معاملة المرضى، شديد العطف والمودة ، دون أن يعـوزه الحزم عند الحاجة . وكثيراً ما كان يقول لمن يتردد فى الموافقة على الجراحة : « أليس فى وسعك أن تدفع سمكة ثمناً لاستعمال السكين . فإذا كان بدنك لا يعـدل عندك سمكة ، فخير لك أن تلقيه فى النار » .

أو قد تجيئه أم طفـل مصاب بحرق فظيع ، وتذكر له أن روحاً شريرة قد قذفت بابنها إلى النار ، فيقول لها : « إن كتلة ضخمة من الخشب بين ابنك والنار هى خير وسيلة تمنع الأرواح من الدنو » .

ثم جاء اليوم العظيم الذى خرج فيه سندى إلى العمل فى مستوصف قرية تبعد عنا ستين ميلا ، وكانت إحدى قرى قبيلة متوحشة لا تزال على فطرتها الأولى. فيومئذ أبعد عن أهله وأصدقائه ، وسوف يواجه هناك أحوالا لا عهد له بمثلها ، وعليه أن يعاشر موظفى الدولة والزراع والجنود ورجال الشرطة . وسوف يكون الرائد الوحيد للطب الحـديث فى منطقة واسعة نصف قطرها ٥٠ ميلا — ولن يجد عوناً له فى عمله ، سوى نسخة من كتابى الصغير عن طب البلاد الحارة .

وقد كاد رأى سـندى فى الأوهام والخرافات الشائعة أن يكون أعظم شأناً من علمه الطبى وحذقه فيه ، فلم يكد يستقر به المقام فى عمله الجديد حتى ألفى نفسه مضطراً أن يواجه الأوهـام والخرافات فى أفظع مظاهرها وأشـدها قسوةً . فقد يصاب الرجل أو المرأة بالتهاب الرئة أو أى مرض حادّ ، فإذا صارت حياته عرضة للخطر ، بدأ الأقارب ما جرت به تقاليدهم من البحث عن ساحر تلقى عليه تهمة هذه

الإصابة، فتقع الشبهة على أرمل شيخ أو على غريب، فيجرُّ هذا المتهم إلى كوخ المصاب وهو مستغرق فى الهذيان أو غيبوبة الموت، ويهدد بالقتل إذا هو أبى أن يحاول رفع رقية سحره عن المريض.

والطريقة المتبعة أن يسكب الماء البارد على المريض، فإذا شفى أثبت شفاؤه إثم الرجل المتهم، لأنه استطاع أن يرفع عنه رقية السحر التى أوقعها عليه، فتحقُّ عليه اللعنة فيطارد من القرية مطاردة الكلاب، وإذا مات المريض حقَّ للمتهم أن يدافع عن براءته ــ فيكون دفاعاً لا جدوى منه فى أغلب الأحيان.

وقد أدرك سندى أن استئصال آفة هذه الأوهام يقتضى منهُ أن يظفر بشهرة طبيب عظيم. والطبيب من السحرة تذيع شهرته بقتل المتهمين الذين تسند إليهم تهمة الأمراض التى يصاب بها أفراد القبيلة، وهو يقتلهم بالسم على الأغلب. أما سندى فلا بد له من أن يظفر بالشهرة عن طريق شفاء المرضى، ذلك بأن « دار الشفاء »، وهو الاسم الذى أطلق على مستشفانا، كانت قد أذاعت صيته بأنه رجل يشفى من المرض، فمستقبل تجربتنا كلها معلق فى ميزان القدر بين يديه.

كان بين الحالات الأولى التى عرضت عليه حالة شاب مصاب بخراج فى ساقه، فاتجه رأى سندى حين رآه إلى الإشارة عليه بأن يرحل إلى القرية التى أقيم فيها المستشفى، وهى رحلة تستغرق ستة أيام. ولكن المصاب أبى أن يفعل، وأصرَّ على أن يزيل سندى الخراج، فاصطلح الزهو والرثاء لحال المريض على سندى، فأقدم على بضعها تحت تأثير مخدِّر موضعى. ولكن الصدمة والنزف أفضيا إلى انهيار المريض، فكاد سندى يفقد صوابه. ولكن الجراحة كانت موفقة، وسرعان ما استردَّ المريض وعيه وصحته، فكتب إلىَّ يقول: « وماذا يجديك إن ظفرت بالحكمة ولم تنتفع بها »، فقد أخذ الفتى يزداد ثقة بنفسه، وقدرة على الاستقلال، فاطمأنَّ قلبى إلى أن مستقبله صار مضموناً.

وقد برحت الكونغو منذ عشر سنوات ثم عدت إليه فى زيارة قصيرة منذ عهد قريب، فلما حطت الطائرة على أرض المطار، لقيت جماعة كبيرة من قبيلة سندى قد شدَّت رحالها فى النهر لكى تستقبلنى، فلما وصلنا فى زوارقنا إلى ساحل المستشفى رأيت سبعين فتىً فى قمصان بيض وسراويلات قصيرة، وجماعة من الفتيات الممرضات، وإذا المدرسة الطبية قد نمت واتسعت.

وقد عرفت أنه يشق على القائمين بالأمر

أن يجدوا مصابين بمرض النوم لكى يتخذوا منها مثالا للدراسة، ووجدت أنهم قد عالجوا خمسين ألف حالة من حالات مرض التوت فى خمس وعشرين سنة ، وأن هذا المرض صائر إلى الانقراض ، وأن أوبئة الجدرى صارت كأنها ذكرى مفزعة من زمن مضى.

وقد علمت أيضاً أن بعض الشباب الذين دربناهم فى المستشفى قد امتازوا امتيازاً عظيما فى الجيش البلجيكى فى الحبشة وفلسطين وبرما . وألفيت الشركات التى تعنى بصحة عمالها تطلب من الشباب المدرب على الطب والصحة العامة عدداً لا نقوى على تخريجه .

لم أجد سندى بين الوفود التى جاءت لتحيتى ، فأرسلت إليه رسالة مستعجلة فى زورق، فركب دراجته وقطع المسافة البعيدة بين المزرعة التى يشرف على مستوصفها ومقر المستشفى .

فتصافحنا وابتسم أحدنا للآخر ابتساماً يطوى معانى كثيرة وذكريات عزيزة ، وقد نظرت إليه فرأيت أنه لم يتغير فلا تزال عيناه هما عيناه الشهلاوان الثابتتان اللتان لا تخافان شيئاً ، وبسمته لا تزال بسمته حين يتذكر شيئاً ، كاد ينساه .

فسألته : « ألا تستطيع أن تأخذ إجازة بضعة أيام، حتى يتاح لحديثنا وقت أطول؟»

فأشرق وجهه حين قلت ما قلت ، ثم هز رأسه هزاً خفيفاً وقال : « عندى عشرة من الفتيان أتولى تدريبهم ، والعمل كثير ، والبيض الذين فى المزرعة يعتمدون على » .

فكان رده حاسما ، فقد تعلمت منذ ماعرفته أنه رجل تستطيع أن تعتمد عليه، وفى فجر اليوم التالى عاد إلى عمله .

وهو عمل عظيم يحتاج إلى رجل كمثل صاحبى سندى . ولن تجد الأطباء الذين تخرجوا فى الجامعات يواجهون فى ممارستهم الطب تلك المشكلات الصحية التى تعانيها قبائل متفرقة فى أرياف إفريقية الاستوائية. إن أجورهم أغلى من أن ينالوها فى تلك الجماعات، وعاداتهم المطبوعة بطابع التحضر وسكنى المدن تنأى بهم عن الائتلاف معها. فالمشكلة الصحية فى تلك الأصقاع لن تحل إلا من طريق فتيان كمثل سندى ، تحسن تدريبهم مهما كان علمهم قليلا . وسندى اليوم ، واحد من كثيرين يتولون هذا العمل فى غابات الكونغو . وقد تم على يديه وأيدى إخوانه من التقدم فى جيل واحد ، ما لم يتم مثله فى قرون فى بلاد كثيرة متحضرة ، وقد وضعوا قواعد نظام للخدمة الصحية فى الريف يوافق عادات أهل البلاد وأخلاقهم ، ويكفل الحدّ من أذى الأمراض التى تجتاحهم .

ميادين جديدة فى وسع الشباب أن يفتحوها .

ابتكر لنفسك عملاً

جون إرسكين
أستاذ الأدب الإنجليزى سابقاً فى جامعة كولومبيا

أتذكر يوم كنتَ طالباً أنْ جاءكم رجل حسن الطوية فقال لكم إن أبواب العمل مفتحة أمامكم ؟ أما أنا فقد وقع لى مثل هذا منذ أربعين سنة ، فقد قيل لنا يومئذ إنه فى وسع الواحد منا أن يصير واعظاً أو تاجراً أو طبيباً أو محامياً أو معلماً أو كاتباً أو سياسياً ، ولكنهم حذرونا أيضاً من أن ميادين هذه الأعمال قد غصَّت بالذين أقبلوا عليها حتى صارت ضيقة الجوانب .

ولا يزال هذا النصحُ نفسه يُسدى إلى شباب اليوم . نعم إن المخترعات الجديدة قد فتحت ميادين جديدة للعمل ، ولكنهم لا يزالون يخيِّرون الشباب بالطريقة القديمة البالية .

فمن الخير أن نسخر من هذا النصح ، فالحياة لم تتجمد وإن تجمدت عقول النصحاء . ففى الدنيا طرائق لخدمة الجماعة تزيد على العشر التى يحصونها . والجماعة لا تزال تتقدم ، فتنشأ لها فى تقدمها حاجات جديدة ، وفى وسعنا أن نتبين هذه الحاجات إذا اهتدينا إليها بالخيال — أى بالنظر إلى ما بين أيدينا .

وأنت تسمع فى هذه الأيام عن فحص المواهب ، ومطابقة كل ذى موهبة للعمل الذى يلائمه ، فلِمَ لا يعنى كل امرىء بأن يكشف بنفسه العمل الذى يلائمه ؟ فلو ذهب إديسون إلى خبراء المواهب ، وهو لم يزل عاملا من عمال التلغراف ، أتُراهم كانوا أشاروا عليه بأن يخترع مصباحاً كهربائيا ؟ أو لو ذهب إليهم فورد وهو لم يزل ميكانيكيا مجهولا ، أتراهم كانوا نصحوا له أن يصنع سيارة قليلة الثمن ؟ فإديسون وفورد التمسا هذه النصيحة فى ذات نفسهما وأخذا بها .

وقد قضيت فترة من حياتى فى بلدة فيها كلية صغيرة ، والطلبة فى هذه البلدة غير خليقين بالبحث عن عمل يتخذونه ، ولكنهم مع ذلك كانوا يدأبون على العمل فى ورشة صغيرة يديرها رجل خياله أرحبُ كثيراً من خيال زبائنه . فقد اشتغل قبل ذلك

بإصلاح الساعات ، ولكنه لم يجد من الساعات المعروضة للإصـــلاح عدداً كافياً يكفل له رزقه ، بيد أنه رأى أشياء كثيرة عدا الساعات تحتاج إلى إصلاح. فلما عرفته كان قد صار مشهوراً في جيرته كلها بإصــلاح كل شيء ، إذا استثنيت أبدان الناس ، فقد ترك ذلك للجراحين ، وصار الناس يعدّونه حسنة من حسنات الله عليهم . وما كان يُعرِض عن عمـــل مهما شقّ أو هان ، فكان الغلمان يذهبون إليـه بدراجاتهم وأدوات لعبهم ولهوهم ، وكانت ربات البيوت يأخذن إليه الأطباق الصينية الفاخرة ، بل كان أستاذ الفلك في المدرسة يطلبه ليستعين برأيه في إصلاح مِرْقبـه ، ويذهب إليه العالم الرياضيّ في ترميم الآلة الحاسبة . وقد أراهُ في الصباح يصلح مصفاة القهوة لي، وأراهُ في الليل في النادي العلمي في الكلية يشارك في بحوثه برأى يستمع إليه الأساتذة ويجلون قدره .

أيبدو لك هذا شيئاً عجباً ؟ فكل رجل يسدى خدمة إلى الجماعة يشبه هذا الرجل بعض الشبه ، ولا سيما في فطنتـه وحسن الانتفاع بخياله . أما هو فلم يجد عجباً فيما صنع ، وسواء أعلم أم لم يعلم ، فقد كان صاحبي هذا مقتفياً لأثر فتى يدعى بودتش بدأ حياتهُ منذ مئة سـنة أو نحوها ، فكان بحّاراً ، ثم علّم نفسهُ بنفسه اللغة اللاتينية والرياضيات حتى يستطيع أن يقرأ مؤلفات الفيلسوف الرياضي نيوتن ، ثم أحـدث تنقيحا في علم الملاحة ، ونشر كتاباً من أخطر كتب الملاحة لا يزال يعدُّ إلى اليوم مرجعاً عظيما لكل من سلك البحار. فهذا الرجل لم يكن سوى بحّار ـــ بحّار ذى خيال .

ومنذ سنوات اضطر أحد الفلاحين أن يظفر ببعض المال لينفق على مريض في أسرته، فلم يجد في مزرعته ما يباع سوى حجـر رحى قديم ، وبضع نباتات من نبات الزينة الذي يتخذ لأسوار الحدائق ، فنقل ما عنده على مركبة إلى المدينة ، وما كان يعرف أن المهندسين يتخذون من هذا النبات وسيلة لتزيين الأرض التي يبنون فيها البيوت ، ثم يضيفون حجارة الرحى لكي يضفوا على الحدائق سمة من الجمال القديم . فلما تبيّن ما يفعلون عاد إلى مزرعته وصار ينتج مقادير كبيرة من ذلك النبات ، ويجمع من الريف حجارة الرحى أينما وجدها ، وصار يذهب إلى مكاتب المهندسين لمشاورتهم ، وصار المهندسون يعدُّونه متخصصاً فذاً ويجزونه عما يقدم أحسن جزاء .

وقد هوت الأزمة المالية على أحد رجال المال في « وول ستريت » فلم يبق عنـده سوى رقعة أرض في إحـدى الضواحي .

وأراد أن يصنع شيئاً لا ينافسه فيه أحد فجعل يربى الماعز ، فصارت مزرعته اليوم نموذجاً يحتذى ، وعلى كثرة اللبن الذى يحلب من ماعزه ، فهو لا يكاد يكفى بعض ما يطلب منه

ولن تجد ميداناً من ميادين العمل يشق النجاح فيه كما تجده فى ميدان الفنون ، ومع ذلك أذكر رجلين ، أحدهما موسيقى والآخر مصور ، استطاعا أن يدركا النجاح ، حيث قدر لهما إخوانهما الإخفاق كل الإخفاق . وقد اضطر الموسيقى أن يهجر مدينته ليدرس العزف على الكمان ، لأنه لم يجد فيها معلماً من الطبقة الأولى .

فلما حذق فنه عاد إلى مدينته ، فدهش الناس يوم رأوه يفتح مدرسة لتعليم الموسيقى ، وقد فعل ذلك لأن المدينة التى يقل فيها عدد الموسيقيين هى مدينة يقل فيها عدد الذين ينافسونه فى تعليم الموسيقى ، فرأى أنه إذا نزل فيها أستاذ بارع للموسيقى ، سر الذين يميلون إلى دراستها أن يتلقوا عليه ، بدلا من أن يطلبوا أستاذاً آخر فى بلد بعيد .

فصاح به أصحابه : « ألا تنوى أن تقيم حفلات موسيقية ؟ » فقال : « ليس أهل هذه البلدة من الناس الذين يميلون إلى حضور هذه الحفلات » ، وقالوا : « ألا تنوى أن تصير قائداً لأوركسترا ؟ » فقال : « ليس فى هذه المدينة أوركسترا » .

كان هذا جوابه فى أول الأمر ، ولكن لم يكد تلاميذه يجيدون العزف بعض الإجادة حتى نظم فرقة من عازفى الآلات الوترية ، وجعلت تقيم حفلات يحضرها آباؤهم المعجبون بهم . فلما صاروا يتقنون الموسيقى والعزف ، هيأ لكل منهم عملا ، ذلك بأنه عهد إليهم أن يدربوا صغار الطلاب على قواعد الموسيقى وأصول العزف ، وصار إذا تقدم تلاميذ تلاميذه فى فنهم ، يضمهم إلى جماعة الفرقة الموسيقية التى نظمها .

وتراه اليوم وله أوركسترا كاملة ، تقيم حفلات موسيقية كثيرة كل سنة . ولما حضرت إحدى هذه الحفلات كان جمهور المستمعين نحو ألفين من الناس . وبعد خصم نفقات الحفلة ، وزع صافى الإيراد على أعضاء الفرقة . وأما الأستاذ نفسه فلا ينال شيئاً من مال الحفلات ، وحسبه جزاء أن الذين يطلبون تلقى الموسيقى عليه قد زادوا زيادة كبيرة ، وأن أهل المدينة قد صاروا يهوون الموسيقى ويستطيبونها .

أما المصور فكان شاباً فى غرب أمريكا . وقد قرع كل باب من أبواب تجار الصور والأغنياء الذين اشتهروا باقتنائها وجمعها ، حتى كلّ من الطرْق ، وأخيراً حمل صوره

على سيارة نقل وذهب بها إلى البادية . وكان إذا ما وصل إلى مزرعة ، أخرج صوره وعرضها مسندة إلى حاجز هناك حتى يراها كل فلاح . فإذا أعرب أحدهم عن فرحته بإحداها باعه إياها بأى ثمن يستطيع أن يناله . وبعد أسابيع عاد بسيارة فارغة وجيوب ممتلئة بالمال، وراجت تجارته رواجاً مطرداً ، وكان إذا اشترى أحد الفلاحين صورة من صوره وعلقها على جدار بيته ، يكثر الذين يقدرون الفنّ من سائر الفلاحين ، فلا يقبل عليهم فى زيارته التالية حتى يجد طائفة منهم منتظرة لتشترى منه .

وقد رأيت فى إحدى الحدائق العامة الكبيرة مهندساً معمارياً شاباً ، وقد ابتكر سوقاً رائجة لمواهبه. فقد كان يحسن الرسم، وكانت الحديقة غاصة بالشبان والشابات على متون الجياد ، فكان يرسم الجواد ويتقاضى على الرسم ٢٥ ريالا . فكثر الطلب عليه ، ولكنه قصر عمله على صنع صورة واحدة فى اليوم حتى يتقن ما يعمل ، ومع ذلك فقد كان دخله كل شهر شيئاً لا يستهان به.

ولن تجد أحداً من الناس يستطيع أن يكشف لك الفرص المتاحة لك حيثما تكون، ولكن لعلى أستطيع أن أبذل لك بعض العون بذكر بعض ما يحتاج إليه الناس. ذلك بأن إنشاء السيارات القليلة الثمن ورواجها يقتضيان قيام فنادق صغيرة قليلة النفقة تتيح للذين يتجولون فى سياراتهم أن ينزلوها ، ومطاعم يجيد فيها الطهاة طبخ الطعام الذى يقدم للناس، ونفقة الطبخ الجيد ليست أعظم من نفقة الطبخ الردىء . وقد تقول إن المثقفين من الرجال يستنكرون أن يتخذوا من الطبخ عملا لهم فى الحياة ، ولكن أهل فرنسا عرفوا بالتجربة أن صناعة الطاهى صناعة كريمة مجدية .

والناس يستنكرون عادة الأعمال التى تقتضى عمل اليد، وهذا حمق لا حمق بعده. ونحن حين نتخير عملا نعمله يستبد بنا شىء من الاحتقار لأعمال اليد ، فنحن نطلب العلم والثقافة ، ونتوق إلى الظفر بدرجة من جامعة ، فإذا تم لنا ذلك أبينا أن نختار عملاً يدويًّا يكون عملنا فى الحياة . بيد أننى لا أرى المانع الذى يمنع النجار والسباك والطباخ أن يكون لهم من الثقافة ما للطبيب وصاحب المصرف . فإذا نظرنا إلى العمل هذه النظرة ، رأينا الشبان المثقفين يصيبون السعادة فى أعمال نشأوا على أن يعدوها أعمالا حقيرة .

وقد عرفت فى الجامعة فتياناً لا يتمنون سوى أن يصيروا تجّارة ، فلو كانوا يعيشون فى عالم لم تستبد به فكرة خاطئة عن العمل الشريف أو غير الشريف ، لفعل هؤلاء

ما فعله بودتش منذ مئة سنة . وقد عزفت في فرقة موسيقية كان فيها عازف الكمان الثاني رجلا يصنع الكمان ، وهو الذي زوّد جميع العازفين على الآلات الوترية في الفرقة بآلات موسيقية من صنع يديه . فلذلك يؤسفني أن يقال لي إن المشتغلين بإصلاح الساعات مثلا قد صاروا قلة نادرة ، ولعله مما يشجع بعض الشباب أن يعلموا أن الساعاتي ينال على إصلاح الساعات أجوراً حسنة .

ولن تعدم من يقول لك إن الصناعة الحديثة قد قضت على الصانع الحاذق المستقل ، ولكنني أشك في صحة هذا الرأي . والذي يقضي على هذا الصانع هو خطأ التفكير ، لأن الحكمة الأولى والأخيرة في اختيار العمل الذي تعمله ، هي أن تبحث عن شيء مطلوب فتصنعه أو حاجة ماثلة فتسدّها . وأغلب الرأي أن الحاجة التي تتبينها بخيالك وفطنتك هي الحاجة التي هيئت أنت لسدّها .

عين بعين

انتظر صاحب الصيدلية في بلدتنا زمناً طويلا قبل أن جاءه النبأ بأن سيارته الجديدة قد وصلت . فلما عرضها عليه البائع رآها سيارة حسنة مزودة بجميع الأجهزة الجديدة : من مصباح يخترق نوره الضباب ، وجهاز راديو ، ومدفأة تحت المقعد ، وجميع الأشياء التي يحاول باعة السيارات أن يضمّوها إلى السيارة لكي يغنموا ما يستطيعون غنمه من الربح . فاعترض صاحبنا الصيدلي ولكن اعتراضه لم يجد ، فقد قال له البائع : «خذها كما هي أو دعها» فأخذها على مضض .

وبعد أيام ذهب بائع السيارات إلى الصيدلية لإعداد وصفة كتبها له الطبيب ، فلما فرغ الصيدلي من إعدادها لف مع الزجاجة التي تحتوي الدواء أنبوباً فيه أقراص الأسبرين وزجاجة للماء الساخن ، وعلبة من أقراص الفيتامين ، ومحلولا يخفف السعال ، ورذاذا للأنف يقي من الزكام ، وكل ما تحتاج إليه الأسرة في صيدلية البيت الصغيرة . فغضب البائع ورفع صوته محتجًا ، ولكن الصيدلي قال له غير آبه لاعتراضه : « خذها أو دعها » . فأخذها !

[كارل دريك]

قصة حقيقية لا تكاد تصدق ، وقعت حوادثها فى ألاسكا أيام البحث عن الذهب

الذهب فى مناجمه

ركس بيتش

مختصرة من كتابه «أيام حياتى»

فى شتاء عام ١٩٠٠ كانت بلدة « نوم » بألاسكا قبلة المصابين بحمى البحث عن الذهب . وكان ممن نزل هذه المدينة فتاة حسناء من أجمل الفتيات اللواتى رأتهن عينى ، وفتحت فيها فندقاً صغيراً . وقد أغراها ما كانت تسمعه عن الذهب والثراء فى بلاد الشمال ، أن تشد إليها الرحال هى وجماعة من أصدقائها ، ولكن سرعان ما كرهوا مقامهم فعادوا أدراجهم ، إلا هذه الفتاة فإنها شغفت بهذه الأرض حباً ، فصممت على أن تقيم بها وتجمع ثروة .

كانت فتاة شقراء نحيلة ، وعلى ذقنها نونة لطيفة ، وترى لها ثغراً يميل ميلاً خفيفاً يشف عن السخرية والازدراء ، وكانت حديدة الطبع كأنها بارود يتفجر . أما شجاعتها فكانت من جهلها وغرارتها ، إذ لم يمسسها أحد بضرر قط ، فمن أجل ذلك كانت تثق بكل إنسان ولا تخشى أحداً .

ولما عثر الناس على الذهب نمت بلدة « نوم » فجأة ، فزاد عدد سكانها فى بحر الأيام العشرة الأولى من ثلاثة آلاف نفس إلى عشرين ألفاً . وكان مرأى المدينة مثيراً لنفس الرائى ، فالأفاريز مزدحمة بالطارئين من جميع أنحاء العالم ، وكان شارع البلدة الوحيد شارعاً غير معبد يعلوه الوحل وهو غاص بمركبات تنقل المشحونات من الشاطىء ، أما الأندية ومنازل القمار فكانت مزدحمة بالزوار ، وأصوات الموسيقى والقهقهات العالية تنبعث من أندية الرقص .

وكان الإقبال على الغرف النظيفة عظيماً جداً . وقد استفادت فتاتنا من فندقها مالا كثيراً منذ أول الأمر ، إذ كانت تديره بنفسها ، وتسكن فى كوخ مجاور ومعها زنجية مشاكسة ضخمة الجسم تقوم بتدبير منزلها وبطبخ ماتحتاج إليه .

وفى شتاء ذلك العام نكبت بلدة «نوم» بعصابة مؤلفة من ثمانية أشخاص من شر من بليت بهم الأصقاع الشمالية ، وكانوا

أكثر عدداً من حَفَظة الأمن ، ولعل هذا هو سبب تساهل رجال القانون ومسالمتهم لتلك العصابة .

وذات ليلة سمعت الفتاة أصوات استغاثة عند باب كوخها ، فأسرعت إلى الصوت ، فرأت رجلاً خائر القوى يقول : « أيتها الحسناء ، لقد أُصبت » .

كان الرجل جاثياً على ركبتيه ، فأعانته وحملته إلى كوخها . وبينما هى تهم بالخروج لتستدعى الطبيب صاح قائلاً : « لا أريد طبيباً » .

قالت : « ولكنك مصاب برصاصة ! »

قال : « فلنكتم الأمر . ما قولك ؟ »

وكان الرجل مصاباً بجرح فى كتفه ، فأشار عليها بأن تأخذ قطعة من النسيج وتبلها بالويسكى وتغسل جرحه ، وتحشوه بقطع من منديل نظيف .

ولما استطاع أن يقف على قدميه أخذ يعتذر إليها ويقول : « لشد ما آسف على ما كان من إزعاجك ، ولكنى لم أكن أستطيع أن أخطو خطوة واحدة » .

فقالت : « هل تأذن لى أن أرافقك إلى منزلك » .

فهزّ رأسه وقال : « ليس من الحكمة أن يراك أحد مع أى فرد منا ، وسأعود إليك لتغيرى لى الضمادة إذا لم يكن لديك مانع » .

فقالت : « إنكم عصابة شر لا خير فيها » .

قال : « إذن سأغير الضمادة بنفسى » .

قالت : « ان يدىّ على الأقل أنظف من يديك ، فتعال إذا كان لا بد لك من المجىء » .

وإذ ذاك بدأت الهدايا تصل إليها بطريقة غامضة ، كانت هدايا من أطايب الطعام مما لا يمكن شراؤه من أى مكان . ولما عاد إليها الجريح احتجت .

فقال لها : « لننس كل شىء ، فقد شملناك بحمايتنا »

قالت : « لا أريد أن أكون تحت حماية عصابة من اللصوص . إن جميع هذه الأشياء مسروقة ، وقد ينالنى شر من جرائها » .

قال : « أصغى إلىّ . إن البرتقالة لا يهمها من الذى يأكلها ، ومادمنا نحرسك فمن المستحيل أن ينالك مكروه » .

ومنذ ذلك اليوم أصبحت الفتاة فى حماية عصابة من اللصوص ، وأثبتوا بعد ذلك أنهم كانوا جادين فيما عزموا عليه من حمايتها .

وذات ليلة أعطاها أحد المترددين على فندقها كيس ذهب كبير لتحفظه عندها ، فترددت فى قبول تبعة حراسته ، وقالت إن خزانتها غير مأمونة ، وأنها تضطر إلى فتحها كل يوم مراراً . على أن الوقت كان قد مرّ ولم يكن ثمة مكان أوفر أمناً لحفظ

ذلك الكيس ، ولذلك ألح الرجل فى تركه لديها .

وبعد هنيهة دخل اثنان من أفراد العصابة كانت تعرفهما من مرآهما ، فجلسا وأخذا يجيلان أنظارهما فيما حوالبهما . فساورتها الشكوك وطلبت منهما أن يخرجا ، فأبيا ، وقالا إنهما ينتظران رجلين من أصحابهما . فمالت قليلاً إلى الوراء واستندت إلى الخزانة وأغلقت بابها ثم أحكمت إيصاده، وبعد هنيهة انفتح الباب بعنف ودخل رجلان ملثمان ، فهجم عليهما رجلا العصابة المنتظران ودفعا بهما إلى الخارج وأوسعاهما ضرباً ، فتنفست فتاتنا الصعداء وقال لها أحدهما : « الآن يمكنك أن تطمئنى ياسيدتى ، فقد انتهى كل شىء » .

« وهل كنتما تعرفان أنهما ..؟ »

« بلا شك . هما الشخصان اللذان كنا ننتظر حضورهما » .

« ومع ذلك فقد ظننت فى أول الأمر أنكما تريدان سرقة الكيس » .

فتجهم وجه الرجلين ثم انطلقا خارجين. ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ أحد على أن يعتدى عليها .

على أن أروع الأعمال التى قامت بها العصابة وقعت عند عودتى إلى « نوم » بعد رحلة قمت بها للبحث عن منجم للذهب ، وكان وباء حمى التيفود قد تفشى هناك ، وأصيبت بها الفتاة . وكانت طاهيتها الزنجية عاجزة عن تمريضها ، ولم يكن ثمة مستشفى ولا ممرضات تتعهدها ، فأخذت «العصابة» على عاتقها تمريضها والعناية بها . وقسموا أنفسهم ثلاث فئات تتألف كل فئة من اثنين منهم ، وتعمل ثمانى ساعات . وكانوا يعنون بها عناية تامة بإشراف « هلدا » صديقة زعيمهم والتى كانت تقوم بتدبير شئونهم وما من أحد كان خليقاً أن يبدى لتلك المريضة من صبره ورقته واهتمامه أكثر مما أبدته تلك العصابة من أعداء العدالة ، وقد شغلهم من أمرها ما شغلهم ، حتى إن وطأة الجرائم خفت فى البلدة وحل محلها هدوء شامل

ولعل هذه العصابة أعجبت بما رأته فى تلك الفتاة من الفضائل التى تعلموا أن يحترموها . ثم إن رجال العصابات كثيراً ما يجدون لذة فى مغامراتهم فى ميادين الفضيلة، كاللذة التى يجدها المحافظون على الشرف فى ميادين النخوة والدفاع عن العرض . ومهما يكن الباعث الذى استهوى رجال العصابة ، فإنهم أفلحوا فى إنقاذ حياة الفتاة التى شملوها بحمايتهم .

على أن الحمى أورثتها نحولاً شديداً فاستولى عليها ضعف عظيم وكادت تصاب بالعمى . بيد أن الطبيب أكد لهم أ:

ستسترد قوة بصرها يوم تسترد قواها . كان لا بد لها حتى تسترد قواها من أن تشرب أقداراً كبيرة من اللبن الطازج ، ولكن لم يكن فى بلدة « نوم » كلها سوى بقرة واحدة ، وكان صاحبها يأبى أن يبيعها أو يبيع لبنها .

فلم يبق لهم سوى وسيلة واحدة ينتهجونها، فسرقوا البقرة ، ولم تكن سرقتها بالأمر العسير ، ولكنهم حاروا أين يخفونها فى بلدة صغيرة يكسوها الثلج ، فعزموا على أن يستبقوها موقتاً فى بيتهم .

وكانت المشكلة الثانية هى اللبن نفسه ، إذ لم يكن أحدهم يعرف كيف يحلب البقرة، فلما حاول أحدهم أن يدنو منها رفسته برجلها وقذفت به إلى المطبخ . وحاول آخر أن يدنو منها من أمام ، وما هى إلا هنيهة حتى علم أن البقرة تستطيع أن ترفس بيديها كما ترفس برجلها . وعادت « هلدا » عند منتصف الليل من حفلة راقصة ، ورأت ضجة عظيمة ، فسألت عن سبب وجود بقرة فى البيت، فلما بينوا لها حاجة الفتاة إلى اللبن، شمرت عن ساعديها وتقدمت من ميمنة البقرة وملأت لهم الإناء لبناً .

ومن الغريب أن العصابة استطاعت أن تخفى البقرة فى البيت طول مدة الهرج والمرج اللذين سادا على أثر اختفائها . ولكى يكتموا خوارها بقى بعضهم بجانبها ، ومعهم لحف لكتم أنفاسها ، وكانوا يعلفونها تبناً مسروقاً وحبوباً وبقولاً مما يخزن فى العلب. ولما رأوا أنها تحب الذرة المذخورة فى العلب صاروا يسرقونها صناديق صناديق ليعلفوها.

وظلوا يقدمون لبناً طازجاً إلى الفتاة كل يوم . أما كيف استطاعوا أن يكتموا أمرهم فسر لا يزال غامضاً غموض السبب الذى جعلهم يخلصون للفتاة . لم تكن تمت إلى أحدهم بأية صلة ، ولم يبد لها أحد منهم أية عاطفة ، ولا كلمها بكلمة فيها تلميح بحب. وكانوا يعلمون أنها كانت تكره سيرتهم ، وأنها كانت تشمئز من أفعالهم ، ولكنهم أدركوا مبلغ إخلاصها فاعتمدوا عليه . ولما برئت من مرضها أخبروها بسرقة البقرة وسرهم ما بدا عليها من الحيرة والارتباك .

وتفرق أفراد العصابة عندما بدأ الثلج يذوب فى فصل الربيع ونزحوا عن « نوم » واحداً بعد واحد . ومن يومئذ لم أسمع أنا ولا سمعت الفتاة بما انتهى إليه أمرهم، فلعل بعضهم قد ساءت عاقبته ، أو لعلهم اهتدوا وحسنت سيرتهم. وإنه ليسرنى أن يكون الله قد هداهم إلى الخير ، فإن عطفهم على فتاة بائسة فى أثناء مرضها كان ينطوى على مروءة عظيمة. ولشد ما أتمنى أن أقدم لهم الشكر على ما فعلوا .

وهذا الذى أتمناه هو نفس ما تتمناه زوجتى، فقد شاء الله أن أتزوج تلك الفتاة نفسها .

نقطة التحول في حياتي

وجهي في المرآة

كيت كولستين

تأخرت ذات يوم عن موعد كنت قد ضربته مع صديق لي . فهرعتُ إلى قطار النفق السريع وتوقفت هنيهة أمام مكتب تغيير النقد ، وأخرجت من جيبي قطعة فضية وضربتها على المكتب وطلبت فكها بنقود صغيرة . ولبثت أنتظر عشر ثوانٍ خيِّل إليّ أنها دهر طويل ، ثم رفعت نظري لأرى ماسبب التأخير ، فإذا بي أرى رجلا كالح الوجه لم أر في حياتي رجلا أكلح منه وجهاً ، وما كنت افتريت على الرجل حتى ينظر إليّ هذه النظرة فقلت برماً ساخطاً : « هيّا بنا يا صاح ، هات الفكة ولا تحملق فيّ هذه الحملقة » . ولم أكد أقول ما قلت حتى تبيَّنتُ أن هـذا الوجه الكالح الذي يحملق فيّ إنما هو وجهي ، فأنا واقف أمام المرآة في ذلك المكتب الصغير الخالي .

فلما ارتدّ إليّ بعض روعي ، أدركت وأنا مجفلٌ أنه قد أتيح لي اليوم أن أرى نفسي كما يراني الناس ، فكان ذلك نقطة تحول في حياتي . وكثيراً مارددتُ نفسي بعد ذلك عن الانسياق مع حافز يحفزني إلى السخط أو الغضب ، بتذكر ذلك الوجه الذي رأيته في المرآة .

من قال :
إنهم صغار ضعاف العقول ؟!

بليك كلارك

في الأمة الأمريكية مئتان وخمسون أسرة تعدّ برناردين شميت نعمة من نعم الله . فقد كان أبناء هذه الأسر صغاراً يعانون كثيراً من علل اضطراب العقل والعاطفة ، بل وصف بعضهم بالبلاهة وضعف العقل . وكانت المدارس التى ألحقوا بها قد حكمت بأنه لا يسعها أن تعلمهم شيئاً . وإذا مس شميت ، وهى مدرسة شابة مثالية النزعة، تعلمهم ثلاث سنوات وفقاً لخطتها الخاصة فى تربية ضعاف العقول، ثم ترعاهم وترشدهم خلال خمس سنوات بعد ذلك ، فإذا هم فى خاتمة هذه المدة قد صاروا فتياناً وفتيات قد صلح أمرهم وغدوا مواطنين يعتمدون على أنفسهم ، لا عالة على ذويهم أو على الجماعة .



كانت برناردين شميت طفلة نابغة ، فقد تخرجت من كلية المعلمين فى شيكاغو سنة ١٩٣١ وهى لم تزل فى التاسعة عشرة من عمرها ، فلما ألفت اسمها فى ذيل كشف طويل من طلاب الالتحاق بمناصب التعليم ، عزمت على أن تنشىء مدرسة خاصة بها تتولى أمرها بنفسها .

فاستأجرت عليّة فوق دكان حانوتى ، ورحبت بالأطفال الذين أبت المدارس أن تقبلهم فى عداد تلاميذها . وهى تقول : « إننى فى حاجة إليهم، وهم فى حاجة إلىّ » .

كانت هذه الجماعة المتنافرة من الصغار ، التى واجهتها الفتاة البالغة من العمر تسعة عشر ربيعاً ، كفيلة بأن تبعث اليأس فى نفوس أشدّ المعلمين حنكة

وتجربة، فقد كانت مؤلفة من سبعين فتى وفتاة، تتفاوت أعمارهم بين السابعة والسادسة عشرة، وتختلف مراتبهم فى المدرسة اختلافاً كبيراً، وكان منهم من قيس مستوى ذكائه فإذا هو أربعون فى المئة من المعدّل الطبيعى . فهذا فتى اسمه آرتشى فى الثانية عشرة من عمره، لم ينطق قط فى حياته سوى كلمتين: «فنجان» و«صحفة» . وهذا فتى آخر فى الحادية عشرة من عمره ، قسمات وجهه أشبه بقسمات الغول ، قد زجّ بنفسه فى صندوق كبير للعدد والآلات ، وسكب على نفسه لتراً من الغراء ، ثم التفت كالأبله وقال : « مادة لصّاقة » ! وتلك هيلين التى يستبدُّ بها الحياء ، فى الثانية عشرة من عمرها ، ولكنها قبعت على الأرض تحت المائدة كالنافرة المذعورة . أما الصغار الأخر فلم تبدُ على وجوههم دلائل الضعف العقلى ، ولكنهم كانوا عاجزين عن أن يلبسوا جواربهم وأحذيتهم ، أو أن يأخذوا إلى حانوت البقال كشفاً يسلمونه إياه ، أو أن يذهبوا وحدهم إلى المدرسة .

كانت المشكلة الأولى التى تعيّن على المدرّسة الشابة أن تواجهها ، هى أن تعلم تلاميذها مبادىء الاستقلال فى حياتهم . فقالت للآباء والأمهات : « تبدأون بعد غد فى إرسال أبنائكم وحدهم إلى المدرسة » .

فاعترضت أم فتاة فى العاشرة وقالت : « ولكن ابنتى لم تذهب قط وحدها إلى دكان البقال الذى لا يبعد مئة متر عن بيتنا » .

فردت مس شميت بلهجة حازمة: « إذن لقد حان الحين أن تفعل ذلك » .

ومن ثم جعلت تأخذ الصغار جماعات جماعات ، من المدرسة إلى منعطف الشارع الذى يفضى بهم إلى بيوتهم . فلما اجتمعوا فى المدرسة فى اليوم التالى، أخذوا يتحدثون عن المعالم التى كشفوها واهتدوا بها — هذا صندوق بريد ، وهذا مخبز طيب الرائحة . ثم عكفوا على رسم خرائط بسيطة يبين كل منهم عليها طريقه إلى بيته ، ثم راجعوها مراراً مع مس شميت .

وفى صبيحة اليوم الثالث كانت المدرسة تموج بفتيان وفتيات قد أخذتهم نشوة الظفر ، فلم يكن بينهم طفل أعجزه أن يصل إلى المدرسة وحده فى الموعد المقرر .

ثم عمدت مس شميت إلى مشروع آخر أطلقت عليه: « كيف نتجول فى مدينتنا » . فسارت معهم مرتين إلى دار السنما فى الحى ، ودكان البقال ، والملعب العام . وبعد ذلك عمد التلاميذ الذين يميلون إلى المغامرة ، إلى القيام بهذه الرحلة فرادى ، وأما البقية فقاموا بها جماعات جماعات .

ثم تعلم التلاميذ أن يذهبوا وحدهم بالترام إلى دار الجمعية التاريخية ، ومعهد الأحياء المائية ، وحديقة الحيوان ، فتعلموا أن يعبروا المدينة من حيّ إلى حيّ ، كأنهم يسيرون من بيتهم القريب إلى المدرسة . وكانت مس شميث تزود كلا منهم ببطاقة تكتب فيها العنوان الذى يقصد إليه ، فيعرضها على الشرطى أو مفتش الترام إذا ضل سبيله . ففرضت هذه الوسيلة على ذوى الحياء من الفتيان والفتيات أن يطرحوا الخجل ويسألوا عن الطريق عند الحاجة ، وعززت رغبتهم فى أن يجاروا لِداتهم فى الاستقلال بأمورهم . وقد تعلموا بسائط القراءة والكتابة والحساب ، كقراءة التعليمات التى تزودهم بها معلمتهم ، وتقدير المسافات بين مكان وآخر – المسافة من المدرسة إلى ناصية الشارع ثلاث عمارات تضاف إليها ثلاث عمارات أخرى من ناصية الشارع إلى البيت ، فالمجموع ست عمارات .

ثم تلا ذلك مشروع « الأسلاك والأجراس » ، وهو مشروع قائم على حركة التلفون يقصد به تحسين النطق والإفصاح، وتعزيز الثقة بالنفس . فعهد إلى ممثل شركة التلفون أن يعلم الأولاد كيف يديرون قرص التلفون وكيف يتكلمون كلاماً واضحاً فيه . وفى دار الشركة أتيح لهم أن راقبوا العاملات وهن يتلقين إشارات التلفون، ففتنهم ما رأوه من وميض الأنوار على لوحة التحويل .

فلما عادوا إلى المدرسة صنعوا لوحة تمثل لوحة التحويل فى دار التلفون ، مستعينين بلوح من الورق القوىّ مطلى بدهان أسود من الميناء ، واتخذوا الأسلاك من أنابيب المطاط المنبوذة . وجاء جو – وهو صبيّ فى العاشرة من عمره وذكاؤه لا يكاد يبلغ نصف المستوى العادى – ببطارية جافة كان أبوه قد علمه كيف يصلها باللوحة، فأضاءت المصباح الفرد الذى ركب عليها . وأخذ فتى آخر بكرة كبيرة وقطعتين من الصفيح وصنع منها سماعة تشبه سماعة التلفون .

وذات يوم أشار أحد الصغار إلى كتاب مفتوح عند صفحة فيها صورة وقال : « هذا تلفون » .

فأجابتهُ دون أن تنتبه إلى ما كان ، وقالت : « نعم ، هو تلفون » .

ولم تلبث أن أدركت أن الفتى الذى كلمها كان آرتشى ، ذلك الفتى الذى كان لا يعرف من الألفاظ سوى لفظين هما : « فنجان » و « صحفة » .

فقالت وهى تغالب نفسها حتى لا تشى بدهشتها وفرحتها : « ألا تقرأ لنا شيئاً يا آرتشى » .

فقرأ صفحة كاملة دون أن يخطىء أو يتعثر.

وكذلك ظلت مس شميت ثلاث سنوات وهي ترشد هؤلاء الصغار في القيام بمشروع في إثر مشروع . وقد أحال التلاميذ حجرة المدرسة إلى شيء جعلوه بالتخيل مخزن البقال حيث تجري العاملة بالأطعمة المحفوظة والملابس المستعملة ، والحلي المزيفة . وقد تعلموا بهذه الطريقة أساليب الانتفاع بمكتب البريد ، وإدارة مطعم . ومكتب لتخديم العمال المعطلين . وقد استطاعت مس شميت بما فطرت عليه من الصبر والحنان وحسن الثناء والتشجيع ، أن تستبقي شعلة الإقدام والمبادرة متقدة في نفوسهم .

فما وافى ربيع سنة ١٩٣٤ حتى كان الفتى ذو القسمات المغولية ، الذي خبأ نفسه في صندوق العدد والآلات ، قد أدرك من التعليم ما هيأه للسنة الخامسة الابتدائية . أما هيلين الشديدة الحياء المنزوية عن لداتها، فكانت قد حصّلت ما أهّلها للتخرج من المدرسة الابتدائية . وأصبح كل واحد من هؤلاء الصبية والفتيات أهلا للدراسة في أية مدرسة عادية ، بعد أن كانوا مصابين بعلل في العقل والعواطف ، تجعل المطابقة بينهم وبين بيئتهم شيئاً مستحيلا .

وبعد سنة من الدراسة العالية عيّنت مس شميت مدرّسة في معهدٍ لأطفال ضعاف العقول يئس المعلمون من إصلاح أمرهم . فاختارت ٢٥٤ فتى وفتاة تتفاوت أعمارهم بين الثانية عشرة والرابعة عشرة ، ولم يكن بينهم من يزيد مقياس ذكائه على ٦٩ في المئة، وكان متوسط ذكائهم جميعاً ٥١٫٧ في المئة . وكل صغير يكون متوسط ذكائه أقلّ من سبعين في المئة يُعَدُّ ضعيف العقل .

وكان رأي مس شميت أن تعلم هذه الجماعة من الصغار على طريقتها الأولى ، ولكن بدا لها أن تستعين هذه المرة بإحدى عشرة معلمة أخرى . وكان مذهبها أن الأطفال العاديين إنما يتعلمون أن يمشوا ويتكلموا بدافع من ذوات نفوسهم . أما ضعاف العقول فيعوزهم هذا الدافع ، فعزمت على أن تزوّدهم به .

فهذه إفلين الشديدة الحياء ، تستطيع أن تتكلم ولكنها لا تفعل ، فكانت تقيم يوماً بعد يوم في حجرة تغيير الملابس تراقب لِداتها مراقبة المنزوي العابس ، فلم تحثها مس شميت على أن تنضم إليهم وتشترك معهم، بل تركتها عسى أن يحدث شيء يوقظ الاهتمام في نفسها .

وذات يوم سمعت فتاة وهي تنادي أنها في حاجة إلى بعض الدبابيس ، فما كان من إفلين إلا أن خرجت من الحجرة ووجدت الدبابيس وقدمتها إلى الفتاة الصغيرة .

فدهش الجميع مما رأوا ، وكان ذلك بدء فترة جديدة فى حياة إفلين . وقد ظلت تسدى إلى زميلاتها ما تيسر لها من الأعمال الصغيرة التافهة ، ولكنها دأبت على الامتناع عن القراءة . وذات يوم طلبت منها مس شميث أن تعاون إحدى المعلمات فى عمل فهرس للكتب ، وما عليها سوى أن تقرأ السطر الأول من كل كتاب حتى تستطيع المعلمة أن تسجله على بطاقة . فوافقت إفلين على ذلك لأنه لم يكن « قراءة » ، وما هو إلا زمن قصير حتى صارت تقرأ بصوت عال مع سائر الصغار ، وتستمتع بما تفعل .

وقد ابتكرت مس شميث طريقة بارعة لتعين الصغار على زيادة ما يعرفونه من مفردات اللغة ، فأنشأت لهم حقيبة ، يضع فيها التلاميذ قصاصات من الورق كتبوا عليها كل لفظ جديد . فإذا صار عدد القصاصات فى الحقيبة مئة ، قسمت التلاميذ فريقين ، وأقامت بينهم مباراة لتتبين أى الفريقين أقدر على تعريف أكبر عدد من الكلمات الجديدة تعريفاً صحيحاً ، وعلى استعمالها فى جمل استعمالا سليما .

وفى ربيع السنة الثالثة ، دأب التلاميذ على مشروع عنوانه : « كيف ننتج طعامنا » ، فصاروا يترددون على مستنبت قريب فيشترون البذور والفسائل ويزرعونها فى أصص أعدت لذلك . وكان جون فتى فى الخامسة عشرة ، وقد فتنه ما رآه فى المشتل ، وذات صباح دخل على الفصل وصاح وهو يلهث : « لقد ظفرت بعمل فى مشتل مستر هورتن بعد ساعات الدراسة — والأجر ٢٢٠ قرشاً فى الأسبوع » .

فاستغرق ما تم لجون تفكير التلاميذ وحديثهم — عمل ينيلك مالا تشترى به ما تتمناهُ نفسك ! فما مضى أسبوع حتى كانت الفتاة هيزل تبيع فولا مملحاً فى دار للسينما ، وصار أنتونى صبياً يتعلم تنضيد الحروف بالآلة ، وما وافت نهاية السنة حتى كان ثلاثة أرباع الفتيان والفتيات يعملون بعض الوقت أعمالا شتى فى المخازن ، أو مكتب التلفون ، أو دار للحفر — وكانت جميعها أعمالا ظفروا بها بأنفسهم دون وساطة أحد .

فلما انتهت فترة السنوات الثلاث ، دلَّ الاختبار على أن هؤلاء الصغار قد تعلموا ما يتعلمهُ غيرهم من الأطفال العاديين فى أربع سنوات . وكانت « الكتب » المفضَّلة عندهم يوم دخلوا مدرسة مس شميث تلك الصفحات الهزلية السخيفة التى تنشرها بعض الصحف ، فلما قاربوا النهاية صاروا يفضلون بملء اختيارهم الكتب التى يفضلها لداتهم من أصحاب العقول السليمة .

وقد ظلت مس شميت ترعى هـذه الجماعة وترشدها خلال خمس سنوات أخر ، وكانت تختبر ذكاءهم مرة كل سنة ونصف سنة . فلما تمت فترة السنوات الثمان ، تبين أن ٨٠٫٧ فى المئة منهم قد زاد معدل ذكائه ٣٠ فى المئة ، وأن ٧٫٢ فى المئة منهم وحسب ظلّ معدوداً ضعيف العقل. وقد أتم ربعهم الدراسة الثانوية ، وأقبل عـدد منهم على الدراسة الليلية ، وظفر ٨٠ فى المئة منهم بأعمال تشغل وقتهم كله وتنيلهم ٣٢ ريالا فى الأسبوع على المعدّل ، وكان معظم أعمالهم كتابيًا أو فنيًا

ومس شميت على صغر سنها تستطيع أن ترتد بالذاكرة إلى أيام حافلة بالذكريات العجيبة ، ومن أحبها إليها ذكرى الفتاة كارولين يوم تخرجت ، فقد كانت كارولين يوم جاءوا بها إلى مس شميت فتاة شديدة الحياء شدة غير مألوفة ، فلما حاولوا أن يستدرجوها إلى القراءة أغمى عليها . فلما كانت حفلة توزيع الشهادات كانت كارولين هى رئيسة الحفلة التى أقامتها الطلبة ، وقدمت مدير المصارف إلى حفل يضم ألفاً ومئتين من الناس.

ثم إن مس شميت تذكر يوم جاءها الفتى بيتر ليودعها . فهذا أحد الفتيان الذين تولتهم بعنايتها وهو يكسب ٨٤ ريالا فى الأسبوع فى مصنع للسيارات ، وقد اشترى سيارة جديدة وعزم على أن يأخذ فيها أمه وشقيقته فى إجازة إلى فلوريدا . وقد كانت مس شميت تخشى فى سـنة ١٩٣٥ أن يعجز بيتر عن أن يتعلم الهجاء الصحيح، وها هو ذا اليوم شاب فى الرابعة والعشرين يقول لها : « أتذكرين ؟ كانوا يظنون أننى أبله ، فأحتاج إلى من يطعمنى بالملعقة، ولـكننى اليوم رأس الأسرة وعائلها » .

كيف تقدم العالم ؟!

أبى محرر صحيفة فى مدينة سبرنجفيلد أن يركب سيّارة من التى صنعت فى أول عهد السيارات لانها تحط من كرامة المحرر ـ واعترض المالى الكبير تشونسى ديبو اعتراضاً شديداً على ابن أخيه يوم أراد أن يشترى طائفة من أسهم فورد لأن « الناس لم يصنعوا شيئاً يتفوق على الحصان» ـ وأمر محافظ مدينة سنسناتى فى سنة ١٩٠٨ بمنع السيدات من قيادة السيارات لأنهن لا ينصفن بما يؤهلهن لذلك .

الضحك : خير علاج

يعد مارك كونلي من كتاب المسرحيات المجيدين ، ولكنه كسول بطيء في التأليف ، وهو يتوخى الإتقان ويحاسب نفسه محاسبة دقيقة . وكان قد وعد أحد المخرجين أن يؤلف له مسرحية جديدة ، ثم انقضت سنة كاملة دون أن يسمع المخرج كلمة عن هذه المسرحية ، فنفد صبره وطلب كونلي بالتلفون وقال : « أين المسرحية ؟ فلا بدّ من أن أختار لها الفرقة التي تكفل نجاحها » . فقال كونلي : « أنا ماضٍ فيها » . فسأله المخرج : « قل لي على وجه التدقيق ماذا أنجزت منها ؟ »

فقال كونلي : « أنت تعلم أنها مؤلفة من ثلاثة فصول وفترتي استراحة ، وقد فرغت لساعتي من إنجاز الفترتين » .

كان الخادم الفرنسيّ شديد النقمة على الرأسمالية ، وكان ينفق معظم فراغه يشهد اجتماعات الشيوعيين . وكان سيِّدهُ لا يحبُّ ذلك منهُ ، بيد أنه كان رجلا متسامحاً فلم يعترض عليه ، لأن الخادم كان يحسن خدمته . وذات يوم تبيَّن السيد أن خادمه قد كفَّ عن الذهاب إلى الاجتماعات الشيوعية فسأله عن السبب فقال : « في الاجتماع الأخير الذي شهدته ، أقام الخطباء الدليل على أنه لو وزعت ثروة الأمة بالتساوي على جميع أفرادها لأصاب كلٌّ منهم ألف فرنك » .

فقال السيِّد : « ولِمَ كففتَ ؟ »

فقال الخادم : « لأنني أملك خمسة آلاف » .

عرض فلم جديد في حفلٍ خاصّ ، فكان فلماً ضعيفاً مملاً ، فحاول أحد صغار الموظفين أن يقول للمخرج العظيم كلمة يعبر فيها عن رأيه دون أن يثير غضب رئيسه ، فقال : « أيها الرئيس ، لو قطعت من هذا الفلم مقدار ألفي قدم ، لصار أقصر مما هو ولا ريب ! »

جمع أحد العصاميين ثروة كبيرة ، فقصده أحد الصحفيين ليستطلع سيرة حياتهِ وسر نجاحهِ فقال الغنيّ : « لا أتردد مطلقاً في إسناد الفضل إلى زوجتي لما أسدته إليّ من معونة » .

فقال الصحفيّ : « وكيف أسدت إليك معونتها ؟ »

فقال الغنيّ : « كنت دائماً والحق يقال ،

أسأل نفسى: أتراني أستطيع أن أظفر بدخل لا تستطيع هى أن تنفق أكثر منه ؟ »

النفى صديقان بعـــد فراق طويل ، فسأل أحدهما الآخر : « ألا تزال زوجتك جميلة على العهد بها ؟ »
فقال صاحبه : « لا تزال كعهدها ، ولكن زاد ماتنفقه على زينتها نصف ساعة ».

وطل الموظف مترفقاً وجلاً على رئيسه وقال له إنه مضى على زواجه خمس وعشرون سـنة ، أفبسمح له بيوم إجازة ليحتفل مع زوجته بهذا العيد ؟
فالتفت إليه الرئيس وقال : « ربّاه ، أينبغى لنا أن نعطيك إجازة يوم كل ربع قرن ؟! » .

سأل الأستاذ فى كلية الطب ، طالباً فى السنة الثانية : «مامقدار الجرعة من عقار معيّن ، لشفاء حالة بعينها » .
فقال الطالب : « ستّ قمحات » . ومضت دقيقة ، وإذا الطالب يقف ويسأل الأستاذ ، هل يأذن له أن ينقح ردّه . فنظر الأستاذ إلى الساعة وقال : « لك أن تنقح ردّك ما شئت ، ولكن يؤسفنى أن أنبئك أن أن المريض الذى أخذ الحبّات الست قد توفى إلى رحمـة الله منذ ٤٥ ثانيـة » .

جلس ثلاثة من الشيوخ يتباحثون فى خير طريقة يخرج بها المرء من هذه الحياة الدنيا إلى الآخرة . فقال الأول وعمره ٧٥ سنة ، إنه يؤثر أن يكون ذلك على عجل فيفضل أن يقتل فى حادثة سيارة مسرعة . ووافقه الثانى ، وعمره ٨٥ سنة ، على ضرورة العجلة ، ولكنه آثر أن يقتل فى حادثة طائرة من ذوات المحرّك النفاث .
وتمهل الثالث وعمره ٩٥ سنة ، وقال : « لعلّ رأيى خير من رأيكما . فأنا أفضل أن يرمينى بالرصاص زوجٌ غيور ! »

ظل أحد القاولين شهوراً كثيرة يسعى إلى استيفاء دين له طال زمن استحقاقه ، ولكن كل ما توسـل به من مناشدة صاحبه وتهديده ذهب عبثاً لا طائل تحته ، فلجأ أخيراً إلى كتابة رسالة رقيقة تستدر الدمع ووضع فى الظرف مع الرسالة صورة لطفلته وكتب تحت الصـورة : « سبب حاجتى إلى المـال » .
وسرعان ما جاءته رسـالة من صاحبه وقد طواها على صورة غانية فاتنة فى ثياب الاستحمام على شاطىء البحر وقد كتب تحتها : « سبب عجزى عن الدفع » .

إن القول بأن الطبيعة وهبت بعضنا ذاكرة جيدة ، وبعضنا ذاكرة ضعيفة لهو من لغو الكلام ، فالفرق بين الحالين إنما هو طريقة الانتفاع بتلك الهبة .

فى وسعك أن تتذكر

برونو فيرست

مختصرة من «ذى أميريكان مجازين»

أعرف رجلاً من رجال الأعمال لا يأتمن ذاكرته على رقم تلفون يطلبه مراراً كل يوم، فهو فى كل مرة يبحث عنه، وترى جيوبه منتفخة بما تحويه من المذكرات وسجلات المواعيد، يراجعها كل خمس دقائق. وإنه ليؤثر أن يُرى عارياً فى الشارع ، على أن يفاجأ وليس فى يده إضمامة وقلم لتدوين كل شيء يرغب أن يذكره .

وأستطيع أن أسرد آلاف الأمثلة على هذا الضرب من الناس. إن لهؤلاء جميعهم ذاكرات هى فى أساسها مثل ذاكرتى وذاكرتك على سواء، ولكنهم أبوا أن يثقوا بها ويعتمدوا عليها . فالذاكرة كمثل العضلة تقويها المرانة ، ويضعفها التعطيل والإهمال .

ويتوهم بعض الناس أنه على قدر ما تحويه عقولهم من المعلومات ، يشق عليها أن تتسع للمزيد . ويستندون إلى ذلك لكى يسوغوا لأنفسهم « عدم إرهاق عقولهم بحقائق غير ضرورية » ، ولكن علم النفس قد بيّن أنه كلما زاد ما تعرفه سهل عليك أن تستزيد من المعرفة. فالتعلم والتذكر يحصلان بالاقتران والتداعى . وإذا كثر ما تحويه ذاكرتك من المعرفة ، كثرت الأفكار التى تستطيع أن تقرن بها الأشياء الجديدة التى تودّ أن تتذكرها . مثال ذلك أن من يعرفون عدداً من اللغات الأجنبية يؤكدون لك أن دراسة اللغة الثانية أسهل عليهم من الأولى . وأن دراسة السادسة أقل مشقة من الرابعة .

وهناك وهمٌ آخر هو أن تذكّر شيء ما يقتضيك أن تنسى شيئاً قديماً بعد أن تبلغ مخزونات الذاكرة حداً بعينه، أى أن الذاكرة لها سعة محدودة. وهذا الرأى سخيف كالذى سبقه. والعلم فيما استطاع أن يصل إليه يقول إن سعة العقل البشرى ليس لها حدود .

والظاهر أنه إذا وقعت لك تجربة ، أو إذا تعلمت شيئاً ، فإن ذلك يثبت فى عقلك الباطن ثبوتاً لا يمحى . فقد مات فى أحد مستشفيات نيويورك رجل فى الثامنة والسبعين كان قد نزح إلى هذه البلاد من فنلندة وهو فى الخامسة ، فلما أصبح رجلاً

لم يتذكر كلمة واحدة من لغة أمه . وعلى رغم ذلك ظل يهذى باللسان الفنلندى ساعات فى مرضه الأخير . فهو لم ينس طوال تلك السنين الكلمات التى تعلمها فى طفولته ، ولكنه قطع صلته بها وحسب ، فقد ظلت ذاكرته واعية لها ، ولكنه لم يحسن أن يتذكر .

ودخل على طبيب يعد كريات الدم زميل له يسأله رأيه فى حالة مستعصية ، فاستبد به الاهتمام بها فنسى ما كان بيده من عمل . فلما خرج زميله الطبيب ، عاد هو إلى عدّ الكريات ، فوجد بجانب المجهر ورقة عليها العد تاماً محققاً ، وجمع الأرقام صحيحاً . فقد تولى عقله الباطن العمل حين كان عقله الواعى منصرفاً إلى موضوع آخر .

ويختلف الناس اختلافاً بيناً فى مقدرتهم على تذكر الأنماط المختلفة من المعرفة . دع شرطياً وسياسياً ومهندساً صحياً يزورون جميعاً مدينة غريبة عنهم ، تجد أن كلا منهم سيلاحظ ويتذكر أشياء مختلفة . ويفسر هذا الاختلاف بعض التفسير باختلاف الأشياء التى يهتم بها كلٌّ منهم .

ولكن الاختلاف يرجع أيضاً إلى اختلاف الوسائل التى تسهل عليهم إحراز المعرفة . فإذا كان أقوى ما فيك أذن واعية كنت حرياً أن تذكر رقم التلفون بالكيفية التى ينطق بها . أما إذا كنت ذا عين واعية فمن المحتمل أنك تذكره بالكيفية التى تراه عليها .

وليس من المصادفات أن يكون السياسى « جيم فارلى » ذا قدرة على أن ينادى آلافاً من الناس بأسمائهم ، أو أن يحمل المذيع « جون كيران » فى رأسه دائرة معارف كاملة من المعلومات المفيدة والمسلية . أو أن يكون « رسكو باوند » العميد السابق لمدرسة الحقوق بجامعة هارفرد ، قادراً على أن يخطب ساعات دون الرجوع إلى مذكرات ، ثم يذكر بعد ذلك خطبته كلمة كلمة .

وأنت أيضاً تستطيع أن تكون كمثل « فارلى » أو « كيران » أو « باوند » على شرط أن تكون مريداً أن تتجشم نفس الصعاب . وإذا أردت أن تكون ذا ذاكرة متوقدة مستجيبة حسنة التنسيق فينبغى لك أن تدربها على ذلك .

ومن أراد أن يكون ذا ذاكرة يعتمد عليها ، يجب أن يقف ربع ساعة إلى نصف ساعة كل يوم على رياضة ذهنه . ولك أن تجعل هـذه الرياضة أبسط ما تكون أو أعقد ما تكون ما دامت تدفعك إلى التفكير .

وإليك ثلاثة تمرينات عقلية بسيطة :

١ — أطلق لعقلك العنان بضع دقائق ، ثم حاول أن تعود بسلسلة أفكارك القهقرى إلى مبدئها . مثال ذلك أنك إذا جلست على

الشاطىء ، ورأيت زورقاً ذكّرك ذلك بالزورق الصغير الذى أهدته إلى ابنك عمته « كيتى » ، فتتذكر أنه يجب أن ترسل بطاقة شكر إلى « كيتى » ، فتتذكر أنك رأيت بطاقات مصورة جميلة فى أحد حوانيت القرية ، وأنه كان معروضاً مع البطاقات خريطة للطرق تبيّن المواضع الهامة التى يقصدها الناس فى رحلاتهم بالجهات القريبة من ذلك المكان ، ويهجس ببالك الأسف على أنك تركت سيارتك فى منزلك .

حاول الآن أن تقتفى أفكارك مبتدئاً بالرحلة فى السيارة ، ثم الرجوع إلى خرائط الطرق والبطاقات المصورة و « كيتى » والهدية والزورق . وقد تجد رجوعك القهقرى مع أفكارك إلى بدايتها صعباً فى أول الأمر ، إلا أنك لن تجد وسيلة أصلح من تلك الوسيلة لرياضة عقلك .

٢ — فكر فى حجرة تعرفها جيداً . صوّر لنفسك موضع كل باب ونافذة وقطعة من الأثاث فيها . أين الموقد وزر النور ؟ أعلى نوافذها ستائر مسدلة ؟

حاول أن تجعل صورة تلك الحجرة فى ذهنك أتمّ ما تستطيع . فإذا عدت إلى تلك الغرفة بعد ذلك حاول أن تتبين ماذا نسيت من محتوياتها .

٣ — تذكر بكل ما فى وسعك من الدقة ماحدث فى الساعة الأخيرة . أين كنت منذ ساعة مضت ؟ ماذا كنت تفعل ؟ فيمَ كنت تفكر ، وبماذا كنت تشعر ؟ ثم ماذا حدث ؟ وعلى قدر ماتتوخى الدقة فى التفصيل فيما تتذكر ، كان خيراً وأفضل . حاول أن تدرس وجه الشخص الجالس بالقرب منك حينما تستقل قطاراً أو تراماً ، ثم أغمض عينيك وتخيّل أنك تصف هذا الوجه لصديق لك ، أو دوّن مساء فى عقلك قائمة بأسماء جميع الذين تحدثت معهم فى يومك واستعد كل ماقيل .

فإذا أخذت بهذه المقترحات أخذاً دقيقاً مدى أسابيع قليلة ، وجدت مقدرتك على تذكر الأسماء والوجوه تحسنت تحسناً بيناً . وقد تدهش حين تلقى نفسك قادراً أن تذكر العناوين وأرقام التلفونات قبل أن تبحث عنها.

وقد تجد أنك تستطيع أن تشترى كل ماتريده فى يومك دون الرجوع إلى كشف أعددته ودسسته فى جيبك ، وأنك تستطيع المحافظة على مواعيد طبيب أسنانك دون أن تحتال على التذكر بحيلة ما .

وإذا زادت ثقتك بذاكرتك ، ازددت ميلاً إلى الإقلال من الاعتماد على تلك الوسائل الخارجية ، وسرعان ماتصبح مستعداً أن تنبذ « العكازات » التى كان عقلك يعتمد عليها ، وأن تنهض على قدميك .

المصرف الذى أنشأه الشباب



رتشارد دمبولف
مختصرة من مجلة "بيك"

إذا اقتحم الشباب عالم المال انهارت سدود العرف والتقاليد، وزادت الأرباح، وانتهوا إلى إنشاء أكبر مصرف خاص فى العالم.

لما أنشأ أماديو بيتر جانينى مصرفه فى سنة ١٩٠٤ فى إحدى حانات سان فرنسيسكو، أشاعت أساليبه المستحدثة هلعاً فى نفوس أصحاب المصارف المحافظين. ففى ذلك الزمن كانت أعمال المصارف قاصرة على تقديم قروض كبيرة إلى فريق قليل من الناس، فجاء مصرف جانينى الحديث فملأ قلوب التجار هلعاً بمشروع يقضى بمنح قروض زهيدة لعامة الناس، تتيح لهم شراء ثلاجات وسيارات ومواقد وما يحتاجون إليه من أدوات المنازل. فقد وضع مشروعاً سماه مشروع «شيكات القروش» التى لم يكن مبلغ كل منها يزيد على قرشين ونصف قرش، فأتاح ذلك لمن لا مال له أن يستمتع بأبهة التعامل بالشيكات، وأعان تلاميذ المدارس بمنحهم قروضاً بلا فوائد. وقد قال جانينى: « إننا لا نريد أن نكسب شيئاً من التلاميذ، لأننا نكسب ممن هم أغنى منهم، غير أن التلاميذ يتعلمون بذلك درساً فى الاقتصاد لا ينسونه ».

وفى الوقت الذى لم تكن فيه المصارف الكبرى تجرؤ على معاملة شركات هوليوود، أقدم جانينى على إنقاذ المخرجين من أيدى المرابين الذين كانوا يضطرون إلى الاستدانة منهم برباً يبلغ عشرين فى المئة. وكان أول مبلغ غامر به ١٥٠,٠٠٠ ريال أقرضه لشارلى شابلن لإخراج رواية « الولد ». ومنذ ذلك اليوم بلغ مجموع ما أقرضه لمخرجى السينما أكثر من ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال.

وأغرب من ذلك ان المصرف قد سعى دائماً لترويج أعماله بالإعلان.

ويدل التقرير السنوى على أن خطة المصرف قد نجحت. ففى مارس سنة ١٩٤٦ بذّ مصرف « تشيس الأهلى »، وأصبح

أكبر مصرف خاص فى العالم . وله اليوم ٥٠٠فرع فى ٣٠٠ مركز بكاليفورنيا، ويبلغ مجموع موارده ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ر٧٥٠ر٥ ريال.

وقد بلغ أماديو جانينى السابعة والسبعين من عمره ، وقد وخط الشيب شعره ، ومع ذلك لا يزال يعنى بشئون المصرف ، مع أن ابنه هو الرئيس الذى لا يكلّ ولا يفتر . وقد يقضى هذا الشيخ بعض وقته فى فلوريدا أو جنوب كاليفورنيا يتمتع بالجو الدافىء ، أما فى سائر الأوقات فتراه جالساً إلى منضدته فى مكان لا يكاد يراه أحد ، فى الدور الحادى عشر من بناء المصرف بمدينة سان فرنسيسكو .

ولما أدخل أول مرة إلى المكتب المخصص لوكلاء رؤساء الفروع ، وهو مكتب مفروش بالطنافس مزين بالنقوش قال : « هذا إسراف » . ثم أدخلوه مكتبه الفخم وفيه مدفأة وحمام ورياش فقال : « هذا قفص » . ثم أمر بأن ينقل وكيله إلى ذلك المكتب ، وانتقل هو إلى غرفة واسعة مع سائر الموظفين .

وفى هذه الغرفة حيث يحيط به مرؤوسوه فيناديهم بصوته الجهورى ، يدير أعماله بلا جرس ولا حاجب . وهو يردّ على التلفون بنفسه ، ويستقبل كل من يدخل عليه ، ويتكلم بصوت عالٍ يسمعه الجميع ، ويقول إنه ليس لديه أسرار يريد كتمانها . وهو فضلا عن ذلك ، لا يقفل أدراج مكتبه .

أما ثروته ، وهى خليقة أن تكون عظيمة جداً ، فتقدر بثلثمئة ألف ريال فقط . وقد رفض مرتين أن يقبل مكافأة قدرها مليون ريال . ومُنح مرة مبلغ مليون ونصف مليون من الريالات ، فوهبه من فوره لجامعة كاليفورنيا لإنشاء مدرسة للاقتصاد الزراعى . وهو يقول : « لماذا يجمع المرء الأموال الكثيرة لينفقها الورثة من بعده ؟ » . وهو لا يزال يقيم بمنزل بسان ماتيو اشتراه بخمسة آلاف ريال قبل الزلزال الذى أصاب تلك المدينة .

ولد جانينى من أبوين مهاجرين من أهالى جنوة فى غرفة قذرة بأحد فنادق سان جوزيه . ولما بلغ الخامسة عشرة أخذ يطوف بأودية كاليفورنيا يسوق مركبة يجرّها جوادٌ ، ويشترى بقولا لحساب زوج أمه .

ومنذ عهد قريب عيّن شاب فى الثانية والعشرين من عمره فى منصب رئيسى فى أحد مصارفه الفرعية ، فعقّب على تعيينه بقوله إنه حديث السن . ثم استدرك قائلا : « إن تعيينه يوجب على أن أعتزل العمل . وقد نسيت لحظة أنى كنت مديراً ناجحاً وأنا فى الثانية والعشرين »

إن مصرف جانيني يعنى كل العناية بالآراء المبتكرة ، والوقوف على هذه الآراء يقتضى الاتصال بالشبان الذين قد تجرّدت عقولهم من قيود العرف المتوارث ، فهو يعدّ لذلك مصرفَ الشبان . وقد تسير مسافة طويلة فى دهاليزه المفروشة بالرخام ، فلا تكاد تقع عينك على موظف قد وخط الشيب شعره . ويبلغ عـــدد موظفيه ١٣٫٧٥٠ بينهم ١٠٫٦٠٠ موظف لا يزيد عمر أحدهم على ٣٩ سنة . ونصف رؤساء الفروع (ويبلغ عددهم ٢٤٥٠) تختلف أعمارهم من ٢٤ سنة إلى ٣٩ سنة .

ولما أنشأ جانيني مصرفه كان فى الرابعة والثلاثين من عمره، وكان قد خلف حماه فى مجلس إدارة أحد المصارف بسان فرنسيسكو. فقد بَرِم ذات يوم بسياسة ذلك المصرف العقيمة ، فاقترح تعديلها ، فلم يوافق أصحاب المصرف على ذلك فقال لهم: « إذن فسأنشىء لنفسى مصرفاً خاصاً » .

فاقترض من أصدقائه ، من فلاحين وزراع وتجار ، مبالغ صغيرة بلغ مجموعها ١٥٠٫٠٠٠ ريال ، وشرع فى العمل فى حانوت صغير ، واتخذ أحد عمال الأرصفة مســاعداً له ، وأطلق على محل عمله اسم « مصرف إيطاليا » وأخذ يعلن عنه بالبريد. ثم أغرق الشـــوارع والطرق والأودية بالإعلانات ، وأقام على الباب جماعة ينادون المارة ليغروهم بإيداع أموالهم فى المصرف .

ولم تمر سنتان حتى أصبح مصرف إيطاليا يتعامل بما قيمته مليون ريال .

ولما قوّضت الزلزلة مدينة سان فرنسيسكو جمع جانيني مليونى ريال من أموال المصرف وودائعه ، ووضعها على مركبة من مركبات نقل البقول ، وخرج من المدينة متحدياً النيران واللصــوص . وبينا كانت النيران لا تزال تتقد ، عاد إليها وفتح حانوتا وأخذ يقرض المال لكل من يتوسم فى وجهه الأمانة والاستقامة ممن كانوا يريدون إصلاح حالهم. وكان عمله هذا من العوامل التى ساعدت على تجديد بناء سان فرنسيسكو .

وبعد سنة كان بعد نظره وحسن تصرفه أكبر عامل ساعد مصرف إيطاليا على اجتياز أزمة سنة ١٩٠٧ التى تقوضت فيها أركان عدة مصارف . وكان قد طاف بالولايات الشرقية فأبصر نُذُر تلك الأزمة ، فجمع ذهباً كثيراً وتمكن من دفع ودائع جميع زبائنه المذعورين كاملة .

ومن يومئـــذ ذاع صيته ، فما وافت سنة ١٩١٥ حتى أنشــأ فروعاً لمصرفه فى المدن الصغيرة ، ليتمتع أهلها بمزايا وجود مصرف بينهم . ثم غير اسم مصرفه وسماه « مصرف أمريكا » فنما واتسع .

ولم تجر الأمور كما كان يتمنى . ففى سنة ١٩٣٠ ارتكب غلطة كبيرة ، فقد اعتزل العمل وترك المصرف فى يد رجل يسمى إليشع ووكر . فبينما هو فى أوروبة إذ بلغه أن ووكر قد أعلن أن « شركة ترانساميركا » التى تشرف على المصرف قد وسّعت أعمالها أكثر مما يجب ، وأنه أخذ يحاول أن يتخلص من أسهم كثيرة ومنها أسهم المصرف نفسه . فما كان من جانينى إلا أن عاد أدراجه مسرعاً عن طريق كندا. وقبل أن يسمع أحد بوصوله ، طاف بكاليفورنيا من أولها إلى آخرها يجمع توكيلات من أصحاب الأسهم، وعقد هؤلاء اجتماعاً عاماً كانت نتيجته عودة جانينى إلى رئاسة المصرف بأكثرية مطلقة . وكان عليه أن يشرع من جديد فى اكتساب ثقة زبائنه ، وقد نجح فى ذلك .

وفى نحو ذلك الوقت اقترح عليه ماتيسون، وهو رجل فى الثلاثين من عمره ،أن يقدم قروضاً للذين يرومون شراء سيارات أو ثلاجات أو طيارات أو آلات راديو أوما إلى ذلك بأقساط معينة ، وبنفس الفائدة التى تؤخذ عن القروض التجارية . فأعجبت هذه الفكرة جانينى . وفى أمريكا اليوم مصارف كثيرة تسير على هذه الخطة .

وقلما تجد مؤسسات مالية تشجع الشبان وتحفزهم إلى العمل كمصرف جانينى . وسجلات هذا المصرف طافحة بالروايات الدالة على نجاحه .

على أن طريق النجاح ليس دائماً سهلا ، فالحياة جهاد والطريق شاق . فعلى صاحب المصرف الذى يريد النجاح أن يتلقى دروساً فى نظم المصارف ، ثم ينفق أوقات فراغه فى الاتصال بالناس .

إن سرّ نجاح كل موظف هو سجله المدوّن فيه كل عمل يقوم به فى داخل المصرف وخارجه . ومخترع هذه الطريقة رجل يدعى ماير ، وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره ، وقد دخل خدمة المصرف فى سنة ١٩٣٦ ، ومنذ عهد قريب عُيّن سكرتيراً للمصرف . وقد أسفرت الطريقة التى استنبطها عن الكشف عن كثير من الناجحين ، ومنهم فرانك دانا الذى دخل المصرف ساعياً وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، واتضح أنه كان فى أوقات فراغه يدرس قانون المصارف ، فلما سنحت الفرصة عُيّن فى وظيفة عالية . وقد أكب ذات يوم على دراسة بعض مستندات المصرف القضائية ، فاتضح له على ضوء بعض المبادىء القانونية الجديدة ، أن المصرف ينفق جانباً كثيراً من الأموال هو فى مندوحة عن إنفاقها . وعرض دانا هذا الرأى على كبار

الرؤساء ، فأدى ذلك إلى مناقشـــات ومجادلات كثيرة أثبتت صحة رأيه ، فجنب المصرف تبذير نحو مليون ريال سنوياً ، فلم يلبث أن رُقى إلى وظيفة عالية . ولما كان فى التاسعة والثلاثين من عمره عين نائباً لرئاسة جميع الفروع .

ويقول جانينى لكل موظف : « لاتدع سمو مركزك ينسيك من هم أصغر منك » . فتراهم جميعاً يتبعون هذه النصيحة .

ويعرف مصرف جانينى بمصرف « الرجل الفقير » ، فهو يمد يد المعونة لستين فى المئة من مخازن كاليفورنيا ومستودعاتها ومعاملها ، وهو يقدم أكثر من ثلاثة آلاف قرض صغير كل يوم . والأعمال الصغيرة التى تتم فيه تسـد الجانب الأكبر من النفقات .

وفى الشتاء الماضى اجتمعت جماعة من الشبان ذوى الهمة والنشاط ممن لا يزيد عمر أحدهم على الأربعين ، فأقلعوا على ظهر مركب إلى مانيلا حيث ينوون أن ينشئوا فرعاً للمصرف . وقد أعد للموظفين مكان خاص ، وقدمت لهم جميع التسهيلات المالية ، فإذا نجح هـذا المشروع فستنشأ فروع للمصرف فى جهات أخرى . وهنالك طائفة من الشبان يستطلعون الأحوال ليروا أمن الحكمة إنشاء فروع فى إنجلترا وشمال غرب أوربة وفى أمريكا الجنوبية ؟ وهم جميعاً كجانينى نفسه ، يتقدون غيرة وحماسة وكدحاً فى سبيل عملهم .

كلمات يهتدى بها

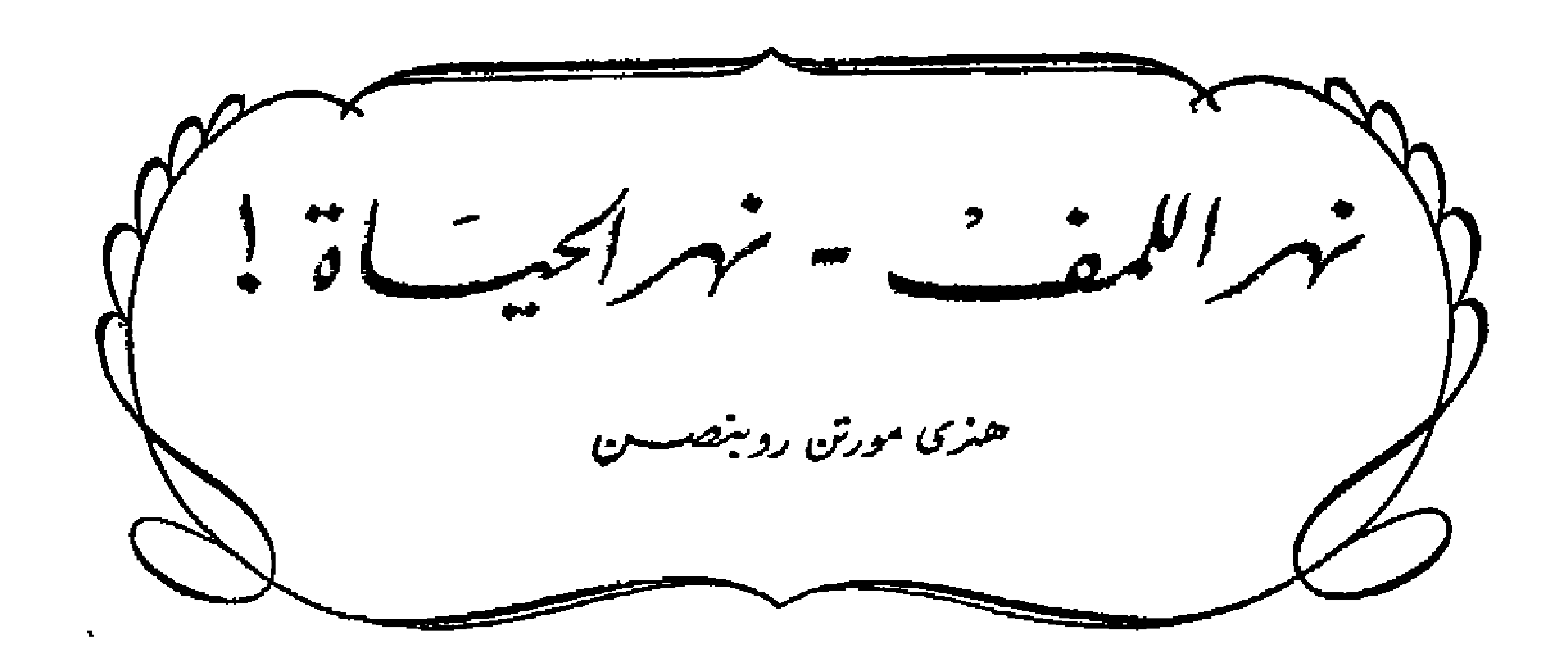
● إذا سادت التقوى على القلب ، ساد الجمال فى الطباع والأخلاق . وإذا ساد الجمال فى الطباع والأخلاق ، سادت الألفة فى البيت . وإذا سادت الألفة فى البيت ساد النظام فى الشعب . فإذا ساد النظام فى الشعب ساد السلام فى الأرض .

[مثل صينى]

● الحسد هو الشيء الذى يغرينا بقالة السوء فى الصالحين قبل قالة السوء فى الأشرار .

● الحسود هو الذى يزرى بكرامة نفسه ببذل جهد خسيس لا جدوى معه فى سبيل انتقاص الناس والنيل منهم .

[أرشيبولد رتلدج]



نهر اللمف – نهر الحياة !

هنرى مورتن روبنصن

مختصرة من مجلة "هايجيا"

تمتد في ثنايا الجسم البشرى كله شبكة عجيبة من الأوعية الدقيقة الشفافة تشبه فى مظهرها الوشى المحبوك ، وهى تتخلل الجلد وما تحته من الأنسجة . فهذه الشبكة هى الجهاز اللمفى الذى قل ما يعرفه الناس عنه . وفى مجاريه الدقيقة يسرى سائل عجيب فى لون القش ، هو اللمف ، فيقوم فى مسراه الهادىء الرفيق ، بكثير من الأعاجيب الكيميائية الحيوية التى تصون صحتك وتدفع الأذى عنها .

ولعلك رأيت بنفسك أعجوبة صغيرة من هذه الأعاجيب وأنت لا تدرى . فقد أصيبت إصبع بجرح ، وأهمل الجرح يوماً ، وإذا قطرة من سائل أصفر شاحب تنز من الجرح . فهذه قطرة من اللمف ، وهى مثقلة بخلايا تؤدى عملا خاصًّا ، تعين الكريات البيض على قتل مكروبات الأمراض.

فإذا تغلغلت العدوى فى الإصبع ، وصارت أعمق من الجرح نفسه ، قبض الجهاز اللمفى على المكروبات الغازية ، وحملها إلى أقرب عقدة لمفية فى البدن ، فتبذل هناك محاولة أخرى للقضاء عليها . وهذه العقد اللمفية تتفاوت حجماً من مثل حبة بذور الكتان إلى مثل حبة الفول ، وهى تولد الكريات اللمفية ، وهذه الكريات ضرب من الكريات البيض التى تعد جزءاً من أهم أجزاء كفاح المرض فى الدم ، وتكثر العقد اللمفية فى أرجاء الجسم ، وهى أغزر ماتكون فى العنق ، وأصل الفخذ والإبطين ، والأمعاء .

وقد خلقت هذه المرشحات الآلية ، لا لتحجز المكروبات وحدها ، بل لتحجز حطام الخلايا الهالكة أو كل مادة غريبة أخرى تدخل الجسم . وقد وصفها أحد علماء الفسيولوجيا بأنها « صناديق زبالة الجسم » فأصاب .

بيد أن وظيفة الوقاية الخطيرة التى لا غنى للجسم عنها ، ليست سوى جزء صغير من المهمة التى يؤديها اللمف . إن الحياة نفسها رهن بهذا السائل الذى يشبه الدم فى تركيبه الكيميائى شبهاً كبيراً ، ولكنه ليس دماً بلا ريب ، فهو يأخذ من الدم ويردّ إليه فى الحين بعد الحين . ولكنه فى الفترة بين الأخذ والرد ، يؤدى عملا فسيولوجيًّا عجيباً بوساطة شبكته الخاصة . وهذا العمل هو أنه يستنقذ من الضياع المواد الزلالية الجوهرية ، فهذه المواد هى اللبنات التى يبنى منها الجسم.

ولولا الجهاز اللمفى وحرصه على جمعها ، لكانت خليقة أن تضيع . وإليك ما يحدث بأسلوب مبسط :

تحت ضغط الدم الناشىء فى القلب ، تتحلب السوائل من جدران الأوعية الشعرية — وهى أدق أوعية الدم — فتحمل الغذاء إلى الأنسجة ، وتمتص منها فضولها. وهذه السوائل مؤلفة من جزيئات المواد الزلالية والأملاح والماء . وسرعان ما تعود الأملاح والماء إلى الأوردة فتردها إلى القلب . ولكن المواد الزلالية لا تستطيع أن تعود مباشرة إلى الأوردة ، فينشأ عن ذلك حالة تنطوى على شىء من الحرج . فإذا تراكمت هذه المواد الزلالية فى الأنسجة ، أفضى تراكمها إلى أذى الأنسجة التى تحيط بها ، فينبغى أن توزّع على سائر أنسجة الجسم حيث تمسّ الحاجة إليها .

وإذا مجارى اللمف تمتصّ ، كأنها الورق النشاف ، ذلك السائل المحمّل بالفائض من هذه المواد عن حاجة الأنسجة . فيجرى اللمف بعد ذلك نحو مركز الجسم خلال أوعيته الخاصة المنفصلة كل الانفصال عن أوعية الدم من أوردة وشرايين . ففى الأمعاء تحمل أوعية اللمف مستحلباً دهنيًّا من الأطعمة التى غيرت كنهها العصائر الهاضمة.

أما وقد حمل اللمف بالمواد الزلالية والدهنية ، فهو على أهبة ليعود إلى تيار الدم . وقد زوّدت قنوات اللمف بصمامات دقيقة فى جوفها تحول دون ارتداد السائل نحو الأنسجة التى خرج منها . فاللمف لا يجرى إلا فى اتجاه واحد — نحو القلب.

بيد أن اللمف يختلف عن تيار الدم الذى يعتمد فى جريانه على قوة القلب الدافعة ، فليس ثمة قوة تدفع اللمف ، فمسراه يتوقف على عضلات الجسم وحركات التنفس ليس إلا . فقنوات اللمف مثلا تلتفّ حول عضلات الذراعين والساقين ، فإذا انقبضت هذه العضلات ثم انبسطت ، أحدث انقباضها وانبساطها ضغطاً على أوعية اللمف . أما فى الأمعاء فالأمر يحتاج إلى قوة عظيمة لدفع المستحلب الدهنى الثقيل إلى فوق ، فتحدث

أعجوبة تعدُّ من أغرب أعاجيب الفسيولوجيا، ذلك بأن أوعية اللمف تلتفُّ حول أعظم شريان فى الجسم — الشريان الأبهر ، الأورطى — وتنتفع فى دفع اللمف بالنبض القوى المنبعث فى ذلك الشريان الضخم .

وتيار اللمف يجرى عادة فى قنـــواته جرياناً بطيئاً ، ولكن فى الإمكان حثه على السير بالرياضة والتنفس العميق والتدليك ، فيفيد الجسم والصحة من ذلك مزايا لاريب فيها .

وقبل أن يصل اللمف إلى الباب الذى يفضى إلى القلب ، ينسكب تيار اللمف الرئيسى فى وريد كبير ، فبـذلك تتجمع صفوة الأطعمة المهضومة وتفرغ سالمة فى تيار الدم ، بأسلوب بيولوجىّ باهر وإن كان غير مباشر .

على أن هذا السائل الأصفر الشاحب لا يفتأ يمرُّ فى أثناء سيره بعشرات الألوف من محطات الترشيح القائمة على الطريق ، هى عقد اللمف . وهذه الغدد عرضة لمحن شديدة ، فالالتهاب فى اليد يؤدى إلى ورم مؤلم فى غـدد اللمف التى فى الإبط ، وقد يؤدى التهاب يصيب القدم إلى تورم غدد اللمف فى أصل الفخذ . فهذه هى الطبيعة فى نضالها حتى تهلك المكروبات التى تغزو الجسم . فإذا لم يكتب لها النصر فى هـذا النضال ، اقتحمت المكروبات طريقها إلى تيار الدم ، فتحدث تسمُّم الدم .

وقد يحدث أحياناً أن تنتقل العـدوى من المكروبات المحجوزة إلى عقد اللمف ، فتلتهب التهاباً حادًّا ، ينتهى إلى خرَّاج ، فيتحتم يومئذ أن تستأصل الغدة الملتهبة . وتحجز عقد اللمف أيضاً خلايا السرطان ، ولكنها قد تصبح هى موضعاً يتكون فيه ورم سرطانىٌّ جـديد . ومن أجل ذلك ينبغى أن توجه العناية فى علاج السرطان إلى غدد اللمف التى ترشح اللمف الوارد من المكان الذى نبت فيه السرطان أولا .

وجهاز اللمف له أمراضه الخاصة به ، ففى داء الفيل مثلاً يندسُّ طفيلىٌّ دقيق كالخيط فى قناة من قنوات اللمف ، فتعوق جريانه فيها بعد خروجها من الأنسجة ، فتتورَّم الساقان وتمتلىء ماء ويسمك جلدها ويخشوشن .

ولكن معجزة اللمف فى الجسم السوىّ توحى بسؤال : « ترى ماذا يحدث لو عاق عائق ما هذا السائل الحيوىّ عن العودة إلى الدم ؟ » . وقد وجد العلماء جواباً شافياً عن هذا السؤال فى حالة امرأة شابة طُعنت فى عنقها . فقد مزَّق الجرح مجرى اللمف الرئيسى فى طريقه إلى القلب ، فأصيبت المرأة بنقص خطير فى وزنها ، وتضعضعت قواها بسرعة حتى صار الموت أقرب إليها

من حبل الوريد . ثم أصلح مجرى اللمف المقطـوع بجراحة ، فعاد اللمف يسرى فيه ويصبُّ فى تيار الدم ، فما هى إلا بضـعة أسابيع حتى استردت وزنها الطبيعى،وصار فى وسعها أن تبرح المستشفى فى صحة تامة .

يجرى نهر اللمف — حيث لا تراه عين ولا تســمعه أذن — بين خلايا أبداننا وأعضائها ، فيغمرها بسائل قلوىٍّ لا غنى عنه لحياتها.وهو جهازٌ من أعجب الأجهزة التى تمكن الجسم من المطابقة لما يحتاج إليه حتى يحتفظ باطنه بتعادُله ونشاطه . وهو أداة تعين على البقاءِ ، متعـددة النافع ، توحى بالجـلال كالدم نفســه الذى ينبع اللمف منه ، ثم يعود إليه فيغذيه ويصونه ، بأسـلوب من أغرب ما تكشف عنه علم وظائف الأعضاء .

أيهما الضرير !

كان الـكلب من كلاب البوليس الـكبيرة ، وكان يقود سيدة على عينيها نظارتان سوداوان ، فاجتاز بها ردهة فنـدق كبير حتى وقفت أمام مكتب التسجيل ، ونادت الـكاتب بصوت يشى بالوجل ، فقال الـكاتب : « هذا مكتب التسجيل يا سيدتى ، أفى وسعى أن أسدى إليك خدمة ؟ »

فبدا على وجهها كأنما سرى عنها ، وتقدمت قليلا حتى صار أنف الـكلب ملاصقاً أو يكاد لخشب المكتب ،وقالت بصوت لطيف أغن: « أريد حجرة »

فقال الـكاتب متأثراً مما رأى : « يؤسفنى يا سيدتى أننا لا نرضى بنزول الحيوانات على رواد الفندق ؛ ولعلك تستطيعين أن تتركيه مع صديقة لك » .

فقالت: «لست أعرف أحداً فى هذه المدينة. ثم إننى فى حاجة إلى ملازمته لى» .

فتردد الـكاتب وقال « إذا حفظته فى حجرتك ... »

فقالت غير مترددة : « احفظه فيها » .

وبعد ساعات أدهشنى أن أراها فى بهو الفندق ، ولم يكن الـكلب معها ، ولا كانت تلبس نظارة سوداء ، والتفتت إلى وقالت وهى تضحك : « لعلك تظنين أنى فتاة دأبها الـكذب والخداع ، ولـكننى لم أجد بدا من أن أبقى الـكلب معى ، ولم يسعنى أن أبقيه مع غريب ، فهذا الـكلب من المحاربين القدماء ، والكاتب ، لا أنا ، هو الأعمى » .

[فرجينيا كوبر]

هذه مقالة تكشف لأهل الشرق العربى عن مواطن النقص فى التعليم الأمريكى ، وتفتح لهم سبيل الإصلاح فى تعليمهم .

ما نفع هذه المدارس ؟

فيليب وايلى *

مختصرة من مجلة " تيمس ويك "

مناهج التعليم فى الولايات المتحدة إنه قد ملأت قلوب العالم يأساً من صلاحها . فما أنت بمحتاج إلى أن تتعمق الأشياء حتى تتبين ما لحق الحياة العقلية فى أمريكا من العَجْز ، وما أصاب الحياة الأخلاقية من خَوَر وضعف . فإن ثلث عقود الزواج مثلا فى هذه البلاد ينتهى أمره إلى الطلاق . والبيت الأمريكى يسير بخطى حثيثة ، لا إلى أن يصير سكناً وملاذاً لأسرة أفضل وأقوم ، بل إلى أن يصير فندقاً أو محطة ليس إلا . وشباب أمريكا شباب لايبالون بنظام يتبعونه ولا بواجب يؤدونه، والفسق هو الأصل لا الشذوذ فى حياة البالغين المتبرمين الساخطين . وقد امتلأت ملاجىء البله وضعاف العقول ، ونكاز المجانين فى البيمارستانات . حتى لقد انتهى العجز بأهل أمريكا إلى أنهم أخفقوا فى تدبير مساكن كافية للناس يسكنونها .

ويفخر الأمريكيون بأنهم ليسوا لصوصاً يبغون على الناس ، بيد أنهم يرتكبون أشنع البغى على أبنائهم وأحفادهم . فقد عمد هذا الجيل إلى الأرض التى ستكون وطناً لهؤلاء الأحفاد ، فاستنفدوا كل ما فيها من منابع الثروة — من شجر وتربة ونفط وحديد ورصاص ونحاس وقصدير ، لا لشىء إلا ليشنوا حروباً كان يمكن تجنُّبها بالحكمة والشجاعة ، وليصنعوا أيضاً سيارات تبتلى مليون نفس بالتشويه فى العام الواحد .

وهذا الفساد الذى يعيث فى أمريكا يضاعف شرَّه جنون الناس بالرغبة فى

---

* فيليب وايلى ناقد لكتبه رواج عظيم ، وقد ذاع صيته بأنه يستثير سخط قرائه ولكنه يحملهم على التفكير . وهو ينقد التعلم فى أمريكا نقداً مفصلا ، ويكشف عجزه عن تنشئة رجال ونساء تم نضجهم ، وحسن تفكيرهم، واستوت أخلاقهم، واتسعت معارفهم ، وصاروا أهلا لحمل التبعات .

« تجديد الطراز » ، إذ يحملهم ذلك على نبذ الشيء قبل أن يستهلك أو يلحقه البلى . وقد أفرطوا فى صيد الأسماك من مساحات رحيبة فى البحار حتى خلت من أسماكها ، ولوّثوا الأنهار بما تقذفه فيها المرافق والمصانع ، وتطغى الفيضانات فى كل سنة على مساحات واسعة من الأرض ، وتهب الرياح على الأرض العارية فتنسف ترابها نسفاً .

فليت شعرى كيف اتفق أن يصاب ١٤٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة من البشر بهذا القدر من قصر النظر ؟ وكيف عمى هذا الخلق كله عن حقيقة أنفسهم بأنهم أنصار الحرية وأبطالها ، فصاروا قوماً لا همّ لهم إلا طلب السلامة والأمن ؟

إن السر كامن فى الناس أنفسهم ولا ريب ، ولكنك إذا تتبّعت أصل هذا الفساد وهذا الانحلال ، فربما انتهيت إلى مكامنه فى المدارس . واعلم أنك يوم يخطر ببالك أن تسأل نفسك : ما سر العيب فى مدارسنا ؟ فكأنك سألت : ما سر العيب فى أنفسنا نحن ؟

كان للمدارس الأمريكية فى القرن التاسع عشر هدف جوهرى واضح ، هو أن تعلم الحرية — أى معناها وتبعاتها ، وأن تعلم أهل البلاد لغة آبائهم وأمهاتهم حتى يتيسر لهم أن يفكروا تفكيراً قويماً ، وأن يتفاهموا تفاهما بينا سليما ، وأن تزود الناس بأصول المعرفة القائمة على الحقائق العلمية ، وأن تهيء للصغار قدراً من النظام لا غنى عنه فى توطيد قواعد النظام فى أخلاق الشباب البالغين .

وكانت مدارس هذا القرن مدارس يقوم بناؤها على تقدير المعرفة والحكمة حق قدرها ، وعلى أن التعلم هو نفسه أعظم مكافأة ينالها الإنسان . وكان أساتذة هذه المدارس أعظم أهل جماعتهم قيمة وقدراً واحتراما ، وكانت الكتب تعدّ شيئا نفيسا غالياً . إنها كانت مدارس جدّ تخرج رجالا ونساء فى أخلاقهم جدٌّ يتيح لهم أن يحملوا على عاتقهم كل عمل يتولونه بإتقان وشجاعة . وكان المتعلم فى تلك الأيام يعرف علوم عصره وتاريخه وسياسته وحوادثه .

وفضلا عن ذلك ، فإن رجالا كأمثال جفرسن ولنكان ، ممن فهموا فلسفة الحرية ، كان فى وسعهم أن يفصحوا عنها بألفاظ تنفذ فى سدود الزمن العاتية ، وتكون ثروة للتاريخ نفسه .

فمن البين إذن أن أول فساد لحق المدارس الأمريكية هو ما أخذ يتفشى فى ألسنة طلبتها من العِىّ واللكنة ، فالمتخرج من المدارس الأمريكية قد بلغ من ثقل لسانه ، ولحنه فى الكلام ، وضعفه فى البيان ، مبلغاً جعله لا يملك الأداة التى يفكر بها تفكيراً سليما معقولا ، أو يعبر بها تعبيراً

صحيحاً بيناً . وأصبح عقله عاجزاً ، لأن المدرسة لم تمكنه من الأداة التى يفكر بها ، وهى اللغة . ولقد بلغ من عجزه أنه صار لا يعرف كيف ينعم التفكير فى شئون عشيرته ومشا كلها . ويكاد يكون كل أمريكى هو هذا الرجل الذى وصفت لك.

فلما أخفقت هذه المدارس فى بلوغ هدفها الجوهرى ، وهو تعليم البيان والإفصاح ، أخفقت فى كل شىء جملة واحدة . نعم إن فى أمريكا أحسن ما فى العالم كله من أسباب التفاهم والتواصل ، ولكنها لم تستطع أن تنتفع بها كبير انتفاع ، فقد انقضت على شمول التعليم الحر الإجبارى ١٥٠ سنة ، فإذا بنا نرى أن أسباب هذا التفاهم والتواصل بين الأمريكيين لا تزيد على الإذاعات الرخيصة وروايات السنما التافهة . فأنت خليق أن تتوقع أن كل جهد يبذل فى تعليم الحقائق والأفكار لشعب أبكم معقود اللسان فارغ العقل ، إنما هو جهد يذهب فى غير طائل .

وهناك مصيبة أخرى : هى أن المدارس الأمريكية نفسها قد فقدت هيبتها . ومن الممكن أن تعزو ضياع هذه الهيبة إلى أن المثل الأعلى الذى كان يجعل للتعلم مقاماً سامياً فى القرن التاسع عشر ، قد طرح جانباً وأحل محله مثل أعلى آخر هو التقدم فى التوسع المادى . فقد صارت المدارس الأمريكية تعد تعلم التجارة وأساليبها أول عمل خلقت له . بيد أن معرفة المرء بالتجارة لا تغنيه شيئاً ولا تؤهله أن يكون إنساناً مثقفاً بين عشيرته وفى بلاده . فلما أوغلت المدارس الأمريكية فى هذا الهدف حتى صارت مدارس للمهن والحرف ، تضاءل ما كان لها من سلطان وهيبة .

وإذا نظرت إلى عامة المتخرجين من هذه المدارس رأيت أنهم لم يزالوا يسمعون فيها ويتعلمون أن أمريكا أرض مباركة طيبة كادت تبلغ أقصى الكمال ، وأن هذه الولاية التى يعيش فيها الطالب هى أنبل الولايات وأكرمها ، وأن عشيرته التى تؤويه هى خير عشيرة فى هذه الولاية . وهذا بلا جدال إفساد للتعليم ، ولا يمكن إلا أن يكون دعاية صرفاً .

ومن أجل ذلك لم يقتصر أمر الأمريكيين على أن يكونوا قوما كأهل القرى فى ضيق الفكر ، يعيشون فى عالم يجهلونه كل الجهل ، بل صاروا أيضا كأهل القرى فى معاملة بعضهم لبعض . فالأمريكى فرد يدين لعشيرته أولا بالولاء ، ثم لا يحس إلا فى الحين بعد الحين أنه أحد سكان هذه البلاد الواسعة المترامية الأطراف . وهذه العصبية الحمقاء الضيقة ، قد جعلت سواد الأمريكيين أهل غرور

وتفاؤل يعميانهم عن رؤية النقص البالغ والأخطار الماحقة فى خاصة أمور ولايتهم أو عامة أمور دولتهم .

وعلى قدر انحطاط مستوى التعليم انحط مستوى مرتبات المعلمين ، ففراش المدرسة يكسب من المال أكثر مما يكسبه بعض المعلمين . وأنت ترى اليوم أن هيبة المدرسة وأجور المعلمين قد بلغت من الانحطاط مبلغاً ردّ كثيراً من الناس عن صناعة التعليم ، حتى أصبحنا لا نجد منهم قدراً كافياً لحاجة المدارس ، فما ظنك إذا عزمنا على أن نجدد هذه المدارس ونرفع من شأنها ؟

والغرض من التعليم ، فيما أرى ، هى أن نترقى بالأطفال إلى سن البلوغ حتى يصيروا رجالا ونساء لهم قدرة على البيان والإفصاح ، ويكون لهم فى أنفسهم نظام لا يتعدونه ولهم قدرة على حسن التفكير ، وعندهم معارف وافية ، ولا يتملصون من حمل التبعات . وسعادة المرء تقوم على أساسين من أخلاقه : ثقته بنفسه وثقته بالناس . وقد كانت مدارس أمريكا فى القرن التاسع عشر تحاول أن تغرس هاتين الصفتين فى نفوس طلبتها ، يوم كانت لها قيمة لا ريب فيها ، ويوم كان الظفر بهما شيئاً محبباً مطلوباً .

أما اليوم فلو نظرت لوجدت أنه لم يبق لنا من هذا المثل الأعلى إلا طلب التقدم المادى . فالأمة الأمريكية اليوم هى أمة من الأطفال يأبون أن يشبُّوا عن الطوق والأشياء التى تملأ قلوب الصغار مسرة وحبوراً لا تزال هى أهم مايدخل السرور على الكبار من الأمريكيين ، كضروب الرياضة والحفلات والأساطير الملفقة التى تخرجها السينما ، والروايات الغنائية السخيفة ، والمجلات القصصية والهزلية . بل إنك تراهم يستعملون سياراتهم كما يستعمل الأطفال عربات اللعب .

إن الرجل المثقف هو الرجل الذى تم نضجه ، وقوام نضجه هو قدرته على البيان والإفصاح ، وعلى فهمه للمبادىء العامة لا على معرفته بالآلات التى يتلهى باستعمالها ، وعلى الحق لا على النفخة والأبهـــة . والرجل المثقف لا يكف عن الاستكثار من الحق ومن العلم ما عاش ، وحبه لبنى جلدته من البشر حبٌّ صادق لا نزوةٌ من النزوات ، ثم هو يعبر عن حبه بالفعل لا باللسان . إنه رجل أهل لأن يوثق به ، وهو رجل ينصر نفسه بحرصه على نصرة الحرية التى هى أصل الأصول كلها .

فمن حق أمريكا على نفسها وعلى سائر الدنيا أن تضع نهجاً جديداً للتربيـة ، وأن تنشىء جيلا جديداً على هذا النهج .

مغامرات امرأة

مختصر كتاب « مسز مايك »

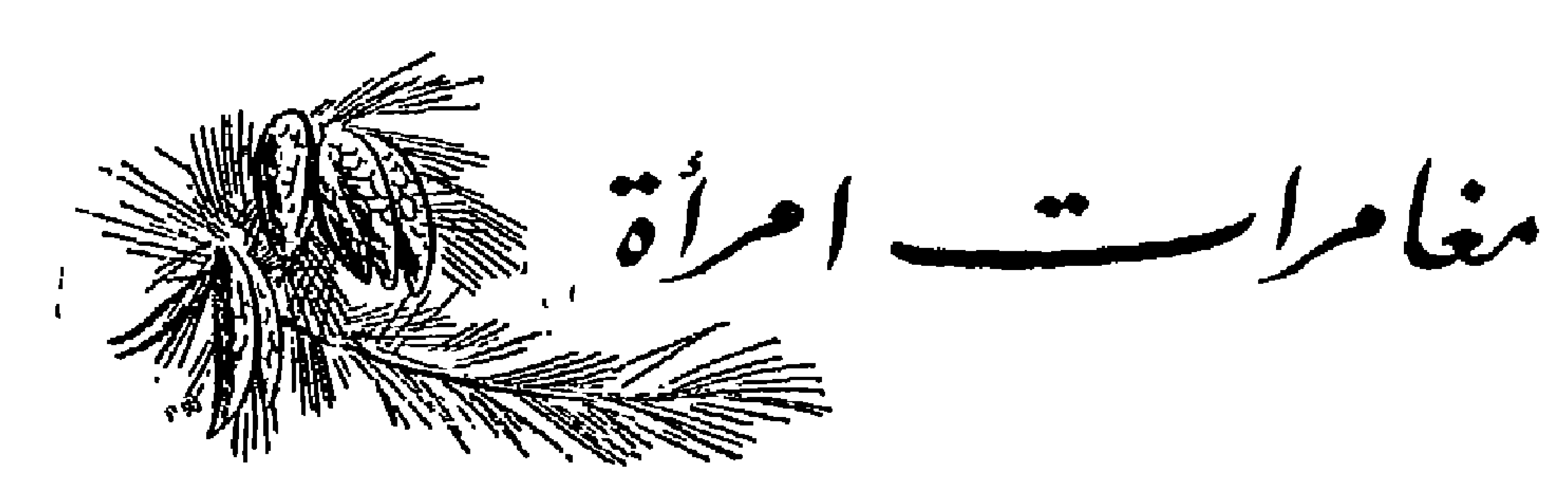


تأليف

بنديكت و نانسي فريدمان

قصة رائعة فيها سيرة فتاة في السادسة عشرة من عمرها ، تزوجت شرطياً كندياً وخرجت معه إلى المنطقة الشمالية القاسية ، وهي قصة حافلة بروائع المغامرة والحب .

وقد كتب ناقد صحيفة بوسطن جارب يقول : « إن كتاب « مسز مايك » حافل بكل ما يهز النفس — من روعة وأسى ورشحات إنسانية ، وفيه شيء من وداعة النفس والرحمة . وقلما تجد في الكتب شخصية كشخصية « مسز مايك » التي على حقيقتها تفوق خيال الأديب . وقد روى الزوجان قصة « مسز مايك » على لسانها كما روتها هي لهما . وبعد أن نشرت هذه القصة مسلسلة في مجلة « أتلانتك منثلي » ، طبعت في كتاب صار من أروج الكتب التي نشرت في هذه السنة .



مغامرات امرأة

قال لى رفيقى فى السفر – وهو شيخ من أسكتلندة – إنه لم يشهد مثل هذا الشتاء القارس منذ خمسين سنة ، وأنا لم أبلغ من العمر إلا ستة عشر عاماً ، ولكنى لم أجد ضيراً فى تصديق شهادته عن السنين التى مضت قبل أن أولد . وتراكم الثلج على نوافذ القطار وتسابقت فى السماء كِسَف من السحاب الثلجىّ تسوقها عاصفة هوجاء تبلغ سرعتها ٦٠ ميلاء، ونزلت الحرارة إلى ما دون الصفر ، وتوالى هبوطها .

وكنت قد غادرت مونتريال منذ ١٨ يوماً انقضت فى سفر مضن ، ومقصدى الذهاب إلى خالى جون فى مدينة كالجارى ، ذلك لأن الأطباء فى مدينة بوسطن – حيث أقيم مع أمى – قرروا أن الجو البارد الجاف يفيد صدرى .

وأخيراً وقف القطار بمحطة كالجارى ، ورأيت على الرصيف رجلا طويلا أسمر ، عيناه تشبهان عينى أمى ، فأقبل علىّ يبتسم ويقول : « أنت كاترين مارى ؟ » فضمنته وقبلته وقلت : « أرجو أن تكون أنت خالى جون » .

فأجاب : « نعم . أنا خالك جون » .
ثم أخذ يتأملنى ملياً وقال : « ما أشبهك بأمك ! »

وجاءنى خالى بمعطف من الفرو ثقيل فارتديته فوق معطفى ، وأخذت مكانى فى عربته ، فألقى على ركبتىّ غطاء من الصوف وتناول الزمام وسرنا ، فخيل إلىّ أننا نطير ، وأخذ الثلج ينهمر بغزارة ، والرياح تلهب وجوهنا كالسياط .

ولم نصل إلى مزرعة خالى إلا بعد يومين ، ولم أكد أبلغها حتى لاحظت فرقاً محسوساً فى الجوّ فقلت له : « إن وجهى قد أحس الدفء يا خال » .

فقال : « بعد قليل سيتحول مهبّ الريح وسترين بنفسك تقلبات الجو هنا » .

ونمت تلك الليلة وفوقى غطاء ثقيل ، فلما طلع الصباح طرحته عنى إذ هبَّت طوال اليوم رياح دافئة ، واصطبغت السماء بلون أحمر قانٍ .

فقلت له : « ماذا حدث يا خال ؟ أيقبل الربيع عندكم هكذا فجأة ؟ »

فأجاب : « هذه رياح قادمة من الغرب

تدفئها التيارات اليابانية ، فإذا وصلت إلى السهول بدأ الثلج فى الذوبان » .

وبعد يوم واحد اختفت الثلوج ، فإذا الأرض مخضرة بالعشب، ولم ينفك ذوب الثلج يتساقط أينما أدرت عينى، من على الأغصان والفروع وسطوح الأكواخ .

وعلا ماء النهر وطغا على الحقول فى بعض الأماكن ، وهدد بالغرق قطعان الماشية التى ترعى على شاطئيه ، فخرج خالى وعمال المزرعة وساقوها إلى مكان أمين ، وعادوا وهم صامتون والإعياء بادٍ على وجوههم، وأخذت أعدّ لهم القهوة فشربوها ساخنة واستراحوا .

وسأل سائل : « كم رأساً خسرنا ؟ »

فأجابه آخر : « مئة رأس تقريباً » .

فقال خالى : « خسارة ما كدونالد أبلغ من ذلك » .

فقلت : « ماذا حدث ؟ »

فشرب خالى جرعة من القهوة وقال : « لقد غرقت الماشية ، فإن قطع الثلج سدت النهر فطغت مياهه على الحقول ، وقد اضطررنا من أجل إنقاذ الماشية إلى النزول فى ماء يبلغ صدورنا ويتوالى ارتفاعه » .

فانقبضت نفسى وأغمضت عينى لكيلا أرى صورة آلاف من الماشية المضيّعة وقد دهمها الفيضان ، وكنت قد رأيتها فى هذا الصباح عينه ترعى العشب آمنة مطمئنة .

وقال أحد الرجال : « يحدث هذا كل عام ، والغالب أننا ننجح فى إنقاذها . وفى بعض الأحيان لا ندركها فتموت ، فإن الرياح الدافئة تدهمنا فجأة » .

تلك إذن هى طبيعة هذه المنطقة الشمالية .

كنت فى المطبخ ذات يوم أعد كعكة، فإذا بطرق خفيف على الباب، ودخل شاب طويل يرتدى بذلة حمراء ، ويحمل رجلا على ظهره فصرخت : « رباه ! أهو ميت ؟ »

فضحك الشاب وألقى حمله على المقعد وقال : « ستدلك أنفك على حاله » .

فأدركت أنه مخمور ، وسألت الشاب : « من يكون الرجل ؟ »

فأجاب : « هو جونى فلاهرتى طباخ خالك ، والقهوة الساخنة تنفعه فأعديها له وأسرعى » .

فاستدرت نحو الشاب، فرأيتنى برغم طول قامتى أرفع إليه وجهى لأكلمه وقلت له : « أشكرك على مجيئك به إلينا ، ولكنى أرجوك أن تنصرف ، فلا أحب أن أتلقى أمراً من شرطىٍّ بريطانى » .

فقال : « هل أنا شرطى بريطانى ؟ وما الذى جعلك تظنين هذا الظن ! »

وبدا الغضب على وجهه ، وإنه لوجه وسيم ،

ثم قال : « أنا الجاويش مايك فلانجان من قوة شمال كندا » .

وجاء خالى وصافح الشرطى بود وقال له: « إذن هكذا يؤوب جون إلى الدار » .

فأومأ مايك برأسه وذهب خالى إلى الحجرة المجاورة حيث كان مايك قد أرقد جونى فى فراشه ، وارتفع صوت خالى وهو يعنف طباخه بكلام شديد ، فشعرت بشيء من الحرج لسماع مايك تلك الألفاظ النابية التى كانت تنطلق من فم خالى ، ولكن مايك أخذ يعلق على كلمات خالى بضحكات عالية ، فتملكنى الغضب ووضعت على المائدة ملعقتين اثنتين فحسب ، فأدرك ما أقصده وضحك مقهقهاً ،فوقفت أمامه أتحداه وقلت: « ما الذى يضحكك أيها الجاويش ؟ »

فقال : « أنْ أجد فتاة مثلك فى مقاطعة ألبرتا » .

وعاد خالى وجلس ثلاثتنا لتناول العشاء ، وكان طبق الحلو هو الكعكة التى أعددتها ، فقضم منها خالى قضمة وبدت فى عينيه نظرة غريبة ، ووضع الشوكة ودفع مقعده إلى الوراء ، وكذلك فعل مايك ، وقال وهو يبتسم إلىّ :

« يا جون إنك حينما تبدأ فى تدريب كاتى على إطلاق الرصاص ، لن تجدها فى حاجة إلى ذخيرة . . »

فقلت له : « ولماذا ؟ »

فأجاب : « يكفيك فتات هذه الكعكة فإنها أصلب من الرصاص ! »

فقضمت منها قضمة كبيرة فأحسست كأنما أمضغ حجراً صلداً،وتصنعت أنى أبلع ما مضغته دون أن يدل فمى على أنى لم أفعل .

وقام مايك يحيينا لينصرف ، فلم أرد على تحيته ، لأننى لم أستطع النطق بها ، فتناول يدى ومال علىّ حتى مس شعرى خده وقال : « أبصقى ما فى فمك — وأجيدى خبزها فى المرة القادمة » .

وجاء مايك ذات يوم إلى المزرعة ووقف بالباب وهو يبتسم وفى يده هدية ملفوفة ، فلما فتحت الربطة رأيت فيها سروالا ثقيلا مما يرتديه الصيادون ، فقلت له محتجة : « ولكن هذا سروال رجال ! »

فأجاب : « ارتديه ، فلن آخذك للصيد فى مثل ثوبك هـذا . . » وأشار بازدراء إلى الثوب الملوّن الذى أرتديه .

وسرنا على شاطىء غدير ، ودرنا حول التلال ، وصعدنا فى الجبال ، وقال مايك : « إنك تمشين كالرجال ! » وفهم كل منا أنه أراد إطرائى .

وبلغنا قرار نهير فى الغابة تحفُّ به أشجار عالية ، ورأيت بقايا جذوع بعض الأشجار

بعد أن قطعت بطريقة عجيبة ، ذلك أن جذع الشجرة يحزّ حتى يصبح على شكل مخروط مدبب الرأس، وهمس مايك يقول : « اقتربنا من موطن القنادس ! وسترين سدودها عما قليل » .

وسرنا بضع خطوات ، وجذبني مايك إلى جانبه وقد وقف على حافة صخرة ، وأخذت أتأمل سدوداً من الأخشاب والحصى وفروع الأشجار والطين قد حبست ماء النهير حتى أصبح بركة واسعة .

ووقفنا صامتين برهة طويلة نتأمل ونترقب، وأخيراً طفا قندس على سطح البركة وأخذ يعوم وذيله يقوم عنده مقام السكان للسفينة ، ثم تسلق الشاطىء وأخذ يسير على رجليه ، إذ كان على يديه حمل من الحصى والحجارة .

فقلت هامسة : « ما أشبهه برجل قزم ! »

فأجابني : « هذا هو الوصف الذي يطلقه اليابانيون على هذه الحيوانات فيسمونها : قبيلة الأقزام » .

وفجأة قفز مايك من مكانه وكان يتطلع إلى رأس النهير ، وبدا الغضب على وجهه ، فرأيت على مقربة منا شيئاً يشبه عصا صيد الأسماك راقدة على سطح الماء وفي آخرها مصيدة ، واقترب منها قندس فأطبقت عليه ، وارتفعت العصا فجأة عن الماء وقد تدلى منها ذلك الحيوان المسكين وهو يصرخ ويداه عالقتان بالمصيدة .

وفي تلك اللحظة انقضّ عليه صقر كبير فصرخت ، وولى مايك ظهره وقال :

« لنعد من حيث أتينا » ، ولكني أبصرت ما تحاشى هو رؤيته ، إذ اقتلع الصقر عينيّ القندس من محجريهما . وحطم مايك العصا وأرقد الحيوان على الأرض ، وحملني إلى حافة الغابة حتى لا أرى شيئاً . وبعد لحظة سمعت صوت طلق ناري ، وعاد مايك ولمس شعري برفق ، فأخذت أبكي وأقول : « سالت عينا هذا الحيوان المسكين وهو حيّ ! » .

فقال مايك: « لاتلق بالك إلى ما رأيت ، فإن هذا لا يحدث كثيراً ، لأن أغلب المصايد توضع تحت سطح الماء ، فإما أطبقت على القندس ، وإما أفلت منها وهو سليم . أما هذه العصا التي تعلو وتنتصب حين تنطبق المصيدة فاختراع شرير قلما يستعمله أحد هنا » .

وتناول مايك يدي بين يديه وحاولت الابتسام وانهمرت الدموع على وجنتيّ فانحنى مايك وقبّلهما .

لبثت أسبوعا أحاول استرضاء خالي ليأذن

لى بالذهاب مع مايك إلى حفلة الرقص التى ستقام فى مزرعة أومالى ، وكان يجيبنى كل مرة بقوله : « دعينى أفكر » .

ولما جاء مايك ليصحبنى إلى الحفلة كان خالى لا يزال يفكر ، وأخيراً قال إنه سيعلن رأيه بعد عودتنا من حفلة الرقص ، فضحكنا لمزاحه، وامتطينا جوادين وانطلقنا .

وعدنا بعد منتصف الليل ، ولم يحاول مايك تلك الليلة أن يقبلنى ولو مرة واحدة، ووجدنا خالى جون ينتظرنا وقال : « لقد جاوزت الحدود يا مايك » .

فأجابه: « أعلم ذلك، وأريد أن أحدثك فى الأمر فوراً » ، ثم نظر إلىّ وقال : « لا تغادرينا » ، فوقفت وأنا أتوقع أن ينطلق خالى فى تعنيف مايك ، ولكن مايك هو الذى تكلم أولا وسأل خالى أن يأذن بزواجنا ، فلم ألبث أن طوقت عنقه بذراعى وأنا أقول : « أحقاً ما تقول يا مايك ؟ » فرفع يدى عن عنقه وقال : « نعم ، أريد » .

ثم التفت إلى خالى وسأله: « والآن ماذا تقول يا جون ؟ »

فأجابه خالى: «لن أوافق يامايك، فأنت لن تلبث أن تعود إلى المنقطة الشمالية القاسية، ولا يرضيك أن تصحبك فتاة رقيقة مثل كاترين مارى إلى تلك المنطقة » .

وساد الصمت برهة ، ثم استطرد خالى يقول: « أنت تعلم كل العلم يا مايك أنك خير من أرضاه زوجا لها ، ولكن أمها هى التى عهدت بها إلىّ ، ولا أظنها توافق على زواجها بك فإنها صغيرة السن معتلة الصحة ، وأعتقد أنه ينبغى لها أن تعود إلى بوسطن » .

فوجهت كلامى إلى الاثنين قائلة: « أوَليس لى أن أقول شيئاً فى هــذا الأمر ؟ » ، ثم قلت لمايك : « إذا كنت تحبنى فأخبرنى بذلك فوراً ، وإذا أردت أن تتزوجنى فاسألنى أنا أولا، فقد أرضى وقد لا أرضى » .

فأقبل علىّ مايك ، وأخذ يهمس فى أذنى بحيث لا يسمعه خالى: «إننى أحبك يا كاتى، ولم أكف عن حبك منذ رأيتك. وأظنك تعلمين هذا، وسأعمل على إسعادك ولو ضحيت بحياتى فى سبيلك . إننى أريد أن تصبحى زوجتى » فالتفت إلى خالى قائلة: «سأتزوجه» ولكنه كان قد انصرف .

وكتبت إلى أمى أخبرها أننى سأتزوج مايك فى المزرعة يوم الأحد التالى ، وكنت أعلم أنها لا تملك نفقة السفر لحضور ليلة عرسنا، وكان مايك قد تلقى أمراً بالعودة إلى مقر وظيفته بجهة هدسن هوب وهى تبعد عن نهاية الخط الحديدى الواصل إلى مدينة

أدمونتون بمسافة ٧٠٠ ميل تقطع بالزحافات التي تجرها الكلاب ، وهي رحلة تستغرق ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر .

وكنت أرهب هذه الرحلة ، ولكنني كتمت خوفي ، وكتبت لأمي أقول إنني جد سعيدة . نعم فقد كنت سعيدة حقاً ، ومولهة بحب مايك .

وبدأنا الرحلة من أدمونتون في رفقة قافلة من زحافات الكلاب تحمل بعض التجار والصيادين وموظفي شركة خليج هدسن . واشتد البرد منذ أول يوم ، وهبطت الحرارة إلى الخمسين تحت الصفر بحساب فارنهايت ، وهيهات للأغطية مهما ثقلت أن تبعث الدفء في جسمي وأنا جالسة في الزحافة ، وكم كنت أود أن أنزل منها ثم أجري حتى يدب الدفء في جسمي . ولما اقتربنا من أتاباسكا تبدل الجو ، فقد سكن الهواء وتراكمت السحب في الشرق ، ولما مالت الشمس أحاطت بها فجأة حلقة من ضوء فضي ، ولم تلبث أن ظهرت في وسط هذه الحلقة الهائلة أربع حلقات أخر مضيئة يسطع من كل واحدة منها نور وهاج كأنها شموس أخرى .

وقال مايك : « نحن نسميها كلاب الشمس ، وقد رأيت منها مرة ست عشرة حلقة حول الشمس كأنها جراء حول أمها ، وهي نذير بهبوب عاصفة ثلجية » .

وانهمر الثلج وحبسنا في أتاباسكا يومين كاملين قبل أن نتمكن من مواصلة السفر .

وكانت محطتنا التالية قرية (تايلورز فلات) حيث تقيم أسرة هوارد ، وهي من أصدقاء مايك ، وقدمت لنا صاحبة الدار في العشاء فولا وبيضاً مجففاً وبرقوقاً مجففاً . وراعني أثناء العشاء عواء كأنه نحيب يرتفع شيئاً فشيئاً حتى يتحول إلى صرخة مدوية ، ولم يلق أحد من أصحابنا باله إليها ولا انتبه لها . ثم عاد العواء من جديد وعلا شيئاً فشيئاً حتى أحسست بالصرخة الأخيرة تكاد تمزق قلبي . ورددت أصوات أخرى هذا العواء ، واشتد واختلط حتى صار عواء واحداً ، إنه قطيع من الذئاب يصرخ من الجوع .

وارتعش بدني وانهارت أعصابي ، وأخذت أتتبع ارتفاع العواء حتى إذا بلغ قمته اندفعت أصرخ أنا أيضاً . ونظر إلي الرجال وقد أخذتهم الدهشة ، ولكني أخذت أصرخ وأصرخ ، وقفز مايك من مكانه ووضع يده على كتفي وقال : « كفى يا كاترين » ، فوجدت في كلامه صرامة لم أعهدها فيه من قبل ، فأقلعت عن

الصراخ ولكنى أخذت أضحك ثم أبكى فى ثورة عصبية .

وفجأة أدركت سبب ما حلّ بى . لم يكن الخوف من الذئاب هو الذى حركنى ، بل ما وجدته فى العويل من شكاية الوحدة ومن مرارتها ، ولهذا صرخت أنا أيضاً وبكيت معهم ، إذ كنت أشعر أنا أيضاً بالوحدة ، إذ افتقدت أمى وأسرتى وإخوتى وحننت إليهم ، ولم تفارقنى ذكراهم بعد أن انقضى علىّ شهران دون أن تمس قدمى إلا أرضاً مترامية الأطراف لا يتبين فيها طريق ، تغطيها الثلوج ، ويخيم عليها شبح الفناء والوحدة القاتلة .

ولما انفردت بمايك طوقت عنقه بذراعىّ وهمست : « إننى سعيدة يا مايك . إننى أحبك حبّا صادقاً وأنا سعيدة بذلك ، ولا أدرى كيف حدث منى ما حدث » .

بيد أنى رأيت فى وجهه الكآبة والحزن كأنما اعتزم أمراً لا يحبه وقال : « سأعود بك يا كاتى صباح الغد » .

ولم يغمض لنا جفن تلك الليلة لما كان يساورنا من الأفكار ، ثم صحبنى عند مطلع النهار ولكن لا ليعود بى من حيث أتينا ، بل لأواصل السفر معه . وحينئذ شعرت أننى أصبحت زوجته حقاً ، وأدركت أن هذه الأرض المتراحبة البيضاء ووحشتها جزء لا يتجزأ من حياة مايك ، وقلت لنفسى : « إذا كنت تحبين مايك فستحبين أيضاً كل ما حوله » .

ولما اقتربنا من هدسن هوب وجدت الأرض تزداد جمالا ، وكنا نسير فى باطن النهيرات المتجمدة ، تمر بنا على الجانبين سلسلة من تلال بين صغيرة وكبيرة . وأخيراً وقع نظرنا على هدسن هوب حيث نلقى عصا الترحال .

ورأيت فوق رَبْوةٍ مخزناً لشركة ثلج هدسن ومن حوله أكواخ الصيادين قد خفيت بين أشجار مثقلة بالثلوج ، وعلى مقربة منها سفوح الجبال قد غطتها أزهار الثلوج وأشجار الصنوبر ، وفى ناحية الشمال يجرى نهر « السلام » .

وبعد أن تناولنا عشاء ساخناً فى دار حارس المخزن ، أخذنى مايك إلى دارنا بين أشجار الصنوبر وراء المخزن . ورأيت الدار تشتمل على حجرة كبيرة وحجرتين للنوم ، وفيه موقد للتدفئة وللطبخ معاً ، وهو نوع من المواقد شائع فى تلك المنطقة . ووجدت فوق الفراش غطاء من جلد البقر ، وفى الجدران بعض الشقوق مسدودة بالأعشاب . وأبصرت من النافذة ذلك الكوخ الذى أعد ليكون مكتباً لمايك ، وهو فى الوقت ذاته محكمة المحلة ومستشفاها .

فسألته : « أيقصــدك الناس هنا إذا ما مرضوا ؟ »

فأجابنى بهدوء : «إننا على بعد ٧٠٠ ميل من أطراف العالم المتمدين ومن أقرب طبيب » .

« ولكن ألك خبرة بالطب ؟ »

«علمى به قليل،وقد اشتريت بعض كتب طبية من كالجارى » .

فنظرت إلى الرجل الذى أصبح زوجى وأدركت أنه ليس بالجاويش فحسب ، بل إنه رجل ينهض بأعمال خطيرة فى تلك المنطقة .

ويبلغ سكان تلك المحله ، سوى الهنود ١٣٥ نفساً كان أغلبهم قد خرجوا للصيد حينا وصلنا . وقدمت إلينا من التل ذات يوم قافلة من الزحافات ، فصرخت بمايك : « انظر يا مايك ؟ » وأخذنا نرقب هذه القافلة من الرجال والكلاب تقطع السهل مسرعة ، وانتشرت الزحافات فوق سفح التل ، حتى رأيت فيها خمسين رجلا يسابق بعضهم بعضاً ، وقد تكدست أكوام من الفراء فى الزحافات .

وأقبلت النساء من الناحيـة الأخرى مسرعات لتحية القادمين ، فإنهن لم يرين رجالهن منذ سبعة أشهر . ولما اقترب الجمعان تريثت النساء ، ثم أخذت كل واحدة منهن تسير بجوار رجلها وهو لا ينفك يرمى إليها من الزحافة ، دون أن ينبس بكلمة ، قطعاً من الفراء . وثارت نفسى حينما رأيت أحد الهنود يفك عن الزحافة أحد كلابه ويربط زوجته مكانه بين بقية الكلاب ، وما لبثت المرأة أن شاركت الكلاب فى الجر ، وسارت الزحافة ببطء وسط القافلة .

فقال لى مايك : « إن نساء الهنـود شديدات القوى ، فقد ألفن هـذا الجهد سلالة بعد سلالة منذ ألف سنة » .

ولما انقضى الشتاء اشتاقت نفسى إلى أن أخلع ما ألبسه من ملابس الرجال الثقيلة ، فأرتدى بدلها ملابس النساء ، ولكن هذه الأمنية لم تتحقق ، وظللت فى تلك المنطقة أرتدى ملابس الرجال طـوال الربيـع والصيف وموسم البعوض، لأنها خير وقاية من أسرابه اللعينة . ووضع مايك شباكا على النوافذ ، ولكن عيون هذه الشباك ، برغم دقتها ، لم تمنع تسرب هذا البعوض إلينا وهو يطن طنينه .

واستجاب مايك لرجائى ، فطفق يدرب الهنود على استعمال هذه الشباك ، ويفهمهم أنها تنجيهم من الأمراض لو علقوها على نوافذهم وأبوابهم . وقد سـألته : « أتعتقد أن هـذه الشباك ستغير من أحوالهم كثيراً ؟ »

فأجاب : « نعم ولا ريب » .

وخيل إلى أن جوابه فاتر يدل على أنه لا يؤمن كثيراً بما يقول .

وذهبت فى الأسبوع التالى أزور أوميمى زوجة زعيم الهنود ، فوجدت طفلها فى ركن الحجرة راقداً على خرق بالية يهز رجليه الصغيرتين ليطرد عنهما أسراب البعوض والذباب، ورأيت فى إحدى رجليه جرحاً عميقاً دامياً ، فإذا انقطع عن هز رجليه حط البعوض والذباب على الجرح ليلغ فى دمه ، فأشرت إلى النافذة وقلت : «أين الشباك التى وضعها الجاويش مايك؟»

فابتسمت وتركت الحجرة ثم عادت ومعها عدد من ملابسها ، فرأيت أنها قد اتخذت هذه الشباك زينة لأذيالها .

وقال لى مايك ذات يوم : « لا تعرف هذه المحلة لافتات الشوارع أو جنود المرور. والناس يهتدون بالشمس فى النهار وبالنجوم فى الليـل ، ويعرفون منهـا مرور الوقت والاتجاه كما يعرفون منها أيضا تغيرات الجو » .

وكنت راقدة بجوار زوجى ذات مساء نرقب النجوم ، فأدركت فجأة أنى قد نلت من القوة والعافية ما يجعلنى أنسى صدرى وسعالى أسابيع طوالا ، ثم قلت لزوجى : « ستصير أباً عما قريب ! »

فضحك وقال لى : « ما أخبثك ! كيف كتمت الأمر عنى ! »

وفى أحد الأيام قضيت ساعات أعمل فى الحديقة وقد سكن الهواء وانتشر الضباب فحجب الشمس إلا قليلا ، واصطبغت أشعتها بلون برتقالى ، وأخـذت أستنشق ملء رئتى من الهواء ، فشممت رائحة دخان ، وأدركت أن هناك حريقاً من جهة ما ، فأسرعت إلى مايك .

وسمعت وأنا أجرى إلى مكتبه عدو كلب ورائى ، ولـكنه لم يكن كلباً ، بل كان قطة كبيرة منتفشة الشعر . فعزمت على مواجهتها ، ورأيتها قد تدلى لسانها ولمعت نظراتها ، ثم استدارت واندفعت تعـدو مسرعة فسقطت عند جذع شجرة . وقد تملـكتنى الدهشة إذ رأيت نمساً مخططاً يطارد هذه القطة الوحشية ، فمثل هـــذه الأخطار هى وحدها التى تدفع تلك الحيوانات الضارية إلى الخروج إلى المسالك التى يطرقها البشر .

وكان الدخان حينئذ قد اشتد وتساقط الرماد فوق الطريق وأقبل مايك يجرى إلىّ ، وجذبنى نحوه وقال : « اذهبى إلى النهر يا كاتى » ، ورأيت سترته الحمراء تختفى عن ناظرى وهو يسير فى اتجاه قرية الهنود ، فدعوت الله أن لا يصيبه مكروه .

وازدحمت ضفة النهر بنساء ليس فيهن إلا من تجرّ طفلا أو تجذب طفلا أو تحمل طفلا . ونزل بعضهن إلى النهر حتى بلغ الماء خصورهن ، وتعالى صراخ الأطفال وبكاؤهم.وسرت مع الضفة ونزلت أنا أيضاً في النهر فغمرني ماؤه البارد ، وأخذت أسير بجانب الضفة جيئة وذهاباً حتى ألف جسدي برودة الماء . وسمعت صوتا يناديني فإذا هي ليولا الهندية زوجة أحد الصيادين ، وكانت تحمل على كل ذراع طفلا ، وتشبث بأذيالها طفل ثالث وهو يصرخ ، فحملته على ذراعي .

واشتدت لفحة النيران فغطست في النهر وتبعتني ليولا ، وبدت لنا من خلال سحب الدخان أشباح الرجال وهم يعملون في إطفاء الحريق في طرف الغابة وراء مبنى الشركة ، ولكن النار ما لبثت أن اتصلت ببابه الخلفي ودب فيه الحريق، وأصبح النهر هو الحاجز الوحيد بيننا وبين النار .

ولم يطل تردد الحيوانات الساكنة في الغابة ، فقد لجأت هي أيضاً إلى ضفة النهر، فقفز ثعلب أحمر من صخرة إلى الماء، وحمل إلينا الريح رائحة فروه وقد حرقته النار ، واندفع الثعلب في النهر حتى كاد الماء يبلغ فمه ، فوقف لا يبدو منه إلا أنفه ، وكان إلى جانبه جماعة من الكلاب ولكنها لم تلق بالا إليه. وظهرت في الماء أنواع أخرى من الحيوانات الضارية منها الذئاب والدببة.

وتعالت ألسنة النيران على الضفة ، فأغمضت عيني . وبرغم ذلك ظل وهج النيران ينفذ إليهما . وأخذ الطفل يبكي بكاء شديداً ، فغمرته في الماء حتى بلغ ذقنه ، وأخذ الرماد الساخن يتساقط علي ويحرقني، ولكن جسدي كان قد خدرته برودة الماء.

وجعلت أسأل نفسي وأنا لا أدري كم لبثت في الماء ؟ أنحن في نهار أم في ليل ؟ فقد احتجبت السماء ولم يبق إلا وهج النار والدخان .

وغطيت فم الطفل وأنفه وغطست به تحت سطح الماء ، فتململ الطفل ولكني أبقيته معي حتى كدنا نختنق ، ثم طفونا ونحن نلهث ، فإذا بالهواء الساخن يلهب وجوهنا، فغطسنا مرة أخرى . ولا أدري كم مرة فعلنا ذلك، وأدركت من اضطراب الطفل بين يدي أنه لا يزال حياً .

وانتشلنا مايك ومزق ثيابي، ثم أدركتني غيبوبة،فلما انتبهت وجدتني في ثياب أخرى، قميص رجال وثوب هندي ، وقد رقدت على الأرض وعلى مقربة من رأسي حطب متقد . وقال لي مايك إننا في صباح اليوم التالي ليوم الحريق ، وإنني نجوت أنا والطفل من الأذى . ورأيت وجهه مسوداً

من الدخان ، وعلى جبينه خطوط تدل على مكان تصبب العرق ، واختفت سترته الحمراء وقميصه ، وأخذ يضع مكمدات على وجهى ورقبتى وقال لى : « وجدتك متعبة مقرورة ، وقد أصيب وجهك الجميل ببعض الحروق البسيطة» . فقمت واقفة وحضنته ، وهممت أن أسأله عن عدد المصابين ، ففهمت من وجهه الشاحب أن الخسارة كبيرة .

ولم تخمد النار إلا بعد مقاومة دامت ١٥ ساعة،ولم يكن مع زوجى إلا ٤٧ رجلا، وكان لا بد له من مئة رجل ليستطيع صدّ النار عند النهر . وكان طريق النجاة قد سُدّ فى وجه النساء والأطفال من سكان الضفة الشرقية ، وأطبقت عليهم النيران قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى النهر . وكان مايك قد أوفد إلى النسوة رسولا يحذرهن، ولكن هذا الرسول لم يصل إليهن فهلك أربعون منهن . وهذا هو ثلث عدد سكان القرية .

فقلت له : « ليس الذنب ذنبك » .

فأجابنى بهدوء : « لست أدرى ، كان ينبغى أن أوفد رسولين فلعل أحدهما كان يستطيع أن يصل إليهن » .

« ألم يكن فى وسعك أن تستغنى عن رجلين فى وقت واحد ؟ »

فكان جوابه : « كلا ! »

فشددتُ يدى الصغيرة على يده الكبيرة لأهدىء من روعه .

وخلفت النار المدمرة أرضاً سوداء كأنها مساكن الجن ، واختفت معالم القرية ومن بينها دارنا .

وانقضى النهار كله فى حفر القبور ، وأقمنا عليها ٣٧ شاهداً غطيناها بدهان أبيض ، ودعانا مستاجان زعيم الهنود إلى كوخه ، وصافح مايك كما يفعل الرجال البيض ، وقال برطانته الهندية : « الجاويش أنقذ قومى » . ولم يزد على ذلك شيئاً ، ولكن كان فى قوله كل الكفاية .

ولم يمض على هذا الحريق وقت طويل حتى وصلنا كتاب بنقل زوجى من هدسن هوب إلى جروار ، فخرجنا من فورنا للسفر ، إذ كان الحريق لم يبق لدينا شيئاً نحمله معنا ، وأقبل أهل القرية كلهم إلى النهر يودعوننا ، ولم يبق فيهم أحد من البيض أو الهنود إلا قدم لنا هدية من طعام ، بالرغم من أن الشتاء القارس كان على الأبواب ، والطعام فيه قليل مطلوب .

وبعد أن دامت الرحلة بضعة أسابيع أنزلنى مايك ذات يوم من الزورق ،

فشعرت بالأرض تميد تحت قدمى وقل : « ها قد وصلنا » . وولجنا مدخل دار يئن خشب أرضها تحت أقدامنا ، وطرق مايك الباب فانفرج قليلا كأنما تفتحه يد لا ترحب بنا .

وكان رجاؤنا أن نصل جروار وقد حانت ولادة الطفل ، ولكن آلام المخاض بدأت بعد أن استسلمنا للرقاد فى الليلة الماضية . وكان مايك قد سمع أن هناك ممرضة مدربة تقيم فى تلك الجهة ، وهى امرأة أسكتلندية اسمها مسز ماثرز ، فسرنا إليها طول الليل .

وانفرج الباب فشعرت من أول نظرة أننى لا أحب تلك المرأة ، إذ كانت شمطاء متهدلة اللحم ، ورأيت دارها تشبهها ، فهى دار فسيحة ينقصها النظام والنظافة ، وتسطع منها رائحة الطعام الفاسد . ثم أخذتنى إلى حجرة نوم وأعطتنى قميصاً من الصوف أدركت من حجمه أنه قميصها ، وجعلت تراقبنى وأنا أرتديه وقالت : « إنك نحيفة الجسم » .

فشعرت بالرهبة وقلت لها : « ماذا تعنين ؟ »

أجابت : « هو ما قلته ، وأشك أن أفلح فى استنقاذ طفلك حيًّا » .

وكان مايك واقفاً فى باب الحجرة فصرخ فيها وهو يكتم غيظه : « اعزبى عن وجهى » فوقفت مسز ماثرز برهة تحدق فيه كأنها لم تسمعه ، ثم اتجهت إلى الباب وهى تتمتم : « أتطردنى من دارى » وأغلق مايك الباب وراءها .

وتناول يدى وقبلها وقال : « أنصتى يا كاتى ، لم أكن أعلم أنها على هذه الصورة ، وسأذهب إلى المحلة لأحضر لك مسز كاربنتر لتتعهدك » ثم ابتسم وقال : « إنها قابلة ماهرة ، وستحبينها يا كاتى ، فهى التى تولد نساء المنطقة كلها » .

واشتدت آلام المخاض بعد ليلتين ، وجلس مايك إلى جوارى ، وكنت أشد على يديه كلما ضربنى الألم ، ثم أرقد ألهث وأستجمع قواى لنوبة الألم القادمة .

وفى أثناء إحدى النوبات كنت راقدة وقد انقطعت أنفاسى وانهدّت قواى ، فجاءتنا القابلة ، ولم ألاحظ أن الباب قد فتح ، بل رأيتها واقفة إلى جوارى تنظر إلىّ ، وكلمتنى بصوت هادىء مطمئن كأنه خرير الماء ، فتنهدت وأغمضت عينى . ثم شممت رائحة شديدة الشذا كأنها رائحة حطب محترق ، ففتحت عينى فإذا بالقابلة تقدم لى قدحاً لأشربه وقالت : « هذا شراب تعرفه نساء الهنود هنا . وسيعينك بإذن الله » ، ثم لم أعد أسمع صوتها ، فقد غبت عن وعى .

ولما ثابت إلىّ نفسى وجدت زوجى يقبلنى ويقول : « قد انتهى كل شىء يا عزيزتى » فابتسمت له،وكنت أسمع صوت أقدام القابلة وهى تسير فى الحجرة . وبعد وقت طويل استطعت أن أدير رأسى لأرقبها وهى تدلك المولود بالزيت . ورأيت القابلة ضخمة الجسم قوية البنيان كأنها رجل ، وتتجلى فيها مع ذلك الرشاقة والمهابة والطيبة والثقة بالنفس .

فابتسمت لها وقلت : « لا شك أن أطفالا كثيرين قد جاءوا إلى هذه الدنيا على يديك » .

فأجابت : « لقد ولدت أنا سبعة عشر مرة ، كما أشرفت على ولادة أكثر من مئة طفل كتبت السلامة لأمهاتهم كافة ، ولم يمت على يدى إلا طفل واحد هنا فى هذه الدار حينما جئت لتوليد مسز ما ثرز » .

وشد مايك على يدى ليطمئننى ،وغادرتنا القابلة بعد يومين من مولد ابنتى مارى ، وقد أحبها قلبى حباً جماً . ولما استجمعت قواى جاء مايك بعربة وفرش فيها غطاء ورقدت فيها .

ولما وصلنا تلك القرية قصدنا كوخاً فى منحدر من الأرض ، فوجدنا نفراً من سكان القرية فى انتظارنا أمام هذا الكوخ الذى تنحنى فوقه فروع الأشجار الباسقة ، وأمامه حديقة قد نبتت فيها زهور جميلة عجيبة لم أرها من قبل، وكان هذا الكوخ هو دارنا . وكانت القابلة هى أول من جاء لتحيتنا ، وساعدتنى على النزول من العربة ، وحملت الطفل وأدخلتنى الكوخ، ثم عرفتنى بزوجها وأخويها وباقى أفراد أسرتها وجيرانها وأسرة بكلير ، وأخذوا جميعاً يلاعبون الطفل .

ولما خرج الجميع بقيت زوجة بكلير معى ، وجلست على مقعد إلى جوارى وتناولت يدى وقد غمر الضوء وجهها ، فرأيته ينم عن العزم وقوة الإرادة ، تلك الخصال التى كنت أفتقدها فى نفسى ، فرأيت لها فما دقيقاً ينطق بالكبرياء ، وأنفاً صغيراًمستقيما قلما رأيت مثله فى منطقة الشمال ، وعينين جميلتين زرقاوين حتى ما يخطر ببالك أنها زوجة صياد .

وأخذت تكرر اسمى بلهجتها الفرنسية الرشيقة وقالت :

« ليتنى عرفتك منذ عشر سنين أو عشرين سنة ، فأنت لا تدرين كيف تشعر المرأة إذا لم تجد واحدةقطمن بنات جنسها تعاشرها فى تلك المنطقة » ، ثم ابتسمت وقالت : « بالله حدثينى عن مدن كندا ، فإنى مشتاقة إلى مثل هذا الحديث وإن كنت لا أعرفها » .

ولما خلوت إلى نفسى قمت إلى النافذة وأخذت أنظر إلى الحديقة الجميلة التى لم أر مثلها من قبل ، وقلت لمايك وأنا أشير إليها : « ما أجملها : لقد نسيت أن أسألك من زرعها ؟ »

فبدا على وجهه شيء من الضجر وقال : « يقولون هنا أن مسز مارلن هى التى زرعتها ، ولم تكن هنا فى الليلة الماضية لأنها مريضة » ثم قال فجأة : « لا تركبك الأوهام ياكاتى من هذه الأزهار » وبدأ يشرح لى شيئاً لم أسمعه ، إذ كنت قد استغرقت فى النوم بين ذراعيه .

وفى صباح الغد رأيت كل زهرة قد ذبلت وسقطت على الأرض فأخذت أبكى وأقول لزوجى : « انظر ماذا حدث ! » فقال : « كنت أعلم ذلك » ، وقطفت زهرة فإذا بى أتبين أنها كانت زهوراً يانعة قد قطفت من منبتها ثم نسقت فى حديقتنا ، وقال مايك بأسف : « إن مسز مارلن مختلة العقل ، فإنها أرادت برشق هذه الأزهار أن تحييك ، وهى أزهار برية تنمو فى الغابات والمستنقعات . ولاشك أن المسز مارلن قد صرفت يوما كاملا فى جمعها » . فشددت على يدى زوجى وأنا متأثرة بالترحاب الذى لقيته حتى من مسز مارلن المجنونة التى خرجت إلى المستنقعات وقضت يومها كله فى قطف الأزهار حتى تهيئ لى حديقة جميلة تبقى ساعة واحدة .

وجاءتنا جارتنا كونستانس وانحنت على مهد ابنتى ثم تناولتها ورفعتها ، فضحكت الطفلة وضحكت لها كونستانس . ولم أرها من قبل فى مثل هذا الانشراح وقالت : « ما أشبهها بسوزان طفلتى وأول أطفالى . فقد ولدت تسعة أطفال جميعهم ما عدا أربعة راقدون هناك » . فأدركت أنها تعنى تلك القبور الصغيرة التى مررنا بها ونحن قادمون . فسألتها عن السبب فقالت : « هى أمراض الحصبة والحمى القرمزية والتيفود ، فإن الشتاء هنا قارس ، وليس بيننا أطباء ، ولكنى أنقذت أربعة من أولادى » ثم أدارت وجهها عن النافذة وقالت : « أحمد الله على ذلك ، ولكنى أفكر فيما أصاب غيرى » .

ودعتنا كونستانس تلك الليلة للذهاب معها إلى الدير لحضور صلاة منتصف الليل ، وهذا الدير أكبر بناء فى تلك المنطقة ، وله حديقة كبيرة وقال مايك . « يقيم هنا ثمانون طفلا يعتمدون فى طعامهم على ما تنبته حديقته » .

ودخلنا بهدوء فوجدنا الصلاة قد بدأت ، وألفينا القاعد بين جذوع الأشجار ،

وأخذت الظلال التي تلقيها الشموع تتراقص على جدران الحجر . ووقف القسيس كأنه جذع شجرة عتيقة ، وفي قدميه حذاء ثقيل مما يرتديه الصيادون . وحينما بدأ يتلو صلاته سمعت له صوتاً رقيقاً .

وأرادني مايك على أن آخذ فتاة من أولاد الدير لتساعدني في العناية بالدار وبالطفلة ، وصحبتني الأخت تريزة إلى حجرة اللعب فوجدت فيها جمعاً من الأولاد ، ثم فتحت بابا في نهاية الحجرة فانبعث من ورائه بكاء ونحيب وقالت : « هؤلاء هم المحرومون من اللعب عقاباً لهم » . ورأيت ثلاثة أطفال جلوساً على مقعد وهم يبكون ، وقد احمرت عيونهم ، وإلى جانبهم فتاة هندية تبلغ من العمر خمس عشرة سنة ، وهي مطرقة غارقة في التفكير .

رفعت تلك الفتاة وجهها إليّ وابتسمت فأحببتها لأول نظرة وقلت من فوري : « أود أن آخذها » ، ثم استدرت إلى الفتاة وقلت لها : « أتحبين أن تعيشي معي ؟ »

فنظرت إليّ الفتاة باهتمام وقالت : « نعم . أسألك بالله أن تأخذيني » .

فقالت الأخت تريزة : « يحسن أن نبحث هـذا الأمر مع الرئيسة » . فلما ذهبنا إليها حيتني بوقار وقالت : « إن هذه الفتاة اسمها « آن » وهي ذكية لطيفة ماهرة ، ولكنها تتوهم أنها تحبُّ » .

فسألت : « وهل تعرفين هـذا الفتى الذي تحبّـه ؟ »

فأجابت الرئيسة : « نعم ، إنه جوناثان فوركيـه ، وأبوه خِلاسيٌّ ثار في وجه الحكومة ، فشب الفتى ثائراً في قبضة الفقر لا تعنى به سوى أمه الهندية . ولما طلبت إليه أن يترك هذه الفتاة وشأنها ، أجاب : « إنهـا ستصبح رفيقتي » . ثم تريثت الرئيسة قليلا وقالت : « إنك لا تدرين معنى تلك الكلمة كما يفهمها جوناثان ، فإن فيها القضاء على مستقبل التلميذات هنا ، فإننا نعلمهن القراءة والكتابة ، فهل من الخير أن ندفع إحداهن إلى حياة تعيش فيها كالحيوان ، وتشقى طول يومها في خدمة زوج يركلها ويضربها ؟ فأنت ترين من ذلك لماذا ينبغي أن لا تتزوج آن هذا الفتى .

فقلت لها : « قد فهمت ما تعنين » .

فلما أعدت على مايك قول الرئيسة ضحك وقال : « لا أظن أنها تسبِّب لنا شيئاً من المتاعب » ، ولكنه كان مخطئاً في رأيه . لقد أحبها جميع من عرفها لبشاشتها ، وأطلقنا عليها اسم « فرحانة » وهذا هو معنى اسمها بلغة قومها .

خرجت ذات يوم أنظف السجاد ، فما

كان أشد دهشتي حين وجدت على درج البيت كوماً من الفراء الجميلة ، وجاءت فرحانة فشهقت بابتهاج وجمعت الفراء بين ذراعيها ودست رأسها في شعرها الناعم وهي تتمتم بكلام من لغتها وقلت لها : « أتعلمين من أين جاءت هـذه الفراء يا فرحانة » فنظرت إلىّ وعلى وجهها غبطة لا تخفى .
وقالت : « جاء بها جوناثان » .

وبدا لي أن هذا الاسم كما نطقت به ، أجمل اسم سمعته أذناي ، ولكن قلت لها غاضبة : « ألست سعيدة هنا ؟ »

فقالت : « إنني أحبك » .

فقلت لها : « إذن تعدينني بأن لا تقابلي جوناثان ما دمت معنا ، وإلا أعدتك إلى الدير . وأما الآن فاحملي هـذه الفراء إلى مخازن الشركة لتعاد إلى جوناثان حين يأتي في المرة القادمة » ، ولكنها رفضت وأخذت تبكي ، فجريت إليها واحتضنتها وقلت لها : « أتحبينه كل هذا الحب ؟ »

فقالت : « نعم » .

فتملكتني الحيرة ، وأدركت أنها تجد سعادتها في الحياة مع هذا الفتى رغم ما قد تلقاه فيها من مشقة .

ثم أعددت طعام الغداء وحملته إلى مكتب زوجي ، فرأيت من خلال النافذة فتى اسمه كردينال من سلالة الهنود ، وقد عقد منديلا أصفر قذراً على رأسه وهو يقول : « إن هذا الشرير جوناثان فوركيه يأتي كل ليلة إلى داري ويقذفني بأسهم من قوسه ، وقد أصابني في الليلة الماضية بجرح في يدي ، واتهمني بأنني أسرق فراء من المصايد . وهذا كذب ، ولكنه سيقتلني لا محالة » .

فأجابه مايك : « سأستدعيه للتحقيق معه » .

وعندئذ انفتح الباب فجأة حتى كاد يوقعني على الأرض ونظر إلىّ مايك بغضب وقال : « ما الذي حملك على الوقوف هنا والتعرض للبرد ؟ »

فقلت له : « أريد أن أحدثك عن جوناثان ، أتظن أنه لا يستنكف من القتل ؟ » فضحك زوجي .

فقلت له : « ليس في الأمر ما يضحك ، فقد وضع جوناثان اليوم كوماً من الفراء على باب دارنا » .

فأجاب وهو يفكر : « إذن هو يريد أن تهرب معه فتاته » .

فقلت : « أجل ، وعليك أن تحدثه ليتقي ربه ويعدل عن غرضه » .

فقال : « ليس جوناثان بالفتى الذي يسهل إرهابه » .

فقلت : « هـذه حماقة منه ، فإنك ستضطر إلى إلقائه في السجن » .

فأجاب مايك : « لك الله يا كاتى ، أتطلبين أن ألقى برجل فى السجن لا لجريرة إلا أنه عاشق ؟ »

فقلت: «ولكنه رجل خطر ، فماذا تفعل لو أنه قتل كردينال ؟ »

فقال : « لا أعتقد أنه مجرم بطبعه، وأظن أن كردينال هو الذى يسرق فراءه فإنه رجل سىء السمعة ، وقد أراد جوناثان إرهابه ليتقى شره، وسرقة الفراء هنا أخطر الجرائم لأنها المصدر الوحيد للرزق » .

فقلت : « ولماذا لا يرفع جوناثان شكواه إليك ؟ »

قال : « لأنه من سلالة الهنود ، وهم قوم ذوو كبرياء » .

ورحل مايك فى صباح الغد يبحث عن جوناثان ويأتى به ، وعاد بعد العشاء بوقت طويل ، ولم أتبين فى مبدأ الأمر أن وراءه شخصاً صامتاً مختفياً فى الظلام ، وقال مايك: « هذا هو جوناثان فوكيه » وأحنى الفتى رأسه تحية لى دون أن يبتسم ، وجال بنظرة من عينيه الواسعتين فى أرجاء الحجرة، ثم استقرت على فرحانة وهى واقفة فى ركنها البعيد وقد حبست أنفاسها ، ولكنه لم يكن باش الوجه ، ولم يوحِ إليها ، وإن ظل برهة طويلة يرمقها ببصره .

وأخذت زوجى إلى المطبخ وأغلقت الباب وقلت له بغضب : « لماذا أتيت بهذا الفتى ؟ ألم تر نظرته إلى الفتاة ؟ إنك مجنون ولا ريب، لأن أهل الدير إذا سمعوا بخبر مجيئه طلبوا إعادة الفتاة إليهم ، وظنوا أنك سعيت إلى ذلك. وهذا مايبدو لى أيضاً » .

فوضع يديه القويتين على كتفى وقال : « اسمعى أيتها الحمقاء . لقد أتيت بجوناثان لتطعميه ، فهو يكاد يهلك جوعاً . وقد رأيته حين وجدته ينزع قشر شجرة ليلتمس تحته مايبل به ظمأه » .

ولكنى لم أصدق ذلك وقلت: « إذا كان جوناثان ماهراً فى رمى السهام كما فعل مع كردينال ، فلماذا لا يصطاد شيئاً يأكله ؟ »

فقال مايك: « قد وجدته مصاباً بجرح، وهذا سبب تأخرنا فى العودة ، فقد سار إلى جانبى بهدوء ثم سقط على الثلج ، فلما فتحت قميصه وجدت جسده كله مثخناً بالجروح . ولا شك أنه أصيب بخمسين ضربة على الأقل » .

فقلت : « هل تظن أن كردينال هو الذى ضربه ؟ »

فأجاب : « أجل . فقد مررت على مصايد جوناثان فوجدت عندها آثار عراك، وعلمت أن جوناثان كمن له حينما رأى مصايده قد عبث بها ، فلما قدم أمسك به ،

ولعله سأله عن الفراء المسروقة ، وأعتقد أنه انهال عليه بالضرب ، ولكن لا دليل عندى على ذلك ، لأن جوناثان رفض أن يتكلم فهو شديد الكبرياء ويريد الانتقام لنفسه ، ولا يود أن أفسد عليه غرضه بإلقاء غريمه فى السجن » .

وأخذ جوناثان يأكل بهدوء وهو صامت ولم يأكل إلا قليلا ، ولما فرغ نظر إلينا أنا وزوجى وقال بجد : « قد أكلت فى دار صديق » .

فقال مايك : « نعم فنحن أصدقاء » .

وكانت فرحانة تخفى ابتساماتها وهى تدور فى الحجرة ، ولاحظت أن جوناثان يرقبها بسرور زائد. وسمعنا طرقاً على الباب، فلما فتحه مايك دخل كاردينال ، فلما وقع نظره على جوناثان بدت على وجهه ابتسامة محنقة ، وربت على كتف مايك وقال : « أحسنت صنيعاً بالقبض عليه »

فأجاب : « إنه طليق لم يقبض عليه ، وقد أخبرتك أن الابتعاد خير لك ، فليس فى حضورك هنا إلا الضرر » ، ثم التفت إلى جوناثان وقال: « إننى أعلم أنك رميت سهامك على كردينال ، وقد جئت بك إلى هنا لا لأقبض عليك بل لأسمع أقوالك . وها أنا ذا أحذرك من العودة إلى فعلتك ، وأريدك أن تعدنى بذلك » . وشخص جوناثان ببصره فى الفضاء ولم ينطق .

فقال له مايك : « استمع ياجوناثان إذا اعتديت على كردينال مرة أخرى فإننى سأقبض عليك » .

واستقرت نظرة جوناثان على كردينال وقال : « إذن فالسهم القادم سيكون هو السهم الأخير » .

وهذا تهديد واضح بأنه سيقتله، واصفر وجه كردينال ، وسمعنا فى الصباح الثانى أنه غادر المحلة .

ومضى الشتاء ببطء وهدوء وكان الرجال غائبين عن المحلة فقد خرجوا للصيد ، وبقى النساء وحدهن فى الدور ، وانصرفت أنا إلى التمتع بصحبة ابنتى مارى . وكان من المرتقب أن أرزق بطفل آخر فى شهر يوليو ، وسرنى ذلك ولم آبه بتشاؤم نساء المحلة اللاتى يرضين بأن يفقدن ستة من الأولاد لتبقى لهن ثلاثة ، فقد عقدت العزم على أن يشب أولادى فى صحة وعافية .

وطلبت إلى القابلة أن أزورها مراراً لتشرف على علاجى ، فقد أعدت فى كوخ صغير بجانب مسكنها أنواعاً مختلفة من الأدوية وكلها من الأعشاب الجافة ، تعالج بها التهاب الحلق والروماتزم وسم الثعبان والصداع وكسور العظام .

وفى إحدى زياراتى لها لقيت مسز مازلن ، وكنت لم ألقها من قبل فأشكرها على زهورها .

فلما شكرتها رفعت يدها الصغيرة إلى وجهها وأخذت تنظر إلىّ بتعجب ، ورأيتها ذات جمال غريب لا تلقاه إلا فى هذه السلالة المنحدرة من أجناس متباينة . وتريثت برهة ثم قالت : « هل تتحدثين عن زهور . نعم أذكر أنى رتبت لك الحديقة يا مسز مايك . أكانت جميلة ؟ »

وجعلت أنظر إليها وأنا أتدبر كيف أكلمها ، ثم قالت وهى تهز رأسها :

« ولكن الأزهار ماتت وكل شىء تلمسه يدى يموت » . ونطقت بهذه الألفاظ بهدوء ، فأحسست أن هناك لعنة قد كتبت عليها .

وردت الأنباء فى نهاية الخريف بأن كردينال يعيث فساداً فى شمال المنطقة ، وعاد إلى خلته القديمة فى سرقة الفراء ، ولكن بطريقة جديدة ، وهى وضع فراء رخيصة محل الفراء الثمينة التى يسرقها . فعزم مايك على أن يقبض عليه .

وشاهدت زوجى وهو يشد عدته إلى جواده ليرحل إلى مجاز النهر ، ثم يصحب زميلا له ويستقلان قارباً للوصول إلى مقر السرقات فسألته :

« متى تعود ؟ »

فقال : « بعد شهرين يا كاتى » .

فمددت يدى لأستند على سور مدخل الدار ، ذلك لأنى سألد طفلى أثناء غياب زوجى . وعدت إلى الدار وأغلقت الباب ورائى وانطلقت أبكى .

فلحقنى مايك وضمنى إليه وقلت له : « عدنى بأنك ستعود سليما » ، فأخذ يحدثنى برفق وشفتاه تلمسان شعرى وقال : « لا يساورك القلق ، سأكون معك ، وسأعود إليك . ولولا وثوقى بهذا لما سافرت » ، وابتسمت لى عيناه الزرقاوان ، وداعب شعرى بيديه الكبيرتين ، ثم خرج وبقيت وحدى .

ووفى مايك بوعده إذ عاد بعد الأسابيع الستة ومعه كردينال بمنديله الأصفر القذر المعهود وقد عقد على رأسه ، وكان مآله إلى السجن .

وفى تلك الليلة جلس زوجى بعد العشاء فى مقعد كبير ووضع مارى على حجره ، وجلست أنا عند ركبتيه ، وإذا بالباب يفتح فجأة ويقبل أحد زملاء زوجى يقول : « مات كردينال مقتولا . فقد رأيته جالساً فى السجن وقد مالت رأسه إلى الوراء حتى لمست القضبان . وحسبته نائماً ، فلما اقتربت منه تبينت أنه قد طعن فى حلقه ، ولا تزال المدية مغروزة فيه » .

فأسرع مايك يرتدي ثيابه وقال : « هل رأيت تلك المدية من قبل ؟ أو هل تعرف صاحبها ؟ »

« إنها مدية جوناثان فوكيه ، فعلى مقبضها نقش لمناظر صيد ، وهـذا النقش لا يجيده إلا هو » ، فقاطعه مايك وهو يلقى نظرة خاطفة على فرحانة وقال: « لا أحب التسرع في الاستنتاج ، فتعال معى نحقق الأمر » .

وظلت فرحانة شاردة البصر وقتاً طويلا.

وعاد زوجى وزميله وبينهما جوناثان ، ودخل ثلاثتهم الحجرة صامتين ، ومدّ مايك يده إلى جيبه وأخرج ربطة وأمسك بطرف الغلاف وتركها فهوت مدية على المائدة . ثم التفت إلى جوناثان وقال : « أهى لك ؟» فأجاب بلا تردد : « نعم » .

وتريث زوجى قليلا ثم قال : « كنت تصنع من قبل مدى كهذه المدية وتبيعها ، فهل هذه واحدة منها ؟ »

فالتفت إلينا جوناثان وعلى شفتيه ابتسامة محببة وقال : « كلا . بل هى مديتى ، وأنت تظن أننى قتلت كردينال » .

فأجابه زوجى : « لا أدرى ، وهناك ما يحملنى على الظن بأنك لا تقتله على هذه الصورة . وإذا أنكرت التهمة فسأبحث عن شخص آخر غيرك » .

فظل جوناثان صامتاً ، فتابع زوجى كلامه قائلا: « فإذا أبيت الإنكار فسأضطرّ إلى القبض عليك بتهمة القتل . ومعنى هذا أنك ستقضى الصيف كله فى السجن » .

ولم يظفر زوجى بجواب فقال أخيراً : « لك ماتشاء،ها أناذا ألقى القبض عليك » .

فقفزت فرحانة وحالت بينهما وصرخت: « ليس هو الفاعل » فوجه إليها جوناثان نظرة رقيقة وقال : « يا رفيقتى الطيبة أنت لا تريدين أن أقضى الصيف كله فى السجن أقاسى لسع البعوض والذباب » .

فصرخت فيه : « قل لهم إنك لم تفعل » .

فنظر إليها طويلا وقد بدت عليه دلائل التفكير وقال : « أولم أقتله ! » فطأطأت فرحانة رأسها وانهمرت دموعها .

وحل الصيف واقترب موعد مولد حملى، وأخذت سارة القابلة وفرحانة تحومان حولى ، ولا تنفك سارة توصينى بالهدوء والطمأنينة ثم جاءت لى بشرابها المعهود ، فشممت مرة أخرى رائحة الحطب المحترق وغبت عن وعيى . ولما فتحت عينى وجدتنى أحمل ابنى بين ذراعى ، وقد وقف زوجى بجانبى ومد إصبعه الكبيرة إلى المولود . فسرعان ما انطبقت يده عليه ، فكأنما احتوت يده الصغيرة قلبى أيضاً . وفجأة

سمعت صرخة نحيب عالية ، فتعلقت بزوجى فقال يطمئننى : « لا تخافى يا كاتى . إنها مسز مارلن المسكينة تود أن ترى مولودك » .

فقلت : « دعوها تدخل » وطلبت أن يأذنوا لها بالدخول ، وحملت فرحانة الطفل لها لتراه ، واقتربت مسز مارلن بحياء ثم مدت يدها فجأة وأخذت الطفل من فرحانة وأسرعت إلى الباب والطفل بين ذراعيها . فقفز زوجى ولحق بها ، ولكنى استوقفته فأطاع . ووجهت إلى فرحانة نظرة مستفسرة ، فأومأت إليها برأسى ، فاقتربت من مسز مارلن حتى لم يبق بينهما إلا مسافة صغيرة ثم ابتسمت لهـا ومدت يديها وقالت : « ناولينى الطفل » ، فهزت المرأة رأسها وأخذت تولول وتقول : « هو طفلى ، هو طفلى » وحملت الطفـل برفق على ذراعيها وأخـذت تغنى له : « مات ابنى وما أنت إلا ابنى » .

اقترب منها زوجى بهدوء فإذا بها تعود إلى النحيب مرة أخرى وتقول همساً : « ماتوا . كلهم ماتوا . مات طفلى . مات أبى ، وكل شىء ألمسه يموت » . وجعلت تقول هذه الكلمات كأنها أغنية فرنسية معروفة مما يهدهد به الأطفال .

ثم استدارت نحونا فجأة وصرخت : « قلت له أن يرحـل عنى ويتركنى ، فأنا أرملة رجل أمريكى لا رفيقة رجل هندى ، ولكنه حين تلعب الخمر برأسـه يأتى إلى الدار وهو يهدر . ثم خرج للصيد ولم يعد ، وأنا حامل أنتظر ولادة طفل هو أبوه ، وأعتقد أنه حينما يعود سيتزوجنى فى الكنيسة . فلما قبض عليه الجاويش مايك وألقى به فى السجن ، ذهبت إليه لأخبره بحالى ، فرمى برأسه إلى الوراء وقهقه ضاحكا ، وكانت مديتى مربوطة إلى حزامى فأخذتها وطعنته بها كما تطعن رقبة الخنزير ، ثم عدت إلى الدار وافترستنى الأوجاع ، فقد مات ابنى ، نعم مات » وأخذت تهدهد ابنى بتلك الكلمات وهى تتلوها كأنها أغنية .

فقال زوجى : « أيكون كردينال هو هذا الرجل . إنه هزأ بك فطعنته بالمدية . فمن أين جئت بها ؟ فكرى قليلا . هل احتطب لك جوناثان فوكيه وقوداً لهـذا الشتاء » فاندفعت المرأة تبكى وقالت : « لقد أعطانيها » .

فقال مايك : « سنعيـدها إليك إذا أعطيتنا الطفل » .

فسألته . « أهو وعد لا رجعة فيه ؟ »

فقال لها : « نعم هو ذلك » .

فما كان منها إلا أن ناولته الطفل . وحدث بعد أيام أن فارقتنا فرحانة ، ذلك أن الهنود أقاموا مأدبة كبيرة للاحتفال بموسم الحصاد ،

وأعرت فرحانة فرواً أبيض كان زعيم الهنود قدمه هدية لى حينما غادرنا هدسن هوب ، ووقفت أنا وزوجى نرقب الرقصة فى مساء العيد،فوقفت الفتيات صفاً ومشين وهن يرقصن نحو صف الفتيان ثم يعدن مكانهن مسرعات ، فيقبل عليهن الفتيان وهم يرقصون أيضاً . وتألق جمال فرحانة وسرورها وهى تختال بفروها الأبيض ، وكان جوناثان بين الراقصين وأخذ يقفز بنشوة وابتهاج . ثم انفض الجمع واختلطت الفتيات بالفتيان ، وتقدم نفر منهم يدعون فرحانة إليهم ، ولـكنها وقفت أمام جوناثان ورفعت منـديل رأسها وألقته على كتفيه ، وظل كل منهما واقفاً مكانه إلى أن انتهى قرع الطبول . ولا أدرى ماذا قال لها ولا ما قالت له ، ولـكنى رأيتهما حينما انفض الجمع يبتعدان ويسيران إلى الغابة ، وكانت هذه آخر مرة رأيت فيها فرحانة .

وذات مساء رقد الطفلان فى فراشهما ، وأخذ مايك يتسلى وحده بلعب الورق ، وكان الشتاء قد حل مرة أخرى ، ولم يكن لى ما أفعله سوى القـراءة والرياضة مع طفلى . وفجأة أقبلت امرأة هندية وقالت : « أيها الجاويش مايك . إن طفلى مريض ، إنه يختنق » .

وخرج زوجى معها ، وكنت قد أويت إلى فراشى والنعـاس يغالبنى ، فسمعت طرقاً على الباب ، وليست هذه عادة مايك ، فقمت من الفراش ، فلمحت وراء النافذة رجلا فإذا به زوجى يقول : « لا تفتحى الباب يا كاتى ، فلا أريد الدخول ، فقد مات ولد هذه المرأة بالدفتريا ، وسأنام فى مكتبى ، فإذا لم ينتشر الوباء أعود إليك بعد خمسة أيام أو ستة » .

فقلت له : « أواثق أنت أنها الدفتريا؟ »

فقال : « أجل . ولـكن لا تقلقى . وخير وقاية أن تدهنى حلقك وحلق الطفلين بصبغة اليـود . وإذا احتجت إلىَّ فعلقى منديلا أبيض على النافذة » .

واستيقظت فى الصباح على أصوات البكاء والنحيب المنبعثة من المحلة ، وفزعت ابنتى مارى وبدأت تبكى ، فأغلقت النوافذ كلها والباب وقلت لها إنه صفير الرياح .

وأخذت أسليها برسم صور تلونها بقلمها، وغسلت أطباق الفطور ويدى ترتجف ، وأنا أحاول التجـلد ، ولـكن أصوات النحيب والبكاء لم تنقطع ، ووجدتنى أصيخ إليها بسمعى وأتساءل قائلة لعله صفير الرياح.

وجاء مايك إلى النافذة ونادانى وقال : « قد انتشر الوباء ويرقد المرضى كل أربعة فى فراش واحد. وبعض المرضى لديهم الطعام،

ولكن لا يقوون على النهوض من فرشهم ، فأعدى أكبر وعاء لديك واطبخى شيئاً من اللحم والأرز ، فإذا فرغت منه فعلقى المنديل لآتى وآخذه . ولكن ضعى الوعاء عند مدخل الدار » .

وفتحت الباب قليلا وناولته طعام الفطور وسألته كيف يعنى بهؤلاء المرضى جميعاً ؟

فأجاب . « كل ما فعلته هو أنى صرفت لهم حبوب الكينين حتى نفـدت ، فأنا أعطيهم الآن جرعات من الكحول لينتعشوا بها . وهذا هو ما هم فى حاجة إليه ولـكن الطعام أجدى عليهم » .

ثم غادرنى وعاد بعد ساعة ، وأخذ ما أعددته من الحساء بعد أن وضعت الأوعية عند مدخل الدار فسألنى : « هل دهنت حلق الأولاد بصبغة اليود ؟ »

فلما أجبته بأننى فعلت قال : « افعلى ذلك مرة أخرى » ، ثم حمل الأوعية واتجه نحو المحلة .

ومرت الأيام دون أن يقترب أحد من الدار، وانصرف رالف ومارى إلى فراشهما بعد أن لعبا كثيراً ولحقهما التعب. وأخذت أسلى نفسى بشىء من شغـل الإبرة وأنا أحاول أن لا أنصت للأصوات ، ولـكنى لم أستطع الخلاص من أسر هذا النواح على الموتى . وخيم الظلام على الحجرة ، فرفعت وجهى فرأيت وراء النافذة امرأة واقفة تحدق فىّ ، وقد أدارت ظهرها للشمس ، وكانت شعثاء الشعر يتناثر شعرها فى مهب الريح حول رأسها وجيدها ، ورفعت إلى النافذة شيئا تحمله فى يدها ، فإذا هو طفل ميت قد يبست أعضاؤه ، فصرخت فيها : « عودى إلى دارك » ، فلم تتحرك من مكانها وهى ترينى طفلها ، كأن هذا كل ما لديها من جواب .

فقلت لها : « ماذا تبغين ؟ »

فجعلت تحاول الكلام ولـكن صوتها اختنق فى حلقها ورمت من فمها على الثلج بصاقاً أغبر ، ومدت يدها نحوى بالطفل وهى تكرر كلمة واحدة هى : « الدواء » .

فقلت لهـا : « عليك بالذهاب إلى الجاويش مايك » .

فنطقت عيناها بخيبـة الأمل وهزت رأسها ببطء ، فلا أشك أنها ذهبت إلى مايك ووجدت أن الكحول قد نفد أيضاً . وظلت المرأة تحدق فىّ ، فأنا المرأة البيضاء الوحيدة فى هذه المحلة ، والمفروض فىّ أن أقدر على فعل شىء ما ، فلم أطق صبراً وصرخت فيها : « لا أستطيع مساعدتك ، اذهبى . اذهبى من هنا » ، فأطاعت صاغرةً وأدارت ظهرها وابتعدت وسارت تترنح ، فلما عاودها الاختناق سقطت على الثلج فوق

طفلتها ونثرت الرياح شعرها وأخذ يتموج حولها ، وأشحت بوجهى عن الجثتين المنطرحتين فى فناء الدار .

واستيقظ رالف وهو يبكى وقد ورمت الغدد تحت فكه واحمر حلقه ، فعلقت منديلا أبيض ، ولما أتى مايك كان قد ظهرت على حلق الطفل بقع بيض .

وقلت لزوجى : « افعل شيئاً » .

فوضع مايك مكمدات حول عنق الطفل وطلب منى أن أغلى فى الحجرة ماء حتى يتشبع جوها بالرطوبة وقال : « دعيه يأ كل ما استطاع » .

فقلت : « كلا . إننى أريد دواء » ، ثم ارتجفت من هذه الكلمة ، لأن تلك المرأة التى جاءتنى كانت تلحّ فى طلب الدواء أيضاً .

قال مايك : « إن الدواء الذى يحقن به الأطفال المرضى موجود ولكن لا سبيل إليه إلا بعد رحلة تستغرق شهرين أو ثلاثة ، وفوق ذلك ينبغى أن يظل طازجاً » .

وفى تلك الليلة بدأت مارى تضع يدها على حلقها وتبكى ، وحاولت أن أخفف عنها بالألعاب والصور ، ثم قدمت لها الطعام .

وأخذ جسم رالف يتلوى وهو يجاهد فى التنفس ، وكأنما يصرخ كل عضو منه فى طلب الهواء ، وانقلب شخيره إلى حشرجة ، وظل يجاهد ثم سكن جسده . فانحنى مايك فوقه ، ولما رفع رأسه أدركت أن أجله قد انتهى . فأقبل زوجى علىّ يواسينى ، ولكننى انفجرت باكية ، وبعد سبع ساعات ماتت مارى وهى التى لم تمرض فى حياتها يوماً واحداً .

وحاول زوجى أن يرفعنى عن فراشها ولكنى ظللت متشبثة بابنتى أ كلمها عن صورها ودميتها ، فقال زوجى : « لا فائدة فى كل ما تفعلين ، فيحسن بك أن تذهبى إلى كونستانس لأن ابنتها بريتا مريضة منذ أيام » . فأعددت سلة ملأتها بالطعام وأنا أشعر بالغيظ يمزق قلبى لأننا نعيش فى منطقة بعيدة عن العمران . وقلت لزوجى وأنا أتحاشى النظر إليه : « لو كنا نعيش فى مدينة » ، فأسكتنى وأخذنى إلى بيت كونستانس

وجدت النار قد خبت فى المدفأة ، وأخذت أرتعش من البرد . أما بريتا فكانت راقدة فى فراش فى طرف الحجرة وقد ركعت أمها إلى جوارها ، فلما رأتنى نهضت وعلى شفتيها ابتسامة متعبة وقالت : « جئت لنا بطعام ، ولكن سنعطيه لأهل المحلة ، فلم يعد لنا حاجة إليه فقد ماتت بريتا » ، فأسندت رأسى إلى الباب ، ولم يعد يروعنى شىء .

وعاد مايك بعد قليل وفى يده عصوان وقال : « خذيهما معك إذا كنت ذاهبة إلى

المحلة ، فإن الكلاب قد ضريت لأنها لم تأكل منذ يومين » . فأطعته وخرجت أنا وكونستانس ، ووجدنا أول بيت دخلناه خالياً قد مات سكانه جميعاً إلا عجوز جالسة على الأرض قد غطت رأسها وهى تولول ، فوضعت بجانبها نصف رغيف وانصرفت .

وهجم عليّ كلب فضربته بالعصا على أنفه فتقهقر وهو يزمجر ، ثم أقبل كلب آخر ناتىء العظام وهو يزحف على بطنه ، ولبث الكلبان واللعاب يسيل من أشداقهما ينظران إلى فتى يجر فتاة صغيرة من نافذة ثم يرفعها على سطح الدار .

فرفعت بصرى إلى سطوح الدور الأخرى ، فرأيت صفوفاً من الأقدام العارية ، كما رأيت أناساً آخرين مربوطين إلى الأشجار . وهذا هو ما يفعله الهنود لتبريد حرارة الحمى .

ونزل الشاب إلى السطح ودخل البيت المهجور ، فوضعت النصف الباقى من الرغيف عندالباب، ولكنه أبى أن يأخذه وهز رأسه قائلا: « إذا ماتت فسألحق بها » .

ثم رأيته يترنح ويسقط على فراش من الجلود ، فهممت بإيقاد النار فى المدفأة ، وذهبت إليه ولكنه أشار إلى أن أبتعد عنه وقال : « حذار من الكلاب فقد تدخل الدار » .

فقلت : « سأغلق الباب » .

فقال : « حسناً تفعلين ، فإننى سأظل بضعة أيام راقداً » . وهؤلاء الهنود يخشون أن تشوه أجسامهم بعد الممات ، فلا جرم أن خاف هذا الفتى أن يقف بين يدى خالقه يوم الحشر وقد مزقت الكلاب جسده .

وظللت أطوف على المرضى أحمل الماء مرة وأغليه مرة ، وأسعفهم بالمكمدات أحياناً وأصب الحساء أحياناً فى حلوق متورمة ، وكنت إذا رأيت وجوه الأطفال وهى زرق ممتقعة شعرت كأننى أجاهد لإنقاذ طفلتى .

ورأيت أمامى طفلا يتلوى جسده ثم يموت ، وغطت أمه رأسها وولولت . وطلع الصباح وحملقت إلينا من الأشجار عيون الموتى ، ولم يعد قلبي يهتز لما رآه من الألم والإعياء . وقد مد إلىّ طفل مرة ذراعيه النحيلتين فاعتصر قلبى الألم وأنا أقول : « ليتهما ذراعا من أحب ! » ، وتملكنى الخنق أيضاً حينما رأيت طفلين تماثلا للشفاء . ومرّ بى رجل شيخ يحمل جثة امرأة عجوز . ثم انبعثت صرخة،فقد أنشب كلب أنيابه فى تلك الجثة الصغيرة الضامرة ، فأخذ الشيخ يشدها منه ، فإذا بها تتمزق بين يديه ، وسرعت الكلاب تمزق لحمها إرباً إرباً ولكن الشيخ رمى نفسه فوق الكلاب يضربها بيديه الضعيفتين فسارعت إليه

فوجدت الكلاب قد مزقت لحمه أيضاً .
وعثرت سارة القابلة علىّ بعد ذلك ، وصحبتني إلى زوجي وقد حملتني بعض الطريق.
لم أجد المهدين فى الدار ولا أقلام مارى ولم أسأل زوجي قط ماذا فعل بها ، وصبرت حتى خرج وقمت أفتش الدار كلها ، ويخيل لى أننى سررت حين لم أجدها .
وكان مايك يغيب عنى كل يوم ، إذ شغل هو وزملاؤه بدفن الموتى طوال الأسبوع ، وكان معظم الموتى من الأطفال والشيوخ .
وفى الليلة التالية حملنى زوجي إلى الجبل، فمررنا وسط صفوف من الشواهد البيض ، فأخذت أقرأ الأسماء المنقوشة على الخشب ، فرأيت اسم ابنتى مارى ، وبجانبها قبر عليه اسم ابنى . وهكذا ثوى طفلاى فى سفح هذا الجبل العارى الذى تصفر فيه الرياح ، وركعت بجانب القبرين ولمست الثلج بيدى.
وبعد قليل لمس زوجي كتفى فقمت وتبعته إلى الدار ، وكنت أود أن أرتمى بين ذراعيه ، ولكن نفسى لم تطاوعنى . ولم أتبين السبب فى مبدأ الأمر، ثم أدركت أننى ألحى عليه بالملامة ، فهل أدرك شعورى ؟ لقد غمرنى بطيبته ورقته وصبره ، وإن كان يتحاشى أن تتلاقى أعيننا ، فكان لا ينظر إلىّ إلا حين يجدنى مشغولة عنه .
ولم أستطع التغلب على الكآبة الكامنة فى قلبى ، ولا شك أنه عالم بها ، فهو قد عاش فى هذه المنطقة وشاهد فى كل شتاء أطفالا صرعهم الوباء دون أن يجهل أن تلك المنطقة خالية من وسائل الإسعاف ، فلم يكن خليقاً به أن يأتى بزوجته إليها ويدعها تلد أولاداً يحيط بهم مثل هذا الخطر .
ومر شهران ونحن نجلس معاً فى حجرة واحدة دون أن نتبادل إلا أقل الكلام ، فإذا طلع النهار تعمد زوجي أن يغيب عن الدار وقلبى يناديه شوقاً إليه ، لأن الوحدة ترهقنى . وكم من مرة عددت فيها الساعات بصوت مرتفع انتظاراً لعودته ، فإذا عاد سارعت بتحيته قائلة : « مرحباً يا مايك »
فيجيبنى : « مرحباً بك يا كاتى » .
ثم أعمد ، وأنا أعد مائدة العشاء ، إلى ترديد ما أود أن أقوله له ، فإذا جلست شعرت بقلبى يخفق فى صدرى ، فاضطربت حركاتى . فماذا عساى أقوله له ؟ إن كل خواطرى تعود بى إلى تيه من الألم المرير .
وبعد العشاء أجلس وأنصت له وهو يعزف على آلة موسيقى قديمة كان قد عثر عليها فى المخزن ، ويستغرق زوجي فى عزفه وهو غائب عنى ، فكأنما فقدته أنا أيضاً كما فقدت ولدىّ . وظللت ليلة بعد ليلة أنصت لهذه الموسيقى حتى كرهتها ، وحتى كادت هذه الآلة تدفعنى إلى الجنون .

وحينما رأيته ذات ليلة يهم بتناول الآلة أدركت أنني سأهبّ واقفة وأصرخ ، ولكني لم أفعل، إذ جيء لنا في هذه اللحظة برجل جريح ، فغسلت الدم عن وجهه . وحينئذ تبينت أن عينه قد خرجت عن محجرها ، وعكف زوجي على تضميد جروح وجهه . ولا أدري كيف جاءت سارة القابلة أيضاً وأخذت تساعد في إسعاف الرجل بأدويتها . أما الجريح فهو راندي فولان ، وقد سكن المحلة منذ عهد قريب . ولما أعدت النظر إليه وجدت عينه قد استقرت في محجرها ، ورأيت زوجي يلف حولها الضماد. وكانت إحدى ضلوعه مكسورة بارزة من جنبه ، وعلى صدره جروح عديدة ، وكانت تتدلى من كتفه ذراعه المخلوعة . وهذه هي أول مرة نشاهد فيها مبلغ مايصاب به الرجل من الجروح إذا افترسه دب أسود .

وظل الرجل طوال الأسبوع الأول وهو غائب عن وعيه معظم الوقت ، وانقضى الأسبوع الثاني وهو طريح الفراش لاينقطع أنينه ، ثم عادت إليه القدرة على الكلام ، فكان يحدثني إذا دخلت حجرته ويشكرني على عنايتي به ، وهو لا يدري مبلغ غبطتي لأنني وجدت في هذه العناية تسلية لهمومي . وقال لي إن له أختاً تقيم في بوسطن ، وكان يهون عليّ أن أشقى في تمريضه بالليل والنهار لا لشيء إلا لأستمع إليه وهو يحدثني عن الحفلات الموسيقية التي حضرها ، وعن آخر مستحدثات أزياء النساء ، وعن السيارات التي أصبحت مبذولة لأغلب الناس وكيف صارت سرعتها تبلغ ٢٥ ميلا في الساعة .

وجاء زوجي ذات يوم ومعه برقية من أخت الرجل تطلب فيها إليه أن يعود إلى بوسطن يوم يقوى على السفر . وحينئذ طرأت لي فكرة راقتني وأخافتني في وقت واحد ، وقلت لزوجي ذلك المساء ونحن جالسان أمام المدفأة : « ليس أفضل له من أن يقوم بهذه الرحلة ، ولأنه في حاجة إلى العلاج على يد طبيب » .

فجعل مايك ينظر إليّ طويلا ثم قال : « ولكنه لا يستطيع السفر وحده » . فأجبته وأنا أسرع في كلامي وأتجنب النظر إليه : « أعلم ذلك ، ولهذا فكرت أن أسافر معه ، لأنني لم أر موطني منذ أربع سنوات ولهذا أسافر معه إلى بوسطن ثم ... »

فهبّ واقفاً وقال : « إن كان هذا هو عزمك ياكاتي ، فامضي فيه ، فلعله من الخير » .

وسرعان ما أعددت حقيبتي وصندوق الإسعافات الطبية ، وأعد زوجي نقالة ليحمل عليها المريض . ثم جاء ذات يوم من مكتبه ووقف عند النافذة وأخذ

يقول لى وهو لا يدير وجهه عنها : « إننى لا أحب أن تتركينى » .

فقلت : « ولكنى ... »

فقال : « أنصتى إلىّ . إن هذه فكرة طرأت ولم نبحثها، فأنت لم تخبرينى كم تغيبين عنى . وأنا أشعر . . . »

ثم هزّ كتفيه وقال: «ولكن ما الفائدة؟ لقد عزمت على السفر ، أليس كذلك ؟ »

وفى الصباح اجتمع جيراننا وأصدقاؤنا عند المرفأ ، وأقبلت سارة نحوى تقول : « عودى إلينا يا مسز مايك » .

وحملنى زوجى إلى القارب ، والتفت نحوهم أحييهم ولكن الدموع المترقرقة فى عينى حجبت عنى وجوههم ، وتعالى الهتاف والتحيات ، ولم أستطع من الضجة أن أتبين منها كلمة واحدة » .

ومكثنا يومين فى سفر شاق ، بعضه فى القارب ، وبعضه فى عربة تجرها الجياد ، حتى بلغنا السكة الحديدية ووجدنا قاطرة صغيرة قد ألحقت بها عربة واحدة للمسافرين.

وحمل زوجى أمتعتى ووضعها على المقعد، ثم دسّ فى يدى بعض النقـود ، وحينئذ أدركت أن لحظة الوداع قد حانت وطوقنى بذراعيه القويتين وهو متردد وقال لى : « إنى أحبك يا كاتى » .

وغادرنى وتحرك القطار وكانت آخر صورة له انطبعت فى ذهنى وهو واقف بمفرده، ومن ورائه تيه تلك المنطقة الشمالية .

وأخذت أرقب الأرض المبتلة بالمطر وقلبى يخفق بذكرى ما دار وما لم يدر بيننا من حديث .

وجدت أختى آن فرنسيس تنتظرنى بمحطة بوسطن فقلت لها: « أريد أن أمكث هنا وقتاً طويلا » .

أقامت أمى وأختى حفلة للترحيب بى ، وازدحم منزلنا بفتيان وفتيات وجوههم غير غريبة عنى ، وإن كنت لم أعرفهم إلا بعد جهد ، وعزفت الموسيقى ورقصنا ولهونا وأكلنا وشربنا .

ثم جاءت أمى خلسة إلى غرفتى وعانقتنى وقالت : « أراك تشكين الوحدة يا بنيتى » .

فاندفعت أقول لها : « إننى أحبه يا أماه ، وسأظل أحبه » .

فأخذت أمى تمسح شعرى بيدها وتقول: « لعله يأتى هو أيضاً إلى بوسطن » . فقلت لها : « كلا ، إنه لن يكون فى بوسطن سوى شرطى صغير » .

فأجابتنى أمى بحزم : « إننى أحرص على الابتعاد عن التدخل فى شئون بناتى ، لقد عقد زواجك فى مكان ما فى تلك المنطقة الموحشة برجل لم أره من قبل ، ثم استقبلت معه حياة لا ترضاها امرأة معه . فأنت

حبيسة فى كوخ من الخشب ، وليس عندك إلا أقل الثياب ، وليس هناك طبيب ، وإلا لكان أسعف طفليك حينما أشرفا على الهلاك . وليست هذه حياة جديرة بك ياكاتى ، وليس من العدل إرغامك عليها . إننى أعتقد أنه من واجب الزوجة أن تلازم زوجها ، ولكن حالتك مختلفة تمام الاختلاف . ولن أدعك ترحلين إلى الشمال مرة أخرى ، فتقاسين الألم من الوحدة ومن رؤية قبرى طفليك ».

فأجبتها وأنا أتمتم : « لست أريد العودة ».

ثم أخذنا نتردد كل ليلة على المسارح والحفلات الموسيقية ، ولكنها كانت متعة لا تمس قلبى ، فقد شعرت أن هذه الحياة قد أصبحت غريبة عنى ، بل أحسست أن هناك فارقا أو حاجزاً قد فصلنى عن أمى وأختى . وظللت أصور لنفسى مايك كما رأيته آخر مرة واقفاً وحده ومن ورائه تيه المنطقة الشمالية ، هذا هو الوطن الذى أحن إليه ، وإن لزوجى فى هذا الوطن مقامه الملحوظ . إننى لم أكن عادلة ، بل كنت مخطئة ، واليوم أدرك كل هذا ، ولا بد لى من أن أبوح له بما يتردد فى نفسى وأكشف له عن قلبى . وجعلت أصرخ كأنه بجانبى يسمعنى ، وأقول : « خذنى إليك يا مايك ، فلن أفارقك مرة أخرى » .

وجاء زوجى يستقبلنى وأنا أنزل من القطار ، وأخذ يحدثنى بصوت خافت مختلج . كان يهم بالكلام ثم يصمت ، وينظر إلىّ فأنسى ما كنت أريد أن أقوله له ، وأنظر أنا إليه أيضاً . وقد هممت أن أقرّ له بخطئى ، ولكنه ظل يقبلنى فيمنعنى من الكلام .

وقلت له : « سنبدأ حياتنا من جديد . أليس كذلك يا مايك ؟ »

فأجاب : « لا شك فى ذلك » .

وركبنا الزحافة وظل مايك يرقبنى ثم قال : « ألا تحسين بفرحة العودة إلى الوطن والمأوى ؟ » . نعم ، لقد كان قلبى يرقص سروراً بالعودة إلى دارى المحبوبة .

ووصلنا إلى الدار فى اليوم التالى ، فوجدت أغصان الشجر المثقلة بالثلوج قد انعقدت فوق الدار كأنها قباب من البلور ، فقفزت من الزحافة وجريت إلى مدخل الدار ، ولكن مايك سبقنى إلى الباب وقال : « أخشى أن يكون البيت مختل النظام » .

فأجبته : « لا تكن أحمق وسأرتب كل شىء » .

فوجه إلىّ نظرة جعلتنى أفهم أن اختلال النظام أشد مما أتصوّره ، فهيأت نفسى لأسوأ الفروض ودفعت بالباب ، فإذا بالدار نظيفة مجلوّة مرتبة خير ترتيب ، فالتفت إلى مايك لأرى ما إذا كان قد مكر بى ، ولكن

نظرة واحدة مني إلى وجهه جعلتني أعتقد أنه لم يكن يقصد ذلك . ووجدت كل شيء في مكانه ، وعلى المائدة عشاء ساخن .

وفي تلك اللحظة سمعت الباب الخلفي وهو يغلق ، فجرينا إلى المطبخ فرأينا سارة وهي تنفلت منه خارجةً ، فناديناها فأخذت تلوّح لنا بذراعيها دلالة على أنها سمعت نداءنا ، ولكنها أبت أن تعود أو أن تدير وجهها إلينا ، فهي تريد أن تترك الزوجين في خلوتهما .

وحلّ شهر أغسطس الذي أعلنت فيه الحرب ، وجاءنا تيمي بوكلير ليودعنا ويطلب إلى زوجي أن يعني بجواده ، وأخبرنا أن أخاه بول قد التحق بالجيش هو أيضاً .

ولم ينته الشتاء حتى كنت قد حملت خمس برقيات إلى أسر من جيراننا تنبئهم بوفاة رجلهم أو فقدانه في الحرب .

وجاءت سارة يوماً إلى مكتب زوجي وقالت : « أعدّي لي كوبة من الشاي » .

وليس طلب قدح شاي بأمر غير مألوف ولكنه أزعجني منها ، لأنني لم أعهد في سارة منذ عرفتها أنها تطلب شيئاً من إنسان . وشربت قدحاً ثم قالت فجأة : « ولدت مادلين بنت كونستانس طفلين ، وهي الآن تحتضر » .

فصرخت فيها : « أحق ماتت مادلين ؟ » .

فأجابت : « وضعت على يدي طفلين ولداً وبنتاً ، ثم بدأ النزف ، فحبسته حتى لا يخرج ، ولكنه استمر داخل جوفها ، وهي الآن تموت » .

ورمى زوجي قلمه وقال : « أولدت توأمين ، ولداً وبنتاً ؟ »

أجابت : « نعم . ولداً وبنتاً » . ولم ينطق أحدنا بكلمة وجلسنا نتناول الشاي صامتين .

وبعد ثلاث ساعات بدأت آلة التلغراف تدق ، ورفعت سارة رأسها ترقب زوجي وهو يسطر الرسالة ، فإذا بها تقول : « ٢٧ مارس — إلى جوزج بوكلير وزوجه — نخبركم بمزيد الأسف والحزن أن . . . قد قتل في ميدان القتال » .

فالتفت إلى سارة وسألتها أكانت كونستانس تعلم بخبر مادلين .

فأجابت : « نعم ، إنها كانت معها ولكنها الآن عادت إلى دارها » .

فقلت : « رباه ، لماذا كتبتَ كل هذا البلاء على تلك الأسرة ؟ »

وذهبت إلى الدار وقرعت الباب فخرجت إلى كونستانس ، فأردت أن أمهد للخبر السيء بكلام لطيف وديع ، ولكن كل ما استطعت أن أنقله هو أن أقدم لها البرقية . فقالت وقد زمّت شفتيها : « أيهما ؟ »

فأجبتها : « إنه بول » .

وجاء نعى ابنها الثانى فى الربيع التالى ، وكانت كونستانس تعد الابن للتوأمين ، فالتفتت إلىّ مبتسمة وقالت : « مرحباً بك ياكاتى » وكنت واقفة إلى جانب المائدة كما وقفت فى الشتاء الماضى ، وتحت يدى البرقية الأولى لم تفض وقد علاها التراب فإنها لم تلمسها ، فوضعت البرقية الثانية فوق الأولى وخرجت .

ولما عدت إلى الدار وجدت زوجى ينظر من النافذة ، ورأيت جواد تيمى واقفاً يرعى فى الحقل ، وقال لى زوجى : « كانت سارة هنا ، ولا أدرى كيف أحست بالنبأ ، فإنها جعلت تسألنى عن تيمى » .

فسألته : « وهل أخبرتها ؟ »

فقال: « نعم ، وكل ما قالته هو : يموتون وهم صغار من المرض ، ويموتون وهم كبار فى الحرب » .

وكأنما لم يكف هـذا العالم المصطخب المتقاتل أن يرسل إلينا برقياته تحمل إلينا نبأ الموت ، بل بعث إلينا أيضاً بموت جديد ، فقد تولد من قذارة الخنادق فى أوربة فى خريف سـنة ١٩١٨ مرض الأنفلونزا ، وانتشر حتى بلغ شمال كندا ، فمات من سكانها أيضاً خلق كثير دون أن يسعفهم طبيب .

وتبعت سارة إلى حجرة النوم فى منزل بوكلير ، فوجدت جورج العجوز جاثياً على الفراش . ومرت ساعات طويلة قبل أن تتحرك كونستانس أو تتكلم ، ثم فتحت عينها وقالت: « إننى فى سياق الموت ياكاتى، ولـكنى متعبة جداً ، ولهذا فإنى لا أبالى أن أسلم الروح » .

وسهرنا الليل بجانبها ، ولـكنها ظلت ساكنة لا تتحرك وقد انفرجت شفتاها ، وأخذت أنفاسها تتردد بهدوء .

ولما اقترب الصباح جاء مايك ليحل محلى،ففتحت كونستانس عينيها مرة أخرى ونظرت إلينا وعرفتنا وقالت : « خذا التوأمين »،ثم قضت نحبها . فارتمى جورج على الفراش وهو يبكى ، وألقيت رأسى على كتف زوجى وأخذت أبكى حسرة على أعز صديقة لى

وأخذنا التـوأمين إلى دارنا ، وجعل زوجى يلاعبهما . ولما رآنى أبكى من السرور أخذ يغمرنى بقبلاته ورزقنا الله بطفل ثالث، إذ جاءنا جوناثان فوكيـه ذات يوم وهو يحمل طفلا وأخبرنا أن فرحانة ماتت وخلفت له هـذا الطفل فسرنى أن أتبنى أيضاً ابن فرحانة التى كانت تحب ولدىّ وتعنى بهما .

وهكذا كملت أسرتنا وجعلت تتوالى ونحن فى سعادة وهناءة .

هذه طبائع البشر

النعاس على عينىّ ذات ليلة ، وإذا بجرس التلفون يدقّ ، فأخذت السماعة بيدى فإذا بصوت غريب عنى يقول: «إن زوجى يثير غضبى ! » فقلت : «آسف ياسيدتى فقد أخطأت فى طلب النمرة » ، ولكن صاحبة الصوت لم يزعجها أنى قاطعتها وأنى بيّنت لها خطأها فمضت تقول : « أيظن أن العناية بثلاثة من الصغار شىء هين ! وأنا أيضاً أريد أن أتنزه مرة بعد مرة ، ولكن أيهمه شىء من هذا ؟ يهزّ كتفه ويقضى السهرة كلّ ليلة مع أصحابه على مايقول، ثم يريدنى أن أصدق مايقول».

فاعترضتها مرة ثانية بلهجة حازمة وقلت: « يؤسفنى ياسيدتى ، فقد أخطأت فى طلب النمرة فأنا لا أعرف من أنت » .

فقالت : « طبعاً . أنت لاتعرف من أنا . أو تظن أننى أستطيع أن أفضى بكل هذا إلى من يعرفنى ؟ إذن لذاع أمره وشاع ، فالناس يحبون القيل والقال . غير أنى وجدت أنه لا بدّ من زحزحة هذا الحجر الجاثم على صدرى . فأنا أحسن حالا الآن ، فشكراً » ، ثم قطعت المحادثة .

ويل لنا من ألكسندر جراهم بل ومن مخترعاته ! [پول كلاين]

كانت فتاة زنجية من صويحباتى تندب سوء حظها أنها لا تزال بغير زواج ، فقلت لها : « يلوح لى أن صاحبك يحبّك حبّا صادقاً ولا يريد سوى مرضاتك ، فلم لا تتزوجينه يا لوسندا ؟ »

فقالت : « أنا فى مشكلة من هذا الشاب ، فهو يسرنى يوماً ، ويغضبنى يوماً ، ولا أزال فى حيرة من أمرى فلا أستطيع أن أقرّر أيسرنى أكثر مما يغضبنى أم يغضبنى أكثر مما يسرنى . وإلى أن أصل إلى قرار ، سأبقيه معلقاً بين الشك واليقين حتى ينفطر قلبى لوعة وأسى ، ويومئذ أتزوجه مهما يكن قرارى ! » [نلدا ستورمز]

كنت أتجوّل فى أحد المتاحف منذ سنوات ، فوقعت عينى على شىء غريب استوقف نظرى : حية من ذوات الأجراس يبلغ طول ذيلها قدماً وفيه ثلاث وعشرون عقدة . فشقّ على أن أصدق أن ذيل هذه الحية يبلغ هذا المبلغ من الطول ، وإن كان ماثلا أمامى . فالتفت إلى أمين المتحف ، العالم الحكيم هومر وليمز ، وفى عينىّ سؤال عن سرّ ما رأيت .

فقال وفى عينيه بريق : « أرسل إلينا

بل جونز هذه الحية من ولاية تكساس ، فكانت أكبر حيـة من ذوات الأجراس رأيتها فى حياتى، وكان فى ذيلها تسع عقد . بيـد أنه لم يكد ينقضى شهر على عرضها فى التحف حتى جاءنى رجل وقال إنه قتـل مرة حية أكبر منها، وكان فى ذيلها عشرة عقد . ثم جاءنى آخر وأقسم بأغلظ الأيمان أنه رأى حية فى ذيلها اثنتا عشرة عقدة .

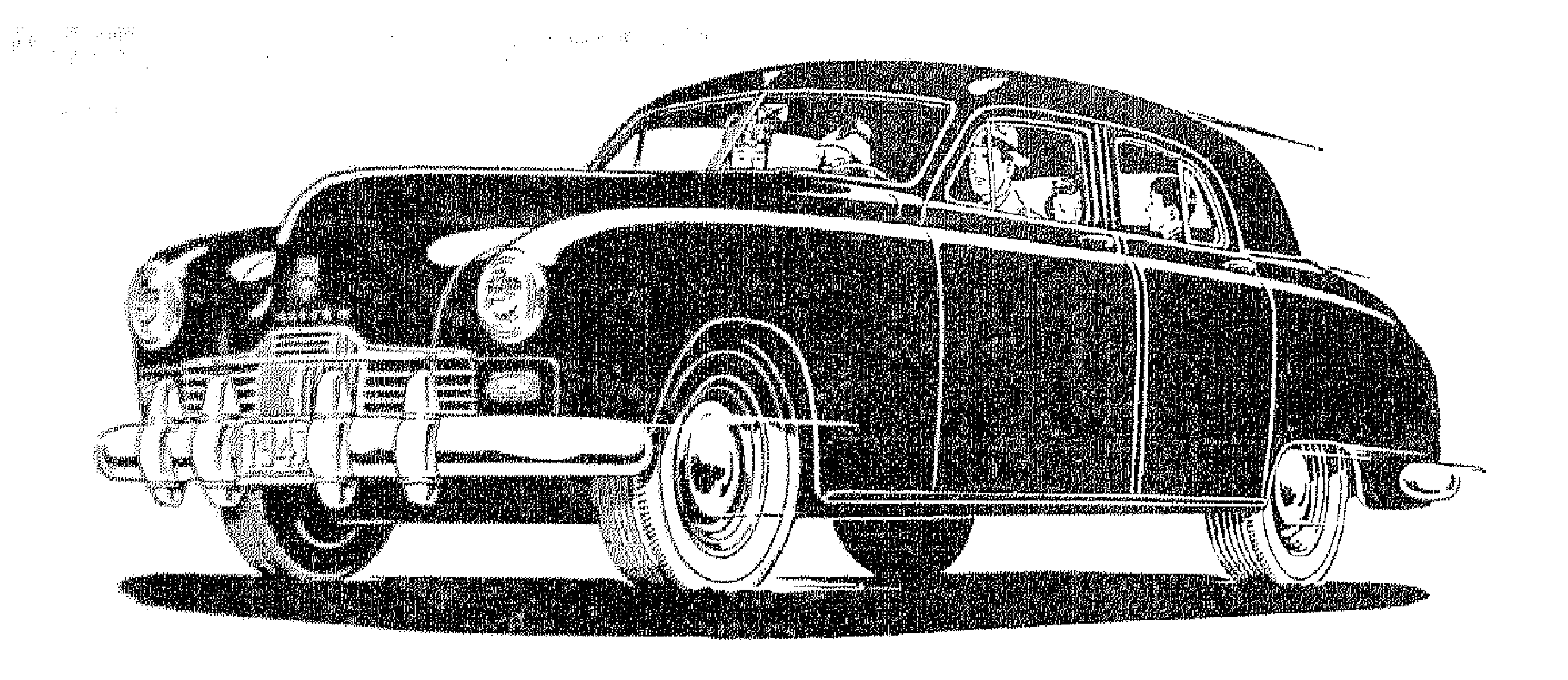
« فظللت زمناً أفكر فى أقوال الرجلين، وعزمت فى آخر الأمر أن أرى إلى أين ينتهى أمر الكذابين من الناس . ففككت ذيل الحية وأضفت إلى عقدها الأصلية أربع عقد جديدة أخذتها من مجموعة التحف... ولا يزال الناس يتمادون فى الكذب ، ولاأزال أضيف إلى الذيل عقدة بعد عقدة، حتى بلغت كما ترى ٢٣عقدة ، وصارت الحية غريبة ، ولم ننته بعد ، فليس لكذب الناس حدٌّ يقف عنده » . [فكتور شمت]

يبكر ابنى فى الخروج إلى عمله كلّ يوم، قبل أن يستيقظ أحد من أسرتنا . وقد كان عيد ميلاده الرابع والعشرين منذ أيام. فلما جلست إلى مائدة الفطور وجدت على صحنى بطاقة منه هذا نصُّها :

« أمى العزيزة ، منذ أربع وعشرين سنة تعـدَّيت على حسابك ، أفلا تقابليننى ظهر اليوم فأرد لك التحية ؟ جاك » .
[ح . ى . إركنبراك]

قضيت بضعة أسابيع مع صديق لى فى مزرعة أبيه بولاية أوريجون ، فلاحظت أن أباه ينفق ساعة أو نحو ساعة كل يوم فى تنظيف سيارة فورد عتيقة وفى صقلها ، حتى لتراها كالعروس المجلوة حيال سيارة جديدة فخمة ، وأخرى من طراز «ستيشن واجون » كان يهمل تنظيفهما . فسألته عن سر ذلك .

فنظر إلى وكأنه ينظر إلى الأفق البعيد، وقال: « اسمع يا بنى، منذ ٢٥ سنة لم أكن أملك سوى هذه السيارة ، فهجرت عليها الولاية البعيدة التى ولدت فيها وجئت إلى هذا المكان ، فأعانتنى على أن أجد عملا ، فوفرت منه مالا قليلا فاشتريت قطعة أرض، ثم أعانتنى على مقابلة فتاة عرفتها ، ثم حملتها إلى هذه الدار من الكنيسة يوم تزوجتها، ثم نقلتها مرتين إلى المستشفى وعادت بها وفى أحضانها ولدان جميلان . وقد نقلت نتاج أرضى إلى السوق وساعدتنى على أن أجعل هذه المزرعة كما تراها اليوم . فهذه السيارة ليست سيارة عتيقة وحسب، يابنى، بل هى صديق قديم ، ولست بالرجل الذى ينسى صديقاً قديماً » . [أنتونى بيروج]



كايزر



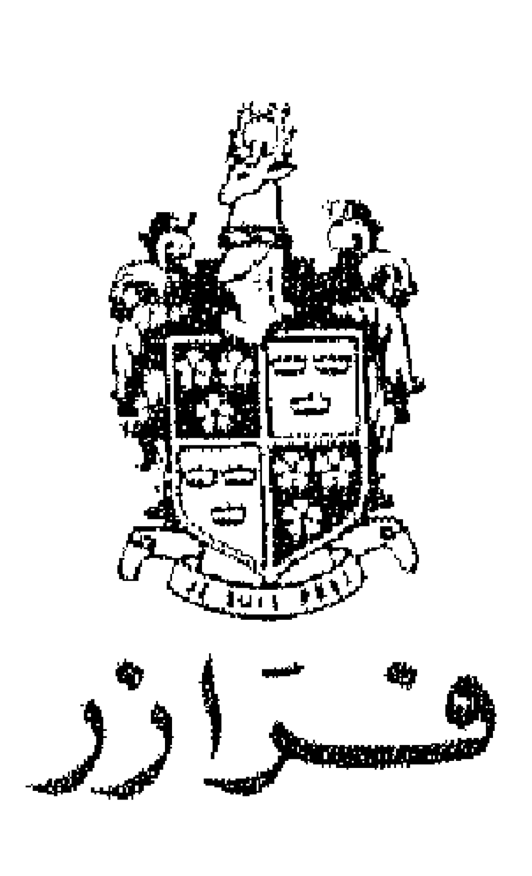
Darrin مصمم الهيكل

سيارتان ينبغى أن تعرفهما !

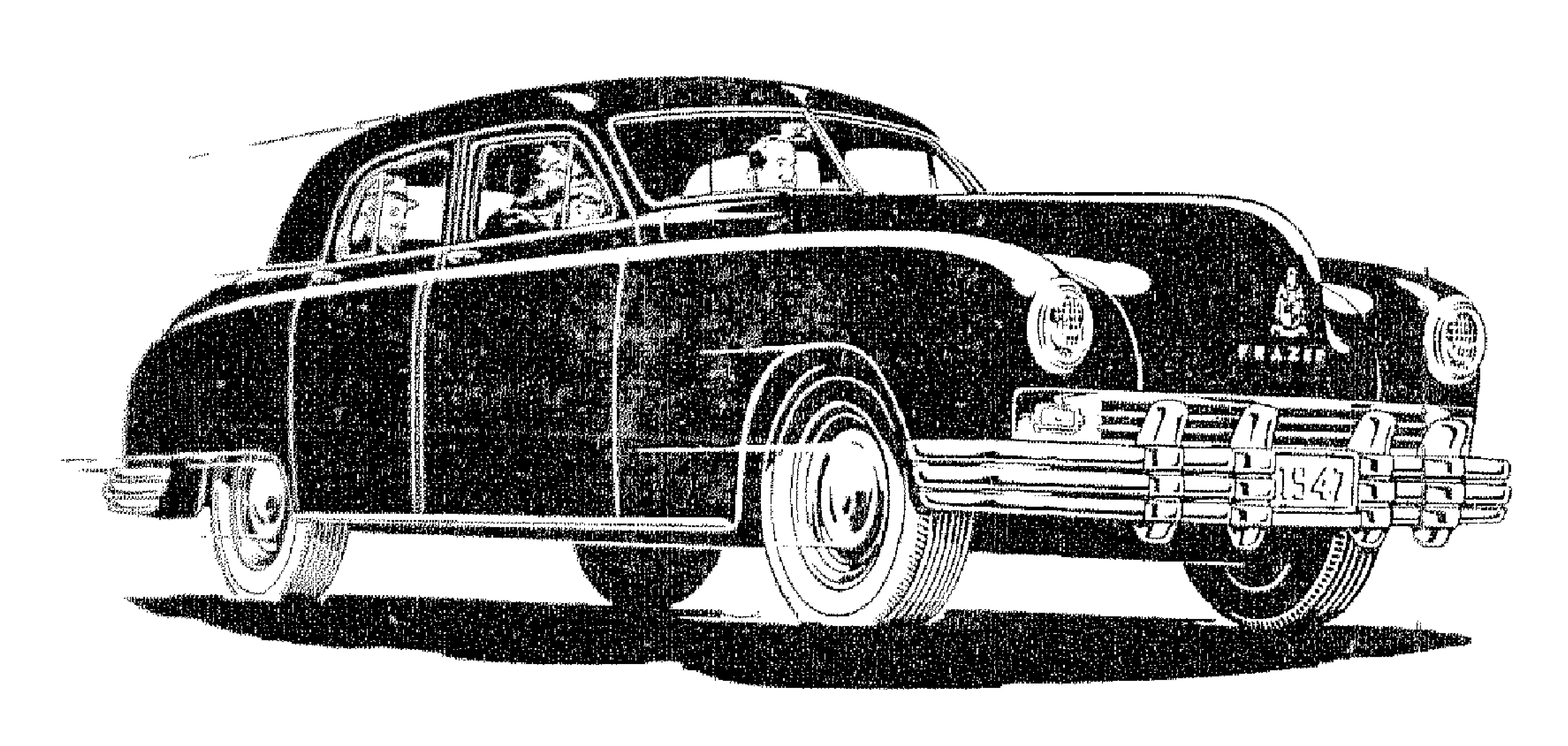
هما السيّارتان اللتان ما فتىء العالم يترقبهما وينتظرهما أعلى ما بلغه التصميم الرشيق الحديث ، والراحة والترف فى السيّارات ، والكمال الميكانيكى ، فتراهما قد حلقا إلى مراتب عالية جديدة فى ميدان السيارات الممتازة حقاً . فهما سيارتان ينبغى لك أن تعرفهما — حتى تعرف النعمة العظيمة فى قيادتهما — والروعة المحبّبة فى امتلاكهما .

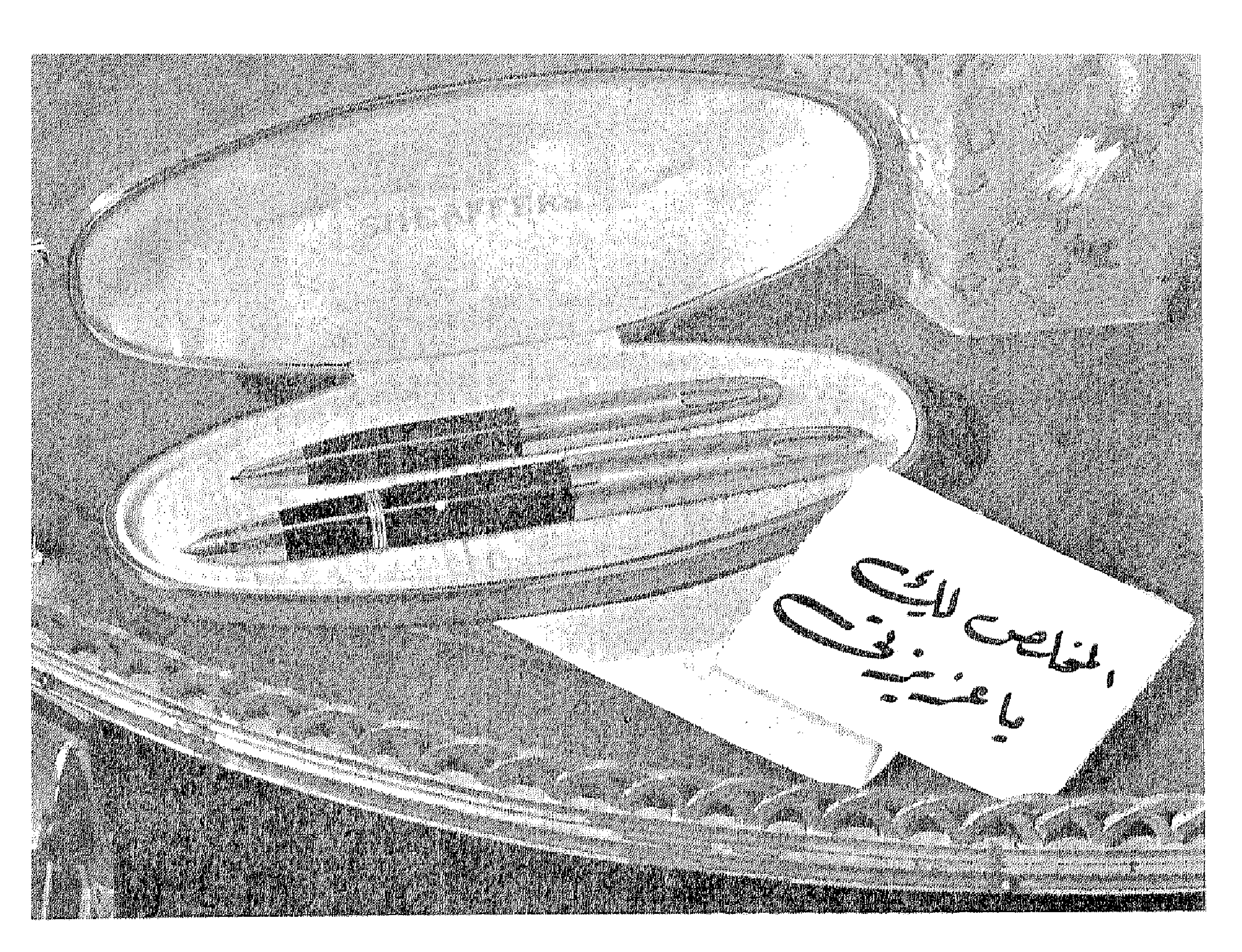
KAISER - FRAZER EXPORT CORPORATION

Willow Run Michigan, U. S. A. Cable Adress : "KAFREX"



فرازر





"تريومف" تاك أواى

ذو السن التي صنعت خاصة "لها"

إن قلم شيفرز « تاك أواى » قد صمّم خاصة للنساء ، فهو «قلمها» حقاً ! وهى تفضله لأنه يوافق طريقتها فى الكتابة — فيصوّر شخصيتها على الورق — وذلك لحجمه الكبير ، وسنه الأسطوانية المصنوعة من ذهب عيار ١٤ قيراطاً ، المتاحة لها على الشكل الذى يلائم يدها ولمستها أدقّ ملاءمة وأعمّها . تأمل قلم « تريومف » تاك أواى ، وقدرته على الكتابة السهلة الميسّرة — وقوامه الرشيق ، وأناقته النسائية (وقيمته النفيسة أيضاً) فتقتنع بأن « تاك أواى » — هو خير هدية تختارها « لها » .

W. A. SHEAFFER PEN CO., Fort Madison. Iowa, U.S.A.

SHEAFFER'S شيفرز

سعادة ! - سوف تشعرين بالسعادة حقا حين تبتسم أسنانك ابتسامة بيضاء

إن العالم ليبدو لك عالماً سعيداً إذا أمكنك أن تبتسم دون خجل من الأسنان الكدرة القذرة ، ومهما كانت أسنانك كدرة وحائلة اللون ، فإن معجون « كولجيت » يعيد إليها بسرعة بياضها الطبيعي الناصع . إن هناك ابتسامتها الحقيقية البيضاء تنتظر إظهارها الآن .




.. حتى يفوق الكمال الذى ستدركه غداً
الكمال الذى أدركته اليوم


الطريق أو الخط الحديدي .. في البحر أو الجو ...
كندا يمكنها أن تبني وسائل المواصلات ...
إذا كنت تحتاج إلى سفن ... وكل ما يدرج على عجلات ... طائرات ... سيارات النقل ...
أطلب من كندا أن تصنعها. إن تقدمها الصناعي الواسع المدى في خدمتك.
وتذكر ... إن كندا ليست مستعدة لتبيع لك فحسب ، ولكنها تحب أن تشتري منتجاتك أيضاً ، وأن تروج التبادل التجاري الذي لا غنى عنه للسلام والرخاء .
فلكي نساعدك في التجارة مع كندا تجد ممثليها ، التجاريين في البلاد الآتية :
الأرجنتين – استراليا – الكنغو البلجيكي – بلجيكا – البرازيل – شيلي – الصين – كولومبيا – كوبا – مصر – فرنسا – اليونان – جواتيمالا
هونج كونج – الهند – إرلندا – إيطاليا – جامايكا – اتحاد اللاوو – مكسيكو – هولندا – نيوفوندلاند – نيوزيلاند – النرويج – بيرو – البرتغال – جنوب أفريقيا – السويد – ترينيداد – المملكة المتحدة – الولايات المتحدة – فنزويلا .
THE FOREIGN TRADE SERVICE
DEPARTMENT OF TRADE AND COMMERCE
ATTAWA CANADA
زوروا سوق كندا التجارية الدولية
تورنتو – كندا. من ٣١ مايو إلى ١٢ يونيو ١٩٤٨
شرفوا سوق كندا التجارية الدولية ..
لتشاهدوا منتجات العالم معروضة ... وقارنوا ... واطلبوا ما تريدونه حيث ترونه.
دبروا الآن أن تزوروا كندا في سنة ١٩٤٨، أو ترسلوا مندوباً ، واطلبوا التفاصيل الكاملة ، والمعلومات عن السفر والإقامة ، من أقرب ممثل لكندا.


لست فى حاجة إلى طريق
إن سيارة « يونيفرسال جيب » تخترق الغابات التى لم
تطأها قدم مستكشف . . . تحمل الرجال ، والأدوات ،
والمؤونة إلى أقصى مواقع التحطيب .
فهى تهيئ قوة متحركة فى جوف الغاب .
وهى تنقل المعدّات الثقيلة ، وتسلّ كتل الخشب وتجرّ
الجذوع ، بما قد يركب عليها من ونش طراز كابستن .
فهى تصل إلى مكان العمل — وتنجز العمل — برغم
الوحل والطين ، والأرض الوعرة ، وانحدار مواقع السير .
WILLYS - OVERLAND EXPORT CORPORATION
Toledo, Ohio, U. S. A.
"Jeep" "جيب" ستيشن واجون
WILLYS-OVERLAND
سيارة جديدة كل الجدة ، صنع "ويليز اوفرلاند"

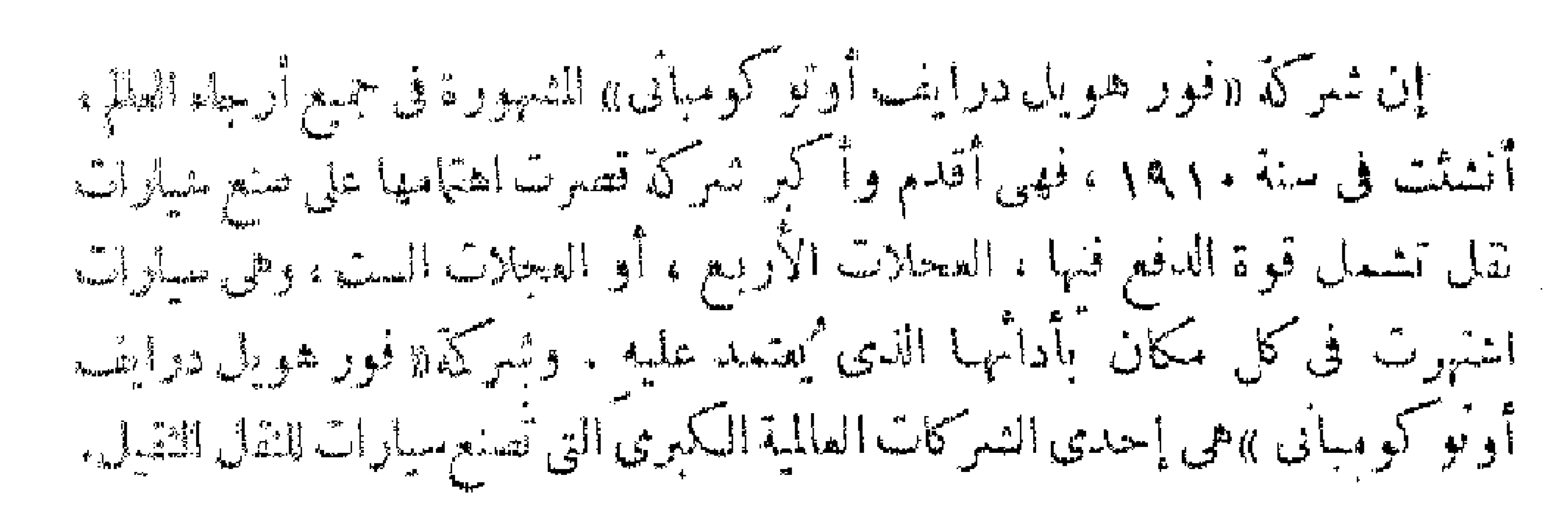

كلتكس
REG T M
مواد التشحيم والوقود
للاقتصاد والكفاءة فى العمل
إن « كالتكس » اسم مشهور فى أرجاء العالم، يحتل مصدراً يمكن الاعتماد عليه للحصول على أجود المنتجات البترولية . ويمكن أن يعنى إنتاجاً أوفر ، ونفقات أقل ، واقتصاداً أكثر فى تشغيل مصانعك وأجهزتك التى تحتاج إلى أنقى الوقــود والمشحمات . فلكل حاجاتك الأولية ، والصناعية ، وأعمال النقل ـ أطلب « كالتكس » على التخصيص .
جانب من مصنع كلتكس الحديث للتكرير - بالبحرين بالخليج الفارسى
SOCIETE CALIFORNIA TEXAS
DE PETROLES S.A.E.
9, Rue Fouad I. Cairo - Egypt.



نظف أسنانك
بمعجون
كولينوس



.. لأن لـه رغوة !
إن قدراً قليلا من « كولينوس » أجدى عليك فى تنظيف أسنانك ،
لأن رغوته تتغلغل فى جميع جوانب الفم ، وطعمه أطيب وأشدُّ
إنعاشاً . إن معجون الأسنان الأمريكى المشهور يتاح لك ثانية
بجودته التى اشتهر بها قبل الحرب .
KOLYNOS
DENTAL CREAM
كولينوس



إن شركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» المشهورة في جميع أرجاء العالم، أنشئت في سنة ١٩١٠، فهي أقدم وأكبر شركة قصرت اهتمامها على صنع سيارات نقل تشمل قوة الدفع فيها، العجلات الأربع، أو العجلات الست، وهي سيارات اشتهرت في كل مكان بأدائها الذي يُعتمد عليه. وشركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» هي إحدى الشركات العالمية الكبرى التي تصنع سيارات النقل الثقيل.

رسالة خطيرة الشأن

أصحاب سيارات النقل FWD اليوم أو في المستقبل، في جميع أرجاء العالم

إن كثيراً من سيارات نقل FWD القوية المتينة التي صنعت للخدمة في الحرب، قد صارت اليوم عمادَ الأهلين في أعمالهم المدنية. فإلى أصحاب سيارات نقل FWD اليوم، وإلى الذين سيشترونها في سائر بلاد الله توجّهُ شركة «فور هويل درايف أوتو كمباني» هذه الرسالة الخطيرة الشأن.

إن المعاونات الفنية، وقطع الغيار الأصلية FWD اللازمة لهذه السيارات حتى تعمل، عملاً نافعاً ولصيانتها، تجدها متاحة لك عند شركة «فور هويل درايف أوتو كومباني» أو عند موزّعيها في جميع أرجاء الأرض... فتساعد كل صاحب سيارة منها على أن يظفر من هذه السيارات بأقصى درجات الانتفاع والخدمة الطويلة الأمد والاقتصاد.

وسيارات FWD التي لها قوة دافعة تحرك العجلات الأربع والعجلات الست، تتيح لك مزايا لا يسبقها سابق: أقصى قوة وقدرة على نقل الأحمال في أوعر الطرق وأشد أحوال الجو إرهاقاً: سرعة أعظم على مسافة أطول يصحبها أمن أتم: أقلُّ نفقة لوحدة النقل (طن وكيلومتر واحد) توزيع متعادل للقوة المحركة — ووطأة الحمل المنقول على العجلات الأربع أو العجلات الست تخفف الإجهاد على المحاور، وتقليل تآكل الإطارات: خدمة طويلة الأمد.

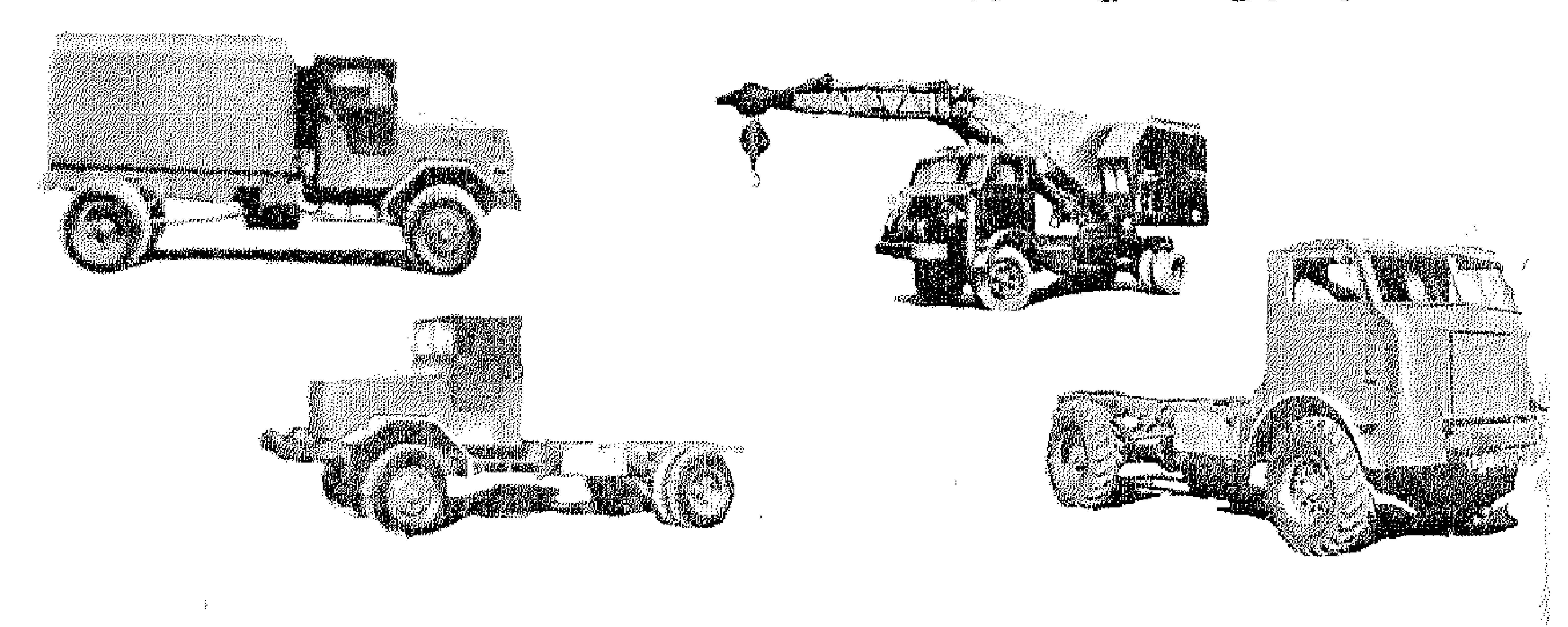
تطلب البيانات الكاملة، بالبريد أو بالبرق من:

THE FOUR WHEEL DRIVE AUTO COMPANY

CLINTONVILLE, WISCONSIN, U. S. A.

العنوان التلغرافي: FWD CLINTONVILLE (Code: "Bentley's")

إن سيارات FWD الحربية، يسهل تحويلها إلى المهام المدنية بنفقة قليلة، ويسهل تزويدها بهيا كل شتى وبالمعدات التابعة لها.



صممت خصيصاً واختبرت خصيصاً ...

للانتفاع بها في الأقاليم الحارة

ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة في إنجلترا ، ومختبرة في جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعي في تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهي تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدي خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر في صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكوّن بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بطلاء أبيض ناصع تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة في المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD

للتبريد



شركة E.A.S.T. ٣ شارع عمر بالقاهرة ، القطر المصري . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (الشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (الشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولاتلي هانكي وشركاه (السودان) ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

شركة برسد ستيل ليمتد



كلّ جزء صغير ، وكلّ تفصيل دقيق فى قلم باركر « ٥١ » يدل
على أنه لم يصنع على عجل ، وأن صناعته بلغت أعلى مراتب
الدقة والإحكام . وجد رأسه الأنبوبة المدببة ، قد صنعت
لكى توقى من الهواء والقذر والأذى . وهو يبدأ
الكتابة لتوّه — وحسبه لمسة دقيقة حتى يكتب
كتابة ناعمة . فهذا هو القلم الوحيد الذى
صنع ليستعمل أحسن الحبر وأنسبه على
الإطلاق : حبر باركر « ٥١ » .
الذى يجف وأنت تكتب .
THE PARKER PEN Co.
Janesville, Wisconsin, U.S.A.
أكثر الأقلام
طلبا فى
العالم كله
باركر "٥١"
يكتب كتابة جافة بمداد سائل



في قمة الصفاء...

إلى قراء المختار الكرام

بيان مهم

نعلن مع الأسف الشديد أن مجلة المختار من ريدرز دايجست ستكف عن صدور إلى زمن وحسب بعد ظهور عدد نوفمبر هذا . وقد اتخذنا هذا القرار على مضض وتردد ، ولكنه قرار اضطررنا إليه اضطراراً لأسباب مختلفة — ازدياد نفقات الإنتاج ، وتعقد قيود التبادل النقدى ، ومشاق التموّن بالورق.

وقد ظلت مجلة المختار تصدر صدوراً متصلا خلال واحد وخمسين شهراً ، فبيع منها ما يزيد على أربعة ملايين نسخة فى أرجاء العالم العربى . وقد تلقينا من قرائها ألوفاً من الرسائل تفيض بما وجدوه فى صفحاتها من فصول حافلة بالمتعة والمعرفة الحوافز التى تلهم الناس إلى حياة أزخر وأفضل

فنحن مدينون بالشكر الصادق لما لقيناه من تأييد ومودة عند قرائنا وأصدقائنا الكثيرين فى البلاد العربية جميعاً — من حلب فى شمال سورية إلى عدن فى جنوب الجزيرة ، ومن القاهرة فى الغرب إلى بغداد فى الشرق . ونحن أيضاً مدينون بالشكر للخدمة الصادقة التى أسداها إلى المختار موظفو إدارته فى القاهرة وجميع الذين يعاونوهم فى تحريره وطبعه وتوزيعه ، فى بحر أربع سنوات أو أكثر .

ونحن على ثقة بأنه إذا آن الأوان لاستئناف صدور المختار ، فإن أواصر الصداقة التى وثقها المختار سوف تتجدد وتتوثق على الزمن ، ونحن نتطلع بعين ملؤها الأمل والاغتباط إلى ذلك اليوم ، وفى فترة التعطيل سوف يظل اهتمامنا بمسائل العالم العربى وتقدمه كاملا صادقاً لا يحول .

ناشرو مجلة المختار
من ريدرز دايجست

بيان الى حضرات المشتركين

جميع المشتركين الذين يمتد اشتراكهم إلى ما بعد هذا العدد من المختار ، سوف يعوضون من إدارة المختار حقهم كاملا عن الأعداد المتبقية من اشتراكهم .

ينبوع الشباب الدائم

صموئيل أولمان

ليس الشباب زمناً من أزمنة الحياة، بل هو شعور فى النفس، وإرهاف فى العزيمة، وتوقد فى الخيال، ونشاط فى العواطف، وإرباء الشجاعة على التهيّب، وغلبة شهوة المغامرة على حب الراحة.

وما من أحد يهرم لأنه عاش عدداً من السنين، وإنما يهرم الناس حين يهجرون مثلهم العليا جانباً. وكرُّ السنين يترك الجلد مغضّناً، ولكن ترك الحماسة يغضّن الروح. والقلق، والشك وعجز المرء عن الإيمان بقدرته والخوف والقنوط، هذه هى السنوات الطويلات المدد التى تحنى الرأس، وترد الروح تراباً فى تراب.

وسواء أكان الحى فى السبعين أم فى السادسة عشرة من عمره، فلن يخلوَ قلبه من حب للعجيب الرائع، ومن دهشة حلوة تساور النفس حين يرى النجوم وما يشبهها من الأشياء والأفكار، ومن جرأة ماضية تتحدى خطوب الدهر، ومن شوق كالذى يملأ قلوب الصغار رغبة فى معرفة الغيوب، ومن بشاشة للحياة الزاخرة بالمرح والنضال.

وأنت شاب بقدر ما أوتيت من إيمان، وهرمٌ بقدر ما منيت به من شك، وصغير بمقدار ثقتك بنفسك، وكهل بمقدار وَجَلك، وفتى بحسب أملك، وشيخ بحسب يأسك.

وما دام قلبك يتلقى رسالات الجمال، والبشر، والشجاعة، والجلال، والقوة، من الأرض، ومن الآباد، فأنت شاب.

ومتى وهنت الأسباب التى بينك وبين الحياة، وطمرت حبة قلبك ثلوج التشاؤم والشك وقلة المبالاة، فقد شيّخت حقاً، وعليك رحمة الله.